مكتبة الأسرة
القراءة للجميع
٢٠٠٨

سلسلة العلوم الاجتماعية

محمد صلى الله عليه وسلم
الحقيقة والافتراء في سيرته

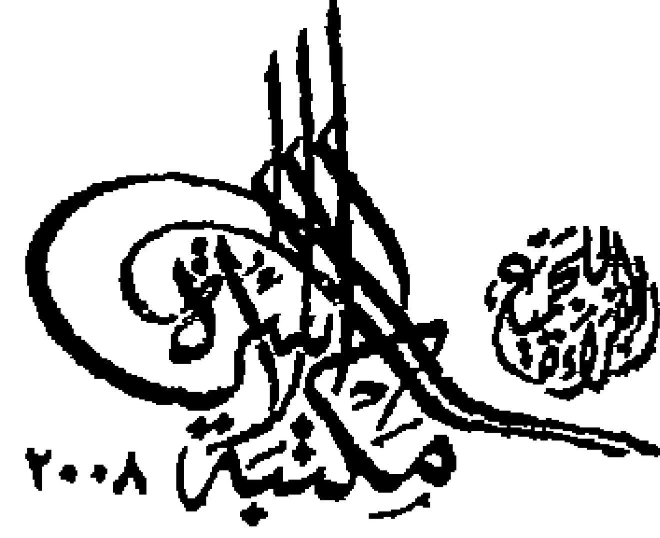
تأليف
دكتور نبيل لوقا بباوي

محمد رسول الله



محمد ﷺ

الحقيقة والافتراء في سيرته



برعاية السيدة

سوزان مبارك

المشرف العام
د . ناصر الأنصارى

تصميم الغلاف
د . إيناس حسنى

التنفيذ
الهيئة المصرية العامة للكتاب

الجهات المشاركة

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

المجلس القومى للشباب

وزارة التنمية الإقتصادية

محمد صلى الله عليه وسلم

الحقيقة والافتراء في سيرته

تأليف

دكتور نبيل لوقا بباوي

القراءة للجميع

مكتبة الأسرة ٢٠٠٨

بباوى، نبيل لوقا .

محمد ﷺ الحقيقة والافتراء فى سيرته: تأليف:
نبيل لوقا بباوى .. القاهرة : الهيئة المصرية العامة
للكتاب، ٢٠٠٨.

٢٥٢ ص ؛ ٢٤سم (أسرة ٢٠٠٨- علوم اجتماعية)

تدمك : ٩ - ٦٣٨ - ٤٢٠ - ٩٧٧ - ٩٧٨.

١ - الديانات المقارنة .

أ - العنوان .

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٤٠٦٣ / ٢٠٠٨

I.S.B.N 978-977-420-638-9

ديوى ٢٩١

توطئة

منذ ثمانية عشر عامًا انطلق مهرجان القراءة للجميع على جناح فكرة أن الكتاب هو عماد المعرفة الرئيسى، والثقافة الرفيعة، وأن الكتاب ينفرد عن غيره من أدوات التثقيف ومصادر المعرفة بقدرته على تنمية الفكر وصنع العقول المستنيرة، وتكوين الشخصيات المتميزة، وفتح آفاق الاستنارة أمام الملايين، والإسهام فى تشكيل وجدان الأمة، وحفظ تراثها، والوصول إلى رؤى مستقبلية لنهضتها.

ولقد حرصت مكتبة الأسرة طوال أعوامها السابقة كرافد رئيسى للمهرجان على تحقيق الهدف النبيل من تأسيسها.. ذلك الهدف الذى تحدد فى طرح العبقرية الإبداعية والفكرية والعلمية للمجتمع المصرى المعاصر، وفتح نوافذ على الفكر والإبداع العالمى، وإقامة جسور بين الحضارات المختلفة، والتعرف على ثراء التاريخ الفرعونى والإسلامى، وأخيرًا تحفيز الأجيال الجديدة على القراءة حتى تصبح عادة، بل ضرورة ملحة تترسخ أهميتها فى الأذهان من خلال كتب عظيمة الفائدة، تباع بأسعار رمزية فى متناول الملايين.

ولأن وصول الكتاب إلى كل مكان فى مصر سيظل حلم السيدة الفاضلة سوزان مبارك، راعية القراءة للجميع. فلقد أعلنت هذا العام مبادرتها الجديدة بإهداء مليون كتاب مجانًا للمجتمع، ولأن مهرجان القراءة للجميع يتخذ شعارًا مختلفًا كل عام يتواءم مع الرسالة التى يهدف إلى تحقيقها وتنوعها وتطورها عامًا بعد عام، فإن مكتبة الأسرة تتخذ توجهًا عامًا فى اختياراتها للكتب، يستهدف دائمًا تحقيق وعى عام متجدد يطور القوى الاجتماعية، ويقوم على

منظومة قيم تتلخص فى تعميق دور العلم والتفكير العلمى، وتعزيز الديمقراطية، والتعددية وترسيخ قيمة المواطنة والانتماء والمشاركة والمسئولية، ودور مؤسسات المجتمع المدنى، وتأكيد قيمة التسامح وثقافة السلام، وترسيخ قيمة دور المرأة، وقيمة التجدد الثقافى والتفكير النقدى والحوار والتبادل والتواصل المجتمعى والدولى، وإبراز تواصل الإبداع المصرى. ولقد تم استحداث قيمة جديدة هذا العام هى تعزيز تجليات الوطن وقضاياه، وذلك لمواجهة متغيرات خرائط الصراع المضاد، الذى يسعى إلى التفتيت بإشعال الفتن والانقسامات التى تحول الانتماء الوطنى إلى ولاءات لأعراق وعقائد ومذاهب، وفق تصنيفات قاطعة تعمل على تعبئة الناس وقولبتهم لكى تضعهم فى موقف التضاد بعضهم لبعض على سبيل الاستبعاد والاستعداء للنيل من سيادة الدولة الوطنية، وانتهاك دعمها للمواطنة والديمقراطية والمجتمع المدنى ومشروعية التعايش؛ ولذا ستظهر تجليات الوطن وقضاياه وتتجسد فى الإبداعات التى ستطرحها مكتبة الأسرة هذا العام.

لقد نهض صرح مكتبة الأسرة على أعمدة المكتبة العربية، وثراء تحفها الإبداعية والفكرية، واكتشاف الأقلام الموهوبة الشابة، فالتف الجميع حوله كواحد من أكبر المشاريع الثقافية فى تاريخ مصر الحديث، نأمل دائمًا أن يحقق أحلامه العظمى، وأن يساهم مساهمة فعلية فى نهضة المجتمع.

مكتبة الأسرة

تقديم

ستظل حياة النبى الكريم محمد بن عبد الله ﷺ فى مقدمة الموضوعات التى تحظى باهتمام الكُتَّاب والمؤرخين ورجال الدين من المسلمين وغير المسلمين - المغرضين منهم أو المنصفين - وكما حاول بعضهم أن يتحرى الحيدة والموضوعية فى تناوله لسيرة المصطفى ﷺ ليسجل الحقيقة التى تظهر عظمته والجوانب المتعددة فى شخصيته، فإن بعضهم الآخر قد أعمته كراهيته للإسلام وحقده الدفين على رسوله الأمين فاختلق الافتراءات والأكاذيب التى تطعن فى سيرته ورسالته، وهو ما أثار حفيظة الدكتور نبيل لوقا بباوى فانبرى لدحض هذه الافتراءات والأكاذيب التى لا تنتهى زورًا وبهتانًا فى محاولة للنيل من سيرة نبى الإسلام، وآخرها تلك الرسوم المسيئة التى نشرتها بعض صحف الغرب فى سياق موجة العداء البغيض التى يتعرض لها الإسلام والمسلمون منذ أحداث ١١ سبتمبر. وعلى الرغم من أن د. بباوى يؤمن بالمسيحية الأرثوذكسية إلا أنه باحث علمى يتحرى الدقة والموضوعية فى تناوله لمسألة الأديان، وهو ما يضفى مزيدًا من الأهمية على هذا الكتاب؛ لأن الدفاع عن رسول الله ﷺ فى تلك المرة إنما يجىء بقلم مغاير لمفكر كبير ينتمى لعقيدة مغايرة ووجهة نظر متحررة من التعصب، وتنطلق من إيمان عميق بقداسة كل الأديان السماوية واحترام حرية العقيدة والتعبير من أجل الارتقاء بالوطن الذى يحتضن الجميع.

وقد تخرج الدكتور نبيل لوقا بباوى فى كلية الشرطة عام ١٩٦٦، وحصل على درجتى دكتوراه إحداهما فى الاقتصاد، والأخرى فى القانون، ثم عمل أستاذًا

للقانون فى كلية الشرطة قبل إحالته للمعاش عام ١٩٩٢. وهو بصدد الانتهاء من رسالته الثالثة للدكتوراه فى الشريعة الإسلامية والتى يشرف عليها د. محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف عن «حقوق وواجبات غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى فضلاً عن كونه وكيلاً للجنة الثقافة والإعلام والسياحة بمجلس الشورى. وتشهد أعماله المتعددة فى الاقتصاد والشئون المسيحية والإسلامية بأنه صاحب منهج رصين فى البحث والتحليل، وهو ما يتجلى فى إصداراته التى أثرى بها المكتبة العربية حتى الآن ومنها: الوحدة الوطنية ومأساة التعصب، السيد المسيح وادعاءات المفترين، مشاكل الأقباط فى مصر، خطورة مناقشة العقائد فى الإسلام والمسيحية، محمد الرسول ﷺ وادعاءات المفترين، انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء، الإرهاب ليس صناعة مصرية.. إلخ.

وفى هذا الكتاب يواصل د. بباوى محاولته لإجلاء الحقيقة فى حياة النبى محمد ﷺ من افتراءات المزورين والمستشرقين، انطلاقًا من اعتقاد راسخ بأن الهجوم على أى دين سماوى هو مقدمة للهجوم على أديان سماوية أخرى، ومؤكدًا أنه لا يدافع عن الإسلام فى هذا الكتاب؛ لأن الإسلام قادر على الدفاع عن نفسه، وإنما هو محض بحث علمى يبحث فى مسألة الافتراء على سيرة النبى محمد ﷺ لبيان الحقيقة بدون تعصب أو مجادلة.

ومكتبة الأسرة يسرها أن تقدم هذا الكتاب ضمن إصداراتها هذا العام فى طبعته الأولى لتعميم الفائدة.

تقرير الأزهر الشريف
عن كتاب
«محمد ﷺ والحقيقة والافتراء فى سيرته»
تأليف الأستاذ الدكتور/ نبيل لوقا بباوى
مقدمة

اهتم كثير من المؤرخين والكتاب بحياة رسول الإسلام محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام وألفوا كتبًا كثيرة فى سيرته.

غير أن منهم من كان محايدًا صادقًا مع نفسه فى كتابته، يسجل الحقيقة، ويهدف إلى إظهار عظمة وشموخ شخصية الرسول ﷺ، وإبراز الجوانب المتعددة من حياته: الاجتماعية، والأخلاقية، والقيادية، والسياسية، والعسكرية.. إلخ التى جعلت منه شخصية فريدة، لا أقول غيرت مجرى تاريخ العربى، وإنما أقول غيرت تاريخ البشرية..

ومنهم من كان - للأسف - مغرضًا غير صادق فى كتابته، يدون أكاذيب ويختلق افتراءات، يزور التاريخ، ويحاول الطعن فى الجوانب المتعددة المشرقة من حياة الرسول ﷺ بهدف الطعن فى دين الإسلام ذاته، والوصول إلى أنه دين غير سماوى، وأنه من صنع محمد ﷺ، ومن هؤلاء بعض المستشرقين الذين أعماهم حقدهم الأسود على الإسلام فحجب عنهم رؤية الحقيقة، وأصمهم البغض للإسلام فحجز عنهم سماع نداء الحق، وأخرستهم كراهيتهم للإسلام فمنعتهم من نطق الصدق..

موضوع الكتاب والهدف منه

للحق جنود يوفقهم الله للبحث عنه والتنقيب عليه لإظهاره، من هؤلاء مؤلف الكتاب الدكتور/ نبيل لوقا بباوى. الذى قرأ كثيرًا من كتب التاريخ التى تحدثت عن سيرة رسول الإسلام محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، فلفت نظره، وشد انتباهه، الكذب والافتراء الذى كتبه بعض المستشرقين عن الرسول ﷺ.. فدفعته فطرته السليمة السوية التى خلقها الله فى الإنسان ولم تحرفها الأهواء والأغراض، ولم تطمس على قلوبها التعصب.. دفعته إلى كتابة هذا الكتاب بهدف إظهار الحقيقة فى تاريخ هذا الرسول الكريم العظيم، والرد على هؤلاء الأفاكين المغرضين بالحجة القوية، والمنطق السليم، والدليل الساطع، والبرهان القاطع لأنه يعلم علم اليقين - كما يقول - أن الحركات الصهيوية هى وراء هذه الهجمة الشرسة على الإسلام ورموزه، وأن الهجوم على دين سماوى هو مقدمة للهجوم على أديان سماوية أخرى...

-كما يقول - أنا فى ذلك الكتاب لست مدافعًا عن الإسلام، فالإسلام قادر على الدفاع عن نفسه بمبادئه السامية فى الكتاب والسنة... ولكنى فى ذلك الكتاب باحث علمى فقط يبحث فى مسألة الافتراء على سيرة الرسول ﷺ بمعرفة المستشرقين، وقد اتخذت أسلوب البحث العلمى فى بيان الحقيقة بدون أى تعصب أو مجادلة..

محتوى الكتاب

يحتوى الكتاب على تسعة أبواب، بدأها بمقدمة المؤلف ثم اختتمها بذكر أسماء المراجع العربية والأجنبية التى رجع إليها واستمد منها المعلومات فى كتابته..

الباب الأول : يتحدث فيه عن مولد الرسول ﷺ ، وفترة شبابه، ويتكون من فصلين الفصل الأول: يتناول فيه الظروف البيئية لولادة الرسول ﷺ، والفصل الثانى: يتناول فيه الظروف الاجتماعية لولادة الرسول ﷺ وشبابه.

الباب الثانى : يتحدث فيه عن الدعوة الإسلامية، ويتكون من أربعة فصول، الفصل الأول: يتناول فيه بداية الدعوة الإسلامية السرية، والفصل الثانى: يتناول فيه ادعاد بعض المستشرقين بإصابة الرسول ﷺ بالصرع، والفصل الثالث: يتناول فيه الدعوة الإسلامية العلنية، والفصل الرابع: يتناول فيه خبر الإفك فى قصة الغرانيق.

الباب الثالث : يتحدث فيه عن الخروج بالدعوة من مكة إلى المدينة، ويتكون من أربعة فصول، الفصل الأول : يتناول فيه محاولة الخروج بالدعوة من مكة لغيرها من القبائل، والفصل الثانى: يتناول فيه الهجرة إلى المدينة، والفصل الثالث: يتناول فيه الدولة الإسلامية فى المدينة والفصل الرابع: يتناول فيه بداية الغزوات الصغرى.

الباب الرابع : يتحدث فيه عن بداية الغزوات الكبرى، ويتكون من خمسة فصول، الفصل الأول: غزوة بدر، والفصل الثانى: غزوة بنى قينقاع وغدر اليهود، والفصل الثالث: غزوة أحد، والفصل الرابع: غزوة بنى النضير وخيانة اليهود، والفصل الخامس: غزوة الخندق.

الباب الخامس : يتحدث فيه عن الغزوات والوقائع قبل صلح الحديبية، ويتكون من أربعة فصول، الفصل الأول: غزوة يهود بنى قريظة ومصيرهم والفصل الثانى: غزوة بنى المصطلق، والفصل الثالث: خبر الإفك إثر غزوة بنى المصطلق، والفصل الرابع: صلح الحديبية وأسبابه.

الباب السادس : يتحدث فيه عن الأحداث من غزوة بنى خيبر حتى فتح مكة، ويتكون من أربعة فصول، الفصل الأول: غزوة بنى خيبر والقضاء على شوكة اليهود، والفصل الثانى: عمرة القضاء، والفصل الثالث: غزوة مؤته، والفصل الرابع: وقائع فتح مكة.

الباب السابع : يتحدث فيه عن دعوة الحكام للإسلام حتى انتصار المسلمين على الدولة البزينطية، ويتكون من أربعة فصول، الفصل الأول: رسائل الرسول ﷺ إلى الحكام يدعوهم إلى الإسلام، والفصل الثانى: غزوة حنين وحصار الطائف، والفصل الثالث: غزوة تبوك، والفصل الرابع: زوجات الرسول ﷺ.

الباب الثامن : يتحدث فيه عن الجزية على غير المسلمين فى عهد الرسول ﷺ وما بعده، ويتكون من ستة فصول، الفصل الأول: القبائل التى قبلت دفع الجزية بإرادتها الحرة فى عهد الرسول ﷺ، والفصل الثانى: الضرائب فى الدولة البيزنطية، والفصل الثالث: الضرائب فى الدولة الفارسية والفصل الرابع: الضرائب فى الدولة الإسلامية، والفصل الخامس: حرية العقيدة فى الدولة الإسلامية، والفصل السادس: حرية العقيدة فى الدولة البيزنطية والدولة الفارسية.

الباب التاسع : يتحدث فيه عن انتشار الإسلام وحجة الوداع ووفاة الرسول ﷺ ويتكون من ثلاثة فصول، الفصل الأول: إسلام قبائل شبه الجزيرة العربية، والفصل الثانى: حجة الوداع، والفصل الثالث: وفاة الرسول ﷺ.

مراجع الكتاب

استند المؤلف فى المعلومات التى دونها فى كتابه إلى : القرآن الكريم، وإلى الإنجيل، وإلى التوراة، وإلى السنة النبوية، وإلى مراجع عربية، وإلى مراجع أجنبية، وإلى مؤتمرات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ذكرها بالتفصيل فى نهاية الكتاب.

التعليق

١- أقدم الشكر الوافر للمؤلف: أولا على فطرته السليمة النقية التى دفعته إلى الكتابة فى هذا الموضوع لعرض الحقائق التاريخية الصحيحة فى سيرة الرسول محمد بن عبد الله ﷺ ، والرد على الافتراءات التى كتبها بعض المغرضين من المستشرقين فى محاولة رخيصة منهم لتشويه صورة الرسول ﷺ النقية البيضاء، للوصول إلى الطعن فى الإسلام مادام قد شوهت صورة الرمز.. ، وثانيًا على جهده المشكور الذى بذله فى تأليف هذا الكتاب القيم الذى تطلب منه مشقة القراءة والاطلاع والرجوع إلى أكثر من مائة وخمسين مرجعًا عربيًا وأجنبيًا بغية تحرى الحقيقة وعرضها.

٢- اتبع المؤلف منهجًا التزم به فى كتابة جميع فصول هذا الكتاب وهو: أن الفصل الواحد يتكون من مبحثين:

المبحث الأول: يتعرض لموضوع الفصل من الناحية التاريخية، فيدون المعلومات التاريخية الصحيحة عنه.

المبحث الثانى: عرض رأيه الشخصى فى الموضوع والتعقيب عليه مستعينًا بأسلوب التحليل العلمى والمنطقى لتأكيد وجهة نظره، والرد على الادعاءات الباطلة لبعض المستشرقين التى ذكروها فى كتبهم...

٣- عرض المؤلف وجهة نظره فى تسمية الحروب التى وقعت فى عهد الرسول ﷺ بين المسلمين والمشركين واليهود وغيرهم، والتى وردت فى جميع كتب السيرة باسم الغزوات ... حيث يرى المؤلف أن التعريف اللغوى للغزوات لا ينطبق عليها، وأن التعريف الصحيح لها أن يستبدل بكلمة غزوة اسم: موقعة..

فيقول - فى مقدمة الكتاب - إن تعريف كلمة الغزو هى: غزا القوم: هاجمهم فى ديارهم وسار إلى قتالهم لاحتلالهم، فقد ورد ذلك فى المعجم العربى الأساسى الصادر من المنظمة العربية للتربية والثقافة، ولو فحصنا فى كل معاجم العالم فى كل لغات دول العالم لوجدنا معنى كلمة الغزو مثل معنى كلمة الغزو فى اللغة العربية، ففى اللغة الإنجليزية كلمة غزو وهى Invades وهى معناها

وعلى ذلك لو حللنا بصدق وأمانة Anation Invades Another and Occupyit وحيدة كل ما تقول عليه كتب السيرة من غزوات لوجدناها كلها لا تنطبق عليها معنى الغزو الموجود فى معاجم اللغات فى كل لغات العالم فمثلاً غزوة بدر كانت لأخذ حقوق المسلمين لدى كفار قريش، وغزوة أحد كانت للدفاع عن النفس، وغزوة الخندق كانت للدفاع عن النفس، لذلك أتمنى تغيير كلمة غزوة بكلمة موقعة، لأن المستشرقين يشوهون الإسلام والرسول ﷺ بأنه فى حروبه كان غازيًا، وهو ليس كذلك، لذلك عند قراءة هذا الكتاب فى كل الغزوات، ومراعاة معنى الغزو فى المعجم العربى والمعاجم الأجنبية، وتحليل كل غزوة سوف نجد بحيدة شديدة أنها ليست غزوات، بل هى وقائع حربية أغلبها للدفاع عن النفس، وحماية الدعوة الإسلامية وأرض المسلمين، أو لأخذ حقوق المسلمين.

وهذا اجتهاد من المؤلف - يستحق الدراسة والبحث - دفعه إليه حرصه على سد أى باب ينفذ منه أعداء الإسلام للتشهير به ... وإن كان المؤلف فى كتابه قد التزم باسم الغزوات - كما هو مشهور - حتى لا يحدث خلافًا...

٤- كما يرى المؤلف أن الاسم الصحيح لصلح الحديبية هو: هدنة الحديبية، لأن الصلح لا يكون محدد المدة، أما الهدنة فهى التى تكون محددة المدة ... وصلح الحديبية ينص على عدم الاعتداء أو عدم القتال بين المسملين وكفار قريش لمدة محددة وهى عشر سنوات، وبذلك يكون ما تم هدنة وليس صلحًا...

وهذا اجتهاد من المؤلف - يستحق الدراسة والبحث - وإن كان قد التزم فى كتابه باسم صلح الحديبية - كما هو مشهور - حتى لا يحدث خلافًا...

٥- يذكر المؤلف - ومنذ مقدمة الكتاب - أنه منذ نزل الوحى على الرسول ﷺ، ومنذ أن بدأ الدعوة إلى الإسلام، والمشككون وبعض المستشرقين يشككون فى الإسلام ورسوله... غير أن الحملة ضد الإسلام من أعدائه ازدادت شراسة بعد أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ فى أمريكا ... وزاد من بشاعة الهجوم الشرس على الإسلام أننا نعيش الآن فى عصر تدفق المعلومات، وأصبحت كل دول العالم قرية واحدة مفتوحة السماء مملوءة بشبكات الإنترنت والقنوات الفضائية، وكلها

مكتظة بسيل من الافتراءات على الإسلام ورسولهﷺ ... ورغم اعتراف الإسلام بالديانات السماوية السابقة المسيحية واليهودية إلا أنه يتعرض للهجوم من المستشرقين من اليهود والمسيحيين الذين وصل خيالهم فى الطعن فى الإسلام ورسوله ﷺ إلى حد اللا معقول.

ويقول المؤلف: والغريب فى أمر المسلمين وفى الدول الإسلامية والدول العربية، أنه يوجد فى أوروبا وأمريكا أكثر من مائة وعشرين معهداً للاستشراق ليس لها هدف إلا دراسة وتحليل الإسلام ورموزه وحضارته.

وعقيدته وتاريخه وفقهه، وكل معهد له من الإمكانيات المادية والفكرية ما يجعله قادراً على إصدار مئات المؤلفات عن الإسلام، ولكن الوضع المأساوى حقًّا فى حياة الأمة الإسلامية اليوم أنه لا يوجد فى العالم الإسلامى والعربى معهد واحد متخصص مستقل عن هيمنة وسيطرة المؤسسات الحكومية للرد على مئات المؤلفات من المستشرقين فى معاهد أوروبا وأمريكا ... وكل مايفعله العالم الإسلامى والعربى هو الصياح والضجيج والشكوى ولطم الخدود والاستنكار والشجب وإمساك الميكروفونات كمالو كان المسلمون ظاهرة صوتية فقط.

ويتساءل المؤلف - مستنكرًا - إذا لم تدافع الدول الإسلامية عن الإسلام ضد دعاوى المستشرقين، فما هو الغالى لدى الدول الإسلامية لتدافع عنه؟ إن الدول الإسلامية إذا انصرفت عن الإسلام والدفاع عنه فقدت عزتها وكرامتها، إن الإسلام هو السياج الواقى الذى يحمى الأمة الإسلامية.

لذلك ينادى المؤلف للمرة المائة بإنشاء هيئة إسلامية عالمية لا تتبع أى دولة من الدول العربية أو الإسلامية حتى لا تسيطر عليها فكريًا، وتكون وظيفة هذه الهيئة الإسلامية الرد على طوفان افتراءات المستشرقين ومعاهدهم فى أوروبا وأمريكا، فالعيب كل العيب أن تجد كثيرًا من المسلمين يصرفون الملايين فى اللهو وفى صالات القمار ومواخير النساء فى أوروبا وأمريكا بينما حبيبهم الرسول محمد ﷺ تنهال عليه موجات الافتراء على سمعته وسيرته ولا يتحركون للدفاع عن دينهم ورمز دينهم كما لو كان الأمر لا يعنيهم.

ثم يقول المولف : لذلك وإننى رغم أنى غير مسلم الديانة، ورغم أننى مسيحى أرثوذكسى وأعتز بديانتى إلى آخر يوم فى حياتى، إلا أننى من كثرة البحث العلمى كباحث علمى استفزنى حقًا أن يتعرض الرسول ﷺ لكل هذه الافتراءات من قبل المستشرقين، لذلك فإنى مستعد للتبرع بمبلغ عشرة آلاف دولار لهذه الهيئة الإسلامية التى تدافع عن الإسلام...

رأى الفاحص

هذا الكتاب يتناول سيرة الرسول ﷺ بنظرة باحث علمى محايد، يبحث عن الحقيقة بدون تعصب أو مجاملة، ويرد على افتراءات المستشرقين التى ذكروها فى كتبهم للطعن فى الرسولﷺ، بغية الوصول إلى الطعن فى دين الإسلام، وأنه ليس دينًا سماويًا بل هو من صنع محمد، مستندًا إلى الأدلة الموجودة فى أمهات الكتب، وإلى العقل الذى لا يضل الطريق طالما كان محايداً وغير متعصب.

وأرى طبعه ونشره وتداوله وترجمته إلى اللغات الأجنبية

الفاحص

الشيخ فوزى فاضل الزفزاف

عضو مجمع البحوث الإسلامية

أوافق ،،

د. محمد سيد طنطاوى

الإمام الأكبر للأزهر الشريف

مقدمة
الدكتور / على جمعة
مفتى الديار المصرية

الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، الحمد لله القائل لخاتم أنبيائه «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

وصلى الله وسلم على الرحمة المهداة، دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وبشارة سيدنا عيسى عليه السلام، وعلى آله كلهم إلى يوم القيامة... آمين وبعد،،،

فإن للرسول الكريم - صلوات الله عليه وتسليماته - عظيم القدر عند ربه، وعظيم المنزلة فى قلوب أتباعه من أمته، وكذلك كل الاحترام والتقدير من غير أتباعه من أهل الكتاب، ولا سيما المنصفين منهم.

ومن لم يتبع رسولنا الكريم فى دينه بعد بعثته، هو منتسب إلى أمته باعتبار كونه من أمة الدعوة، تلك الأمة التى حفظها الله كلها متبعين وغير متبعين بوجوده بينهم، قال الله تعالى: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم).

فرسولنا الكريم - صلوات ربى عليه وتسليماته - هو رسول السلام والمحبة والرحمة إلى الكون كله، فهو الذى حث أمته على الرحمة لكل من فى الأرض حيث قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء».

فهو الذى جاء بالرحمة العامة لكل من فى الأرض لاسيما أهل الكتاب وأهل العهود، فقد حذر أمته من الظلم والعدوان عليهم، كما كان ذلك واضحًا فى

أحاديثه، فقال ﷺ: «من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة».

ولأقباط مصر كبير الشأن والمنزلة عند كل المسلمين عامة، ومسلمى مصر خاصة، فقد روت أم سلمة رضى الله تعالى عنها: «أن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته فقال: «الله الله فى قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعوانًا فى سبيل الله».

وقال ﷺ فى حديث آخر« إنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا. وفى رواية: فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحمًا»، أو قال: «ذمة وصهرًا» وفى رواية: «إنكم ستفتحون مصر، وهى أرض يسمى فيها القيراط».

فلرسول الله ﷺ قبل الإسلام رحم فى أهل مصرو باعتبار أم العرب السيدة هاجر رضى الله عنها كانت من أهل مصر. والصهر باعتبار أم إبراهيم السيدة مارية رضى الله تعالى عنها، فهى المرأة الوحيدة التى أنجبت لسيدنا رسول الله ﷺ الولد، بعد أم المؤمنين خديجة رضى الله تعالى عنها.

ولقد فاضت رحمته وسماحته البشر كلهم حتى وصلت إلى كل كائن حى فقد قال ﷺ: «بينما رجل بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى فنزل البئر فملأ خفه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا يا رسول الله وإن لنا فى البهائم لأجرًا فقال فى كل ذات كبد رطبة أجر».

وقد أخبر ﷺ أنه لا يجور ضرب الحيوان واستخدامه فيما لم يخلق له فقال ﷺ: بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلمته فقالت إنى لم أخلق لهذا ولكنى خلقت للحرث قال الناس سبحان الله قال النبى ﷺ فإنى أؤمن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما».

كل هذا وغيره جعل الناس يقفون موقفين متناقضين من هذا الرسول الرحيم الكريم - صلوات ربى وسلامه عليه - الموقف الأول هو موقف المزيفين والمشوهين لتاريخ الإنسانية، وهم الحاقدون، الذين لا يتركون فرصة لتزييف الحقائق أيًا كانت إلا وقاموا بها لمصلحتهم الشخصية التى تأتى بالنكال والوبال على العالم كله.

والموقف الآخر وهو موقف المنصفين عبر التاريخ، الذين يريدون أن يشهدوا شهادة حق تؤكد على مبدأهم القوى، وحيادهم النقى، هؤلاء المنصفون الذين مضوا عبر التاريخ يقررون الحقائق ويدفعون الشبه.

ومن هؤلاء المنصفين رجل غنى عن التعريف، عالم وأستاذ كبير فى مجالات شتى لاسيما المجال الشرعى، مع أنه من الأخوة المسيحيين، من مسيحيى مصر مسيحيى الكنانة الذين شاركوا المسلمين فى مصر وفى الشرق فى بناء الحضارة العربية الإسلامية.

هو الأستاذ الدكتور/ نبيل لوقا بباوى، الذى قام بكتابة هذا الكتاب الرائع فى وقت تحتاج الأمة الإسلامية والعربية لهذه الوقفة الصادقة المخلصة للحق، من كل من عاش فى كنف تلك الحضارة وتربى على أصولها، خاصة من مسيحيى مصر والعرب والشرق.

فها هو يثبت أنه وإن لم يكن دينه الإسلام، لكن حضارته هى حضارة الإسلام والعرب، فقد قام هذا العالم الجليل فى وقت اشتد الخطب على المسلمين والعرب، وسعى المغرضون لتشويه الحقائق.

ولا يخفى الأثر العظيم لهذه الشهادة الصادقة من إخواننا المسيحيين فى مصر والعرب والشرق، للإسلام وأهله - فى هذا الوقت بالتحديد - فإنها وإن لم تقنع الحاقدين وتردعهم، فسوف تضعهم فى حرج، وتجعلهم أمام الناس ليسوا من أهل الديانات السماوية ولا حتى الأرضية، ويعلم كل الخلق أن حربهم هذه حرب الحادية لتدمير الدين والبشرية بأسرها.

فهذا العالم الجليل نموذج ورمز مشرف لكل المسيحيين العرب عامة، ومسيحيى مصر خاصة، وهو يعبر عن موقف التضامن بين المسيحيين والمسلمين فى مصر إزاء هذه الهجمة الشرسة والحرب المفتوحة التى تبتغى إبادة المسلمين والعرب والقضاء عليهما دون تمييز.

وهو فى كتابه هذا الذى سماه «محمد ..والحقيقة والافتراء فى سيرته» يعرض الأحداث والوقائع فى سيرة سيدنا محمد ﷺ والتى تعرضت للتشويه والتزييف، حيث يقوم بكل عقلانية وحياد وإنصاف فى رد هذه الشبه وإثبات زيفها تاريخيًا بشكل مقنع ومبسط ورصين.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب وبمؤلفه، ويكون إضافة إلى تراث العرب والمسلمين والإنسانية بأسرها، فهو نعم المولى ونعم النصير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فضيلة أ. د. / على جمعة محمد

مفتى الديار المصرية

مقدمة

الدكتور / مصطفى الفقى

رئيس لجنة العلاقات العامة بمجلس الشعب

يتدفق هذا المثقف المصرى فى السنوات الأخيرة ليكتب سلسلة ذهبية من المؤلفات القيمة التى تدافع عن الإسلام الحنيف ورسوله الكريم وتقوى عرى الوحدة الوطنية المصرية، وقد استجاب - وهو الكاتب القبطى - مرة أخرى لدعوتنا التى أطلقناها غداة الحادث الإرهابى الذى وقع فى الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ والتى طالبنا فيها - من خلال عدة مقالات فى صحيفتى «الأهرام» القاهرية و«الحياة» اللندنية - الأشقاء من المسيحيين العرب ومن بينهم وربما فى مقدمتهم الأقباط المصريون بأن يواجهوا معنا الهجمة الشرسة التى يتعرض لها الإسلام كما لو كان كل مسلم هو زعيم فى حركة «طالبان» وكل عربى هو «بن لادن»، ولاشك أن الذى أغرانا بذلك هو الإحساس العميق بأن المسيحيين العرب شركاء أصليون فى الحضارة العربية الإسلامية كما أن دفاعهم عن الإسلام يكون أوقع أثرًا وأشد تأثيرًا، وبالمناسبة فنحن لا ندعى أن تاريخ العلاقة بين أصحاب الديانات فى المنطقة كان ورديًا كله ولكننا نزعم أن التعايش المشترك واختلاط الدماء قد جعل منا جميعًا نسيجًا واحدًا مهما اختلفت الأديان والمذاهب والشعائر.

وها هو الدكتور / نبيل بباوى يضيف فضلاً جديدًا إلى سوابق فضله ويدخل هذه المرة إلى قلب الإسلام وجوهر دعوته دفاعًا عن نبيه ﷺ وإظهارًا للحقيقة ودفعًا للأراجيف والأكاذيب والافتراءات ولعلى أظن أن هذا الكتاب هو أخطر كتب الدكتور «بباوى» على الإطلاق لأنه يقتحم العرين ويرد على إفك الكاذبين ويضع

النبى العظيم فى مكانته الصحيحة ويعطيه حقه الكامل لأن اختلاف الديانة لا يمنع الحقيقة ولا يحول دون الصدق فنحن جميعًا نعبد إلهًا واحدًا ونؤمن بكتبه ورسله واليوم الآخر .. دعنى أحيى الكاتب وأرحب بالكتاب وأعبر عن سعادتى وسعادة كل من يقرءون صفحاته - التى اطلع عليها رجال الأزهر الشريف وباركوها شكلاً وموضوعًا - وسوف يضيف هذا الكتاب إضافة قيمة إلى المكتبة العربية والإسلامية، بل إننى أدعو أيضًا إلى ترجمته للغات الأجنبية.

د. مصطفى الفقى

تقديم

الشيخ / فاضل الزفزاف

رئيس لجنة حوار الأديان بالأزهر الشريف

لم تلق سيرة نبى ورسول من أنبياء الله ورسله - عليهم جميعًا الصلاة والسلام - من اهتمام مؤرخى ومفكرى وكتاب العالم مثل ما لقيته سيرة نبى ورسول الإسلام محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - سواءًا كانوا من المؤرخين المفكرين والكتاب المسلمين، أم كانوا من غير المسلمين.

غير أن مؤرخى ومفكرى وكتاب هذه السيرة العطرة اختلفت كتاباتهم تبعًا للدوافع والأهداف والغايات التى من أجلها اهتموا بتناول هذه السيرة بالكتابة والشرح والتحليل والتعليق....

فمنهم من كان محايدًا صادقًا مع نفسه، مراقبًا لضميره فى كتابته، يسجل الحقيقة، ويهدف إلى إظهار عظمة وشموخ شخصية الرسول ﷺ، وإبراز الجوانب المتعددة فى حياته: الاجتماعية، والأخلاقية، والقيادية، والسياسية والعسكرية... إلخ التى جعلت منه شخصية فريدة، لا أقول غيرت مجرى تاريخ العرب، وإنما أقول غيرت مجرى تاريخ البشرية..

ومنهم من كان - للأسف - مغرضًا غير صادق مع نفسه فى كتابته خالف ضميره الفطرى الذى خلقه الله فيه فأخذ يدون أكاذيب ويختلق افتراءات يزور التاريخ، ويلوى الحقيقة حسب هواه لخدمة غرضه، ويحاول الطعن فى الجوانب المتعددة المشرقة من حياةالرسول ﷺ، بهدف الطعن فى دين الإسلام ذاته، والوصول إلى أنه دين غير سماوى، وأنه من صنع محمد... ومن هؤلاء بعض المستشرقين الذين أعماهم حقدهم الأسود على الإسلام فحجب عنهم رؤية

الحقيقة، وأصمهم البغض للإسلام فحجز عنهم سماع نداء الحق، وأخرستهم كراهيتهم للإسلام فمنعتهم من نطق الحق.

غير أن الباطل مهما علا صوته، وقويت شوكته، وطغت دولته، فإن للحق جنوداً يختارهم الله ويوفقهم إلى الطريق المستقيم، فينهضون للبحث عن الحق، ويبذلون جهدهم فى التنقيب عنه لإخراجه وإظهاره وإعلانه، وفضح أكاذيب الأفاكين، وتعرية أقلام المرجفين، وكسر شوكة المضللين...

من جنود الحق هؤلاء الأخ النبيل/ نبيل لوقا بباوى، الذى منذ أن آخيته عرفته نصيراً للحق، مناضلاً ضد الباطل، جندياً قوياً صلباً لا يلين فى معركة الدفاع عن الحق، مهما واجه من صعاب، واصطدم بمعوقات...

لقد قرأ سيادته كثيراً من كتب التاريخ التى تحدثت عن سيرة الرسول محمد ﷺ، قرأها بفكر العالم الباحث المحايد، الذى يجنب الهوى، ويرفض التعصب، وينشد الحقيقة، ويبغى الصواب،،، فلفت نظره، وأثار فطرته النقية التى خلقها الله فيه، وجذب انتباهه الكذب والافتراء الذى كتبه بعض المستشرقين عن الرسول ﷺ.. فدفعته فطرته السوية التى لم تحرفها الأهواء والأغراض، ولم يخالطها التعصب، ولم يفسدها التطرف العقائدى ... دفعته إلى كتابة هذا الكتاب الذى بين يدى القارئ بهدف إظهار الحقيقة فى تاريخ هذا الرسول الكريم العظيم.. والرد على هؤلاء الأفاكين المغرضين بالحجة القوية، والمنطق السليم، والدليل الساطع، والبرهان القاطع ... لأنه - كما يقول - يعلم علم اليقين أن الحركات الصهيونية هى وراء هذه الهجمة الشرسة على الإسلام ورموزه، وأن الهجوم على دين سماوى هو مقدمة للهجوم على أديان سماوية أخرى..

كما يقول : «أنا فى ذلك الكتاب لست مدافعاً عن الإسلام، فالإسلام قادر على الدفاع عن نفسه بمبادئه السامية فى الكتاب والسنة... ولكنى فى ذلك الكتاب باحث علمى فقط يبحث فى مسألة الافتراء على سيرة الرسول ﷺ بمعرفة المستشرقين، وقد اتخذت أسلوب البحث العلمى فى بيان الحقيقة بدون تعصب أو مجاملة، بل استندت إلى الأدلة الموجودة فى أمهات الكتب، وإلى العقل الذى لا يضل الطريق طالما كان محايداً وغير متعصب...

ولذلك سيجد القارئ أن مؤلف الكتاب اتبع منهجًا خاصًا به فى كتابة هذا الكتاب، فلم يقتصر على سرد المعلومات والوقائع التاريخية بعد تحرى الدقة والصدق فيها - كما هو غالب فى كتب السيرة - بل قسم المؤلف الفصل الواحد من فصول كل باب فى الكتاب إلى مبحثين:

المبحث الأول: يتعرض المؤلف لموضوع الفصل من الناحية التاريخية، فيدون المعلومات التاريخية الصحيحة عنه.

المبحث الثانى: عرض رأيه الشخصى فى موضوع الفصل والتعقيب عليه، مستعينًا بأسلوب التحليل العلمى والمنطقى لتأكيد وجهة نظره، والرد على الادعاءات الباطلة لبعض المستشرقين التى ذكروها فى كتبهم تتعلق بموضوع الفصل...

ومن منطلق التزامه باتباع هذا المنهج فى كتابة هذا الكتاب، وشدة حرصه على سد أى باب ينفذ منه أعداء الإسلام للطعن فيه والتشهير به ... فقد رأى - من وجهة نظره - الآتى:

١- أن تسمية الحروب التى وقعت فى عهد الرسول ﷺ بالغزوات تسمية لا تتفق مع التعريف اللغوى الوارد فى معاجم اللغة العربية والأجنبية لتعريف كلمة غزوة، وأن التعريف الصحيح لتلك الحروب أن تسمى: موقعة.

٢- أن الاسم الصحيح لصلح الحديبية هو: هدنة الحديبية

وقد أشرت إلى هذين الرأيين فى تقريرى عن الكتاب بشىء من التفصيل لا داعى لإعادة كتابته هنا منعًا للتكرار.

لقد أثارت الهجمة الشرسة على الإسلام الدكتور/ نبيل لوقا بباوى - مؤلف الكتاب - لا سيما بعد أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ التى وقعت فى أمريكا فيقول: «إنها حملة عالمية ضد الإسلام والمسلمين اشترك فيها الساسة الغربيون والإعلاميون والحاخامات والكهنة الغربيون، لذلك وجدت من واجبى العلمى والقومى كابن من أبناء مصر، يعيش على أرض مصر، وشرب نيلها مع إخوته المسلمين، أن أتعرض لافتراءات المستشرقين، ليس كمصرى يدافع عن الإسلام،

ولكن، كباحث علمي فأنا رغم أنني مسيحي أرثوذكسي أؤمن بمسيحيتي الأرثوذكسية إلى آخر يوم في حياتي لا أجد أي حرج علمي كباحث علمي في تناول افتراءات المستشرقين والرد عليها بأسلوب البحث العلمي المحايد، فقد كتب عباس محمود العقاد المفكر المصري الكبير كتابًا عن عبقرية المسيح كبحث علمي أدبي رغم أنه مسلم الديانة، فالبحث العلمي المحايد يتناول أي موضوعات بشرط الحيدة والصدق، والأمانة في تناولها.

ومن معايشة المؤلف لواقع المسلمين المؤلم، وإحساسه بتقصيرهم في عرض دينهم العرض الصحيح السليم، وخاصة في دول أوروبا وأمريكا بلغات شعوبها، وشعوره بتقصيرهم في الرد على أعداء الإسلام يقول:

«والغريب في أمر المسلمين وفي الدول الإسلامية والدول العربية، أنه يوجد في أوروبا وأمريكا أكثر من مائة وعشرين معهدًا للاستشراق ليس لها هدف إلا دراسة وتحليل الإسلام ورموزه وحضارته وعقيدته وتاريخه وفقهه... وكل معهد له من الإمكانات المادية والفكرية ما يجعله قادرًا على إصدار مئات المؤلفات عن الإسلام.. ولكن الوضع المأساوي حقًا في حياة الأمة الأسلامية اليوم أنه لا يوجد في العالم الإسلامي والعربي معهد واحد متخصص مستقل عن هيمنة وسيطرة المؤسسات لحكومية للرد على مئات المؤلفات من المستشرقين في معاهد أوروبا وأمريكا .. وكل ما يفعله العالم الإسلام والعربي هو الصياح والضجيج والشكوى ولطم الخدود والاستنكار والشجب وإمساك الميكروفونات كما لو كان المسلمون ظاهرة صوتية فقط...

ويتساءل المؤلف – مستنكرًا – إذا لم تدافع الدول الإسلامية عن الإسلام ضد دعاوى المستشرقين، فما هو الغالي لدى الدول الإسلامية لتدافع عنه؟ إن الدول الإسلامية إذا انصرفت عن الإسلام والدفاع عنه فقدت عزتها وكرامتها، إن الإسلام هو السياج الواقي الذي يحمي الأمة الإسلامية.

لذلك ينادي المؤلف للمرة المائة بإنشاء هيئة إسلامية عالمية لا تتبع أي دولة من الدولة الإسلامية أو العربية حتى لا تسيطر عليها فكريًا وتخضع لتوجهاتها ...

وتكون وظيفة هذه الهيئة الإسلامية الرد على طوفان افتراءات المستشرقين ومعاهدهم فى أوروبا وأمريكا، فالعيب كل العيب أن تجد كثيرًا من المسلمين يصرفون الملايين فى اللهو وفى صالات القمار ومواخير النساء فى أوروبا وأمريكا بينما حبيبهم الرسول محمد ﷺ تنهال عليه موجات الافتراء على سمعته وسيرته ولا يتحركون للدفاع عن دينهم كما لو كان الأمر لا يعنيهم...

ثم يقول المؤلف: لذلك وإننى رغم أنى غير مسلم الديانة، ورغم أننى مسيحى أرثوذكسى وأعتز بديانتى إلى آخر يوم فى حياتى، إلا أننى من كثرة البحث العلمى كباحث علمى استفزنى حقًا أن يتعرض الرسول ﷺ لكل هذه الافتراءات من قبل المستشرقين، لذلك فإننى مستعد للتبرع بمبلغ عشرة آلاف دولار لهذه الهيئة الإسلامية التى تدافع عن الإسلام ...

وبعد أن ذكر المؤلف بعض مواقف للصحابة - رضوان الله عليهم - وبذلهم أموالهم فى سبيل الله والدفاع عن الإسلام يقول :

وهنا أطرح سؤالاً لا أجد له إجابة ... هكذا كان يتصرف المسلمون الأوائل بالتبرع بكل ما لديهم للدفاع عن الدولة الإسلامية، والسؤال هو: لماذا يتقاعس المسلمون الآن فى الدفاع عن مقدساتهم الإسلامية؟؟ وهذا هو المسجد الأقصى الذى صلى فيه الرسول ﷺ فى رحلة الإسراء يتعرض للغطرسة اليهودية ولا يجد أحدًا يدافع عنه إلا بالشجب والأقوال الجوفاء!! متى يظهر بين المسلمين أبو بكر الصديق آخر يتبرع بكل ما يملك من أجل المقدسات الإسلامية والدولة الإسلامية؟؟ متى يظهر بين المسلمين صلاح الدين الأيوبى آخر ينقذ المقدسات الإسلامية؟؟ أسئلة لا أستطيع الإجابة عليها ولكن قد تجيب عليها الأيام القادمة...

إننى - كمسلم - لا أملك أمام صراحة المؤلف فى وصف الوضع المتردى للمسلمين حاليًا، وبيان ما وصل إليه حال أمتهم من الضعف والهوان، وشرح حالة اللامبالاة التى يعيشها القادرون من أثرياء المسلمين الذين يملكون القدرة على إنشاء تلك الهيئة الإسلامية العالمية المستقلة - التى يقترح المؤلف إنشاءها -

لتقوم بأداء مهمتها فى الرد على طوفان افتراءات المستشرفين ومعاهدهم فى أوروبا وأمريكا ... ولتوضيح صورة الإسلام الصحيحة السليمة الجميلة المشرقة.

ولا أملك أما إعلان المؤلف - وهو مسيحى أرثوذكس - تبرعه بمبلغ عشرة الاف دولار لهذه الهيئة لتؤدى مهمتها وتقوم بوظيفتها...

ولا أملك أمام استنهاض المؤلف همم وعزائم المسلمين بتذكيرهم بماضيهم الشامخ وتاريخ عظماء أمتهم، وسلوك أجدادهم فى البذل والعطاء بالنفس والمال لعزة دينهم ورفع شأن إسلامهم...

لا أملك أمام ذلك كله إلا أن أحيى أخى النبيل الدكتور/ نبيل لوقا بباوى على تأليفه هذا الكتاب القيم، وعلى صراحته، وعلى مبادرته، وعلى استنهاض همم المسلمين،راجيًا أن تتحقق دعوته، داعيًا الله أن يمتعه بالصحة والسلامة ليظل قلمه دائمًا ناطقًا بالحق ومدافعًا عنه.

فوزى فاضل الزفزاف

عضو مجمع البحوث الإسلامية

رئيس اللجنة الدائمة للأزهر

للحوار بين الأديان السماوية

وكيل الأزهر السابق

مقدمة المؤلف

أولاً: بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التى حدثت فى أمريكا تعرض الإسلام ورموز الإسلام وخاصة الرسول ﷺ لموجة من الظلم والافتراء والكذب وذلك بغرض تشويه صورة الإسلام وتشويه الحقائق لدى المسملين أنفسهم والحيلولة بينهم وبين دين الإسلام ليسلبوهم مصدر قوتهم وعزتهم فكان فى البداية يقوم بدور تشويه الإسلام المستشرقون وهم جماعة عكفوا على دراسة الإسلام ورموز الإسلام فى مطلع القرن الثامن عشر وهم يرتدون نظارة سوداء تجاه الإسلام لتشويه صورته وكان الحقد والعداء رائدهم فى كل ما يتوصلون إليه من آراء تجاه الإسلام وكان هناك قسم قليل من المستشرقين محايداً وقسم آخر منصفاً ولكن الغالبية منهم كانوا يرتدون نظارة الحقد والكراهية تجاه الإسلام ولكن بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ اشترك فى تشويه الإسلام الساسة الأمريكان والغربيون والمفكرون الغربيون والإعلاميون وأصبح الإسلام مرادفاً لأسامة بن لادن فى نظرهم رغم أن الإسلام بمبادئه فى القرآن والسنة حجة عل تابعيه وليست تصرفات تابعيه المخالفة لمبادئ الإسلام حجة على الإسلام.

ثانياً: وكانت هناك دعوة كريمة من أخ كريم وهو الدكتور مصطفى الفقى إثر الحادث الإرهابى الذى وقع فى الحادى عشر منسبتمبر ٢٠٠١ بأن يتبنى المسيحيون العرب الدفاع عن الإسلام أمام الهجمة الشرسة والحرب المفتوحة عليه لأن المسيحيين العرب هم شركاء أصليون فى الحضارة العربية الإسلامية وشهادتهم للدفاع عنه غير مجروحة وسيكون لها تأثير أوقع لدى الغرب الذى لم

تتفهم بعض دوائره حتى الآن سماحة الإسلام لها وحقيقته وقد تلقفت هذه الدعوة الكريمة من الأخ الكريم دكتور مصطفى الفقى ودرستها بعقلية المصرى المحب لتراب أرض وطنه الذى يحلم بأن تكون الوحدة الوطنية أحد سمات ومعالم المجتمع المصرى. لذلك كتبت كتابى هذا «محمد ﷺ الحقيقة والافتراء فى سيرته) للرد على المطاعن والافتراء والظلم ضد الإسلام ورمزه محمد الرسول ﷺ من المستشرقين لأنى أعلم علم اليقين أن الحركات الصهيونية هى وراء هذه الهجمة الشرسة على الإسلام ورموزه وأنا فى ذلك الكتاب لست مدافعًا عن الإسلام فالإسلام قادر على الدفاع عن نفسه بمبادئه السامية فى الكتاب والسنة ولكنى فى ذلك الكتاب باحث علمى فقط يبحث فى مسألة الافتراء على سيرة الرسول ﷺ بمعرفة المستشرقين وقد اتخذت أسلوب البحث العلمى فى بيان الحقيقة بدون أى تعصب أو مجاملة فلا يوجد فى كل أبواب الكتاب أى مجاملة، بل استندت إلى الأدلة الموجودة فى أمهات الكتب وإلى العقل الذى لا يضل الطريق طالما كان محايدًا وغير متعصب وقد ساعدنى على ذلك البحث العلمى أن انتهيت تقريبًا من رسالة الدكتوراة الثالثة فى الشريعة الإسلامية وموضوعها (حقوق وواجبات غير المسلمين فى الدولة الإسلامية) تحت إشراف الدكتور محمد حمدى زقزوق وزير الأوقاف والإعداد لرسالة الدكتوراة فى الشريعة الإسلامية جعلنى أبحث فى أمهات الكتب الإسلامية فى السيرة النبوية والفقه الإسلامى والتاريخ الإسلامى وأسباب التنزيل والناسخ والمنسوخ وغيرها من العلوم الإسلامية لإعداد المادة العلمية لرسالة الدكتوراة فى الشريعة الإسلامية.

ثالثا: وللأسف اشترك فى هذه الحملة على الإسلام الصهيونية العالمية، فهذا هو اليهودى جولدزيهر الملقب بشيخ المستشرقين لم يترك نقيصة وإلا لصقها بالإسلام وحاول طمس الحقائق وها هو القس المسيحى فاويل وهو قس أمريكى زعيم الائتلاف المسيحى فى أمريكا يطلق على الإسلام وعلى رسوله ﷺ أبشع الأوصاف، إنها حملة عالمية ضد الإسلام والمسلمين اشترك فيها الساسة الغربيون والإعلاميون والحاخامات والكهنة الغربيون، لذلك وجدت من واجبى العلمى والقومى كابن من أبناء مصر، يعيش على أرض مصر وشرب من نيلها مع إخوانه

المسلمين أن أتعرض لافتراءات المستشرقين ليس كمصرى يدافع عن الإسلام ولكن كباحث علمى لا أجد أى حرج علمى كباحث علمى فى تناول افتراءات المستشرقين والرد عليه بأسلوب البحث العلمى المحايد فقد كتب عباس محمود العقاد المفكر المصرى الكبير كتابًا عن عبقرية المسيح كبحث علمى أدبى رغم أنه مسلم الديانة، فالبحث العلمى المحايد يتناول أى موضوعات بشرط الحيدة والصدق والأمانة فى تناولها.

رابعًا : الإسلام منذ أن ظهر منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان منذ بداية الوحى (فى عام ٦١٠م على الرسول ﷺ تقريبًا حتى اليوم والمشككون والمستشرقون يشككون فى الإسلام ذاته ورسوله ﷺ ومبادئه وتعاليمه ولم تنقطع موجات التشكيك حتى اليوم ولكن للأسف الشديد زادت حدة التشكيك والموجة الشرسة على الإسلام بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ فى أمريكا رغم أن الإسلام اعترف بكل الديانات السماوية السابقة ولم يجبر أحدًا على اعتناق الإسلام طبقًا لما ورد فى سورة البقرة ٢٥٦ ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ ورغم اعتراف الإسلام بالديانات السماوية السابقة المسيحية واليهودية إلا أنه يتعرض للهجوم من المستشرقين من اليهود والمسيحيين الذى وصل خيالهم فى الطعن فى الإسلام ورسوله ﷺ إلى حد اللامعقول وزاد من بشاعة الهجوم الشرس على الإسلام أننا فى عصر تدفق المعلومات وأصبحت كل دول العالم قرية واحدة مفتوحة السماء ملئوها بشبكات الإنترنت والقنوات الفضائية بسيل من الافتراءات على الإسلام ورسوله ﷺ والغريب فى أمر المسلمين وفى الدول الإسلامية والدول العربية، إنه يوجد فى أوروبا وأمريكا أكثر من مائة وعشرين معهداً للاستشراق ليس لها هدف إلا دراسة وتحليل الإسلام ورموزه وحضارته وعقيدته وتاريخه وفقهه وكل معهد له من الإمكانات المادية والفكرية ما يجعله قادرًا على رصد مئات المؤلفات عن الإسلام ولكن الوضع المأساوى حقًا فى حياة الأمة الإسلامية اليوم أنه لا يوجد فى العالم الإسلامى والعربى معهد واحد للرد على مئات المؤلفات من المستشرقين فى معاهد أوروبا وأمريكا وكل ما يفعله العالم الإسلامى والعربى هو الصياح والضجيج والشكوى . ولطم الخدود، والاستنكار، والشجب

وإمساك الميكروفونات كما لو كان المسلمون ظاهرة صوتية فقط، وذلك للرد على ما يكتبه المستشرقون ضد الإسلام ورموزه ولكن لا يوجد عمل إيجابى حقيقى على المستوى العلمى والفكرى للرد على دعاوى وافتراءات المستشرقين مقبول عالميًا فى ظل الوضع المتردى السياسى للدول الاسلامية(١) فقد أصبحوا ظاهرة صوتية سياسيًا لأن ضعفهم جعلهم لا وزن لهم ولكن هذا غير مقبول لا تاريخيًا ولا دينيًا ولا إسلاميًا أن تكون كل الدول الإسلامية ظاهرة صوتية فى الدفاع عن الإسلام ورسول الإسلام ﷺ إذا لم تدافع الدول الإسلامية عن الإسلام ضد دعاوى المستشرقين، فما هو الغالى لدى الدول الإسلامية حتى تدافع عنه، إن الدول الإسلامية إذا انصرفت عن الإسلام والدفاع عن الإسلام فقدت عزتها وكرامتها. إن الإسلام هو السياج الواقى الذى يحمى الأمة الإسلامية، لذلك للمرة المائة ينادى المؤلف بإنشاء هيئة إسلامية عالمية لا تتبع أى دولة من الدول العربية أو الإسلامية حتى لا تسيطر عليها فكريًا وتكون وظيفة هذه الهيئة الإسلامية الرد على طوفان افتراءات المستشرقين ومعاهد المستشرقين فى أوروبا وأمريكا، فالعيب كل العيب أن تجد كثيرًا من المسلمين يصرفون الملايين فى اللهو وفى صالات القمار ومواخير النساء فى أوروبا وأمريكا بينما حبيبهم الرسول محمد ﷺ تنهال عليه موجات الافتراء على سمعته وسيرته ولا يتحركون للدفاع عن دينهم ورمز دينهم كما لو كان الأمر لا يعنيهم إلا أننى كباحث علمى استفزنى حقًا أن يتعرض الرسول ﷺ لكل هذه الافتراءات من قبل المستشرقين. لذلك فإننى مستعد للتبرع بمبلغ عشرة آلاف دولار لهذه الهيئة الإسلامية التى تدافع عن الإسلام وأخيرًا أوجه سؤالاً لكثير من المليونيرات المسلمين فى كل الدول الإسلامية والعربية ... لو أن شخصًا افترى على والدك أو والدتك بالكذب.. هل ستسكت ولاترد؟ أم أنك سوف تفعل شيئًا؟ فما بالك إذا كان الافتراء على رسول الله ﷺ أو على الإسلام .. لقد أنفق أبو بكر الصديق كل ما يملك وهو أربعين ألف دينار فى سبيل الدعوة الإسلامية وكل ما هو مطلوب من مليونيرات المسلمين والعرب هو مائة دولار فقط من كل واحد بعد أن تتفق مجموعة من كبار علماء العرب والمسلمين على مكان هذه الهيئة الإسلامية العلمية وكيفية إدارتها هل مائة دولار كثيرة على الإسلام والرسول ﷺ؟؟...

حاسماً : وعلى ذلك فإن هذه الهيئة الإسلامية يجب أن تكون لديها يد المبادرة في الرد على افتراءات المستشرقين بالكتب والدوريات وفي المجلات والصحف وفي الإنترنت، وكذلك يجب أن يكون لها يد المبادرة في عرض وجهة نظر الهيئة عن الإسلام ورموز الإسلام وحضارته وعقائده باللغات الأوروبية لأنه كفانا الحديث عن الإسلام وأحواله وحضارته باللغة العربية لأننا عندما نكتب باللغة العربية نتحدث مع أنفسنا، بل يجب أن نتخطى هذه المرحلة ونتحدث إلى الآخرين عن الإسلام، كما يراه المسلمون من مبادئ سامية في القرآن والسنة لأن كتابات المستشرقين عن الإسلام أغلبها كتابات لايستخدم فيها الأسلوب العلمي، ومبنية على التعصب ضد الإسلام بغرض وحيد هو تشويه صورة الإسلام في نظر الغرب وفي نظر المسلمين أنفسهم بإبعادهم عن دينهم، إن عدم رد المسلمين باللغات الأوروبية على افتراءات المستشرقين من خلال هيئة إسلامية مستقلة حتى لا يكون المسلمون في هذا الموقف كالنعامة يخفون رءوسهم في الرمال حتى لا يروا من يريد اصطيادهم من المستشرقين بتشويه صورة الإسلام ورموزه. كيف يقبل ضمير المسلمين بتجاهل كل ما ينشر عن دينهم في الحضار الغربية ومئات الآلاف من بحوث المستشرقين تصل إلى المسلمين وتؤثر في نظرتهم للإسلام لأن المسلمين تركوا الساحة خالية للمستشرقين يبثون فيها سمومهم من وجهة نظر حقدهم وتعصبهم دون أن يرد عليهم أحد، والغريب في الأمر أن المستشرقين حينما يكتبون عن الديانات الأخرى غير السماوية مثل البوذية أو الكونفشيوسية أو الهندوسية يكتبون بتعقل شديد أما حينما يكتبون عن الإسلام يكتبون بتعصب شديد رغم أن الإسلام اعترف بالديانات السابقة عليه المسيحية واليهودية بل يصل الأمر إلى حد اللامعقول فعندما يكتب مستشرق معتدل عن الإسلام يتم مصادرة كتبه ويجد مئات المستشرقين يردون عليه، فعلى سبيل المثال المستشرق دولا نفلييه ظهر له كتاب في لندن (حياة محمد) تكلم بموضوعية عن الإسلام فتم مصادرة الكتاب كما لو كان المطلوب من الغرب إظهار النقائص وإلصاقها بالإسلام وهذا موقف غريب ليس له مبرر علمي أو أخلاقي لأن البحث العلمي له قواعد وهو الحيدة والبعد عن الهوى، لذلك في هذا الجو المحموم تجد بعض الكتاب

الإسلاميين يصدرون كتبًا عن المسيحية ورموزها بها تعصب كرد فعل طبيعى لكتابات المستشرقين أمثال الداعية الإسلامى ديدات مدير المركز الإسلامى بجنوب إفريقيا، وهنا تصدر صرخة ألم من المؤلف وهو يتساءل .. لماذا لا ينشأ مناخ وتقاليد حلوة وجميلة بين الكتاب الباحثين فى الإسلام والكتاب الباحثين فى المسيحية بأن يتناولوا الديانات ورموزها بألفاظ حضارية وأن يكون رائدنا جميعًا البحث فى المسائل الاتفاقية والبعد عن المسائل الخلافية والبعد عن العقائد حتى تسمو العلاقات بين المسلمين والمسيحيين فى جو من المحبة والصداقة بعيدًا عن جو الحقد والكراهية وخاصة لا يوجد شخص يؤمن بدين سماوى يغير عقيدته من أجل كتاب كُتِب هنا أو هناك والتعصب والسموم تقطر من كل سطر فيه، إن التعصب يأكل اليابس والأخضر أما المحبة فتبنى الحب والصداقة، من يصدق أن يصل التعصب الأعمى بكاتب عالمى مثل «فولتير» وهو أديب فرنسى يعد قطبًا من أقطاب عصر التنوير فى فرنسا يكتب مسرحية مأساوية كلها أكاذيب اسمها «محمد أو التعصب» ويتم عرض المسرحية فى فرنسا تشوه صورة الإسلام والرسول من أنه يجرى خلف شهواته الجنسية ومتعطشًا للدماء. وهنا سؤال لا أجد له إجابة وهو .. أين أنتم يا مسلمون مما يحدث لرسولكم ﷺ؟ ... وها هو المستشرق مرجليوث فى كتابه (محمد ونهضة الإسلام) وهو مستشرق إنجليزى كان أستاذ اللغة العربية بجامعة أكسفورد قال عن الرسول ﷺ أنه دجال ماكر معدوم الضمير وسياسى يخدع الآخرين بشعاويذه والسؤال .. إلى متى يصبح الإسلام ورموزه موضع تجريح دون أن يجد من يدافع عنه ؟؟... إنه باسم العلم والاستشراق شوهت الكثير من الحقائق التاريخية فى حياة الرسول ﷺ والمسلمين.

سادسًا: أحد أغراض كتابة هذا الكتاب خلق ترابط بين المعتدلين المسلمين والعتدلين المسيحيين بحيث تسود ثقافة الاعتدال والمودة التى يمثلها بذكاء الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وقداسة البابا شنوده بطريرك الأقباط الأرثوذكس بحيث يحل مناخ الاعتدال فى العلاقة بين المسلمين والمسيحيين تدعيمًا لوحدتنا الوطنية بدلاً من مناخ التعصب بين المسلمين والمسيحيين الذى

يأكل اليابس والأخضر ويجنى على وحدتنا الوطنية التى هى طوق النجاة لاستقرار وأمن الأمة المصرية ومناخ الاعتدال يقوم على ركائز عديدة منها ركيزة أولى أن الديانات السماوية منزلة من عند الله الواحد. لذلك يجب على أتباع كل دين أن يتحدثوا بلغة حضارية عن الأديان السماوية المخالفة لهم بعيداً عن لغة التجريح والذم فى الديانات السماوية المخالفة لإثبات أحقية أية ديانة معينة أحق بالسيادة والسيطرة وأنها تملك الحقيقة المطلقة فهذا لن نجنى منه إلا الحقد والكراهية لأن كل الديانات منزلة من عند الله الواحد ولكل ديانة خصوصياتها العقائدية ويجب على أتباع كل دين احترام خصوصيات وعقائد الديانات الأخرى دون الإيمان بها أو الاعتراف بها لأن الله لو أراد أن يجعل الدنيا كلها على دين واحد لفعل ذلك وهو القادر على كل شيء، فقد ورد فى سورة هود آية ١١٨ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ولكن لحكمة إلهية جعل ثلاثة أديان يتنافس أتباعها على عبادة الله الواحد والعمل الصالح وفى البعد عن الفساد والرذيلة وكذلك يقوم مناخ الاعتدال على ركيزة ثانية هى أن أتباع كل دين حفاظًا على مناخ الاعتدال يجب أن يتحدثوا فى المسائل الاتفاقية والبعد عن المسائل الخلاقية خاصة فى العقائد لأنه لا جدوى من عملية النقاش فيها، فالعقائد تدخل الوجدان الإنسانى لأتباع كل دين كما هى ومن الصعوبة تغييرها، فالدين لله وليس من حق الإنسان محاسبة الإنسان المخالف له فى العقائد بل الحساب لله وحده فى الآخرة وركيزة ثالثة حفاظًا على مناخ الاعتدال يجب على أتباع كل دين سماوى تناول رموز الديانات المخالفة بلغة حضارية بكل احترام وتقدير بلا تعصب ممقوت».

سابعًا: إن تعريف كلمة الغزو من «غزا القوم - هاجمهم فى ديارهم وسار إلى قتالهم لاحتلالهم، كما ورد ذلك فى المعجم العربى الأساسى الصادر من المنظمة العربية للتربية والثقافة، ولو فحصنا فى كل معاجم العالم كله، فى كل لغات دول العالم لوجدنا معنى كلمة الغزو مثل معنى كلمة الغزو فى اللغة العربية، ففى اللغة الإنجليزية كلمة غزو وهى Invades وهى معناها ANation Invades Another Nation and Occupy It وعلى ذلك لو حللنا بصدق وأمانة وحيدة كل ما تقول عليه

كتب السيرة من غزوات لوجدناها كلها لا تنطبق عليها معنى الغزو الموجود فى معجم اللغات فى كل لغات العالم فمثلاً غزوة بدر كانت لأخذ حقوق المسلمين لدى كفار قريش وغزوة أحد كانت للدفاع عن النفس وغزوة الخندق كانت للدفاع عن النفس، لذلك أتمنى تغيير كلمة غزوة بكلمة موقعة لأن المستشرقين يشوهون الإسلام والرسول ﷺ بأنه فى المواقع الحربية كان غازيًا وهو ليس كذلك، لذلك عند قراءة هذا الكتاب فى كل الغزوات مراعاة معنى الغزو فى المعجم العربى والمعاجم الأجنبية وتحليل كل غزوة سوف نجد بحيدة شديدة أنها ليسا غزوات، بل هى وقائع حربية أغلبها للدفاع عن النفس والدعوة الإسلامية وأرض المسلمين أو لأخذ حقوق المسلمين.

ثامنًا: وأمام ذلك الهجوم الشرس على الإسلام ورموزه وخاصة الرسول ﷺ وجدت من واجبى العلمى وواجبى القومى، فأنا مسيحى أعيش بين إخوانى المسلمين فى أمان، كمصرى أولاً وأخيرًا أن أرد على كل افتراءات المستشرقين وقد جمعتها على قدر المستطاع وفى حدود الإمكانات المتاحة وقد رددت عليها ردًا علميًا كباحث علمى بعيدًا عن أننى مسيحى وغير مسلم وبعيدًا عن التعصب أو المجاملة وقد تناولت السيرة النبوية للرسول ﷺ وقمت بالتعقيب عليها منذ ميلاد الرسول ﷺ فى عام ٥٧٠ م حتى وفاته فى عام ٦٣٢م عن طريق البحث العلمى فكنت أكتب الوقائع والأحداث فى السيرة النبوية كلها حسب تاريخ وقوعها وحسب تاريخ الأحداث وقد قمت بأهم عمل فى حياتى من البحث العلمى.. إننى قمت بتبسيط لغة السيرة النبوية إلى لغة يستطيع أن يفهمها ويستطيع أن يقرأها أى قارئ عادى لأن بعض كتب السيرة النبوية بوضعها الحالى معقدة لغويًا وفى بعض الأحيان تحتاج إلى البحوث اللغوية لفك طلاسم ومعانى الجمل ومفردات اللغة. وقد تناولت كتاب (محمد ﷺ الحقيقة والافتراء فى سيرته) فى تسعة أبواب على النحو التالى:

الباب الأول: مولد ارسول ﷺ وفترة شبابه.

الباب الثانى: الدعوة الإسلامية.

الباب الثالث: الخروج بالدعوة من مكة للمدينة.

الباب الرابع: بداية الغزوات الكبرى.

الباب الخامس: الغزوات والوقائع قبل صلح الحديبية.

الباب السادس: غزوة خيبر حتى فتح مكة.

الباب السابع: دعوة الحكام للإسلام حتى انتصار المسلمين على الدولة البيزنطية.

الباب الثامن: الجزية على غير المسلمين فى عهد الرسول ﷺ ومابعده.

الباب التاسع: انتشار الإسلام وحجة الوداع ووفاة الرسول ﷺ.

دكتور

نبيل لوقا بباوى

الباب الأول

مولد الرسول ﷺ وفترة شبابه

سوف نتحدث فى هذا الباب عن ولادة الرسول ﷺ وفترة شبابه من حيث الظروف البيئية ومن حيث المكان فى شبه الجزيرة العربية وتحديداً فى أهم مدنها فى مكة التى كانت أهم الأماكن اقتصاديًا، فهى ملتقى التجارة والقوافل التجارية بين بلاد الشام وحوض البحر المتوسط وباليمن والشام والسواحل المطلة على المحيط الهندى وفى شبه الجزيرة العربية كانت توجد بها أديان مختلفة، اليهودية والمسيحية والبعض كان يعبد الأوثان وكان يحكم شبه الجزيرة العربية النظام القبلى الذى يقوم أساسًا على التجارة والزراعة والحروب الدائمة بين القبائل وكان هذا النظام القبلى يقوم على تعدد الزوجات ووأد البنات، فى هذا المناخ البيئى والسياسى ولد الرسول ﷺ فى عام الفيل فى عام ٥٧٠ م من يوم الاثنين ١٢ من ربيع الأول، أبوه عبدالله بن عبدالمطلب وأمه آمنة بنت وهب ومات والده قبل ميلاده وكفله جده عبدالمطلب حتى توفيت والدته بعد أن ماتت فى الأبواء وبذلك أصبح الرسول ﷺ يتيم الوالدين وهو فى السادسة من عمره وفى الثامنة من عمره كفله عمه أبو طالب بعد وفاة جده وفى الثانية عشر من عمره خرج فى أول رحلاته التجارية للشام مع عمه أبى طالب وهناك تقابل مع الراهب النصرانى بحيرى وهو فى عامه الثانى عشر، وفى عام ٥٨٥م حضر حرب الفجار وفى عامه العشرين فى عام ٥٩٠م حضر حلف الفضول للصلح بين القبائل العربية وسوف نتناول ذلك فى فصلين على النحو التالى:

الفصل الأول: الظروف البيئية لولادة الرسول ﷺ.

الفصل الثانى: الظروف الاجتماعية لولادة الرسول ﷺ.

وسوف نتناول هذين الفصلين على النحول التالى:

الفصل الأول

الظروف البيئية لولادة الرسول ﷺ

سوف نتناول الظروف البيئية لولادة الرسول ﷺ فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: الظروف البيئية لولادة الرسول ﷺ.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى الظروف البيئية لولادة الرسول ﷺ وذلك تفصيلاً على النحو التالى:

المبحث الأول

الظروف البيئية لولادة الرسول ﷺ

أولا: شبه الجزيرة العربية يحيط بها الخليج العربى وبحر العرب شرقًا والمحيط الهندى جنوبًا والبحر الأحمر غربًا ومن الشمال بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين العراق.

ثانيًا: العرب فى شبه الجزيرة العربية هم أولاد إسماعيل عليه السلام الذى يعتبر أول من تكلم باللغة العربية البليغة ثم بعد إسماعيل عليه السلام انقسم العرب إلى قسمين بسبب اختلاف اللهجات والمصالح السياسية عرب الجنوب وموطنهم الأصلى اليمن وهم القحطانيون، عرب الشمال وموطنهم الأصلى مكة وأرض الحجاز وهم العدنانيون وتعتبر الحجاز أهم مناطق شبه الجزيرة العربية اقتصاديًا ودينيًا فقد كانت حلقة الوصل وتربط بلاد الشام وحوض البحر

المتوسط باليمن والحبشة والسواحل المطلة على المحيط الهندى وفى شبه الجزيرة العربية تلاقت الوثنية إلى جانب اليهودية والنصرانية وكانت بداية الإسلام وأهم مدن الحجاز هى مكة والطائف ويثرب.

ثالثًا: مكة التى ولد بها محمد ﷺ وردت فى القرآن تحت اسم (بكة) ورد ذلك فى سورة آل عمران آية ٩٦ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ وتعنى موضع البيت وسميت مكة كذلك (أم القرى)، وقد ورد ذلك فى سورة الأنعام آية ٩٢ ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، وكذلك سميت (البلد الأمين) وقد ورد ذلك فى سورة التين الآية ٣ ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ وسميت كذلك بـ (البيت العتيق) وقد ورد ذلك فى سورة الحج آية ٢٩ ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ وسميت بالبيت الحرام، وقد ورد ذلك فى سورة المائدة آية ٩٧ ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وسميت كذلك بـ (البيت المحرم) وقد ورد ذلك فى سورة إبراهيم آية ٣٧ ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ والرأى الراجح فى تسمية مكة أنها مشتقة من كلمة «مكرب» وتعنى الهيكل المقدس ثم تحولت إلى «مكة» حيث كان مقام إبراهيم عليه السلام الذى أسسها، فقد ورد فى سورة آل عمران فى الآيتان ٩٦، ٩٧ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ وقد كان إسماعيل - أبو العرب - هو أول من اتخذ مكة مقامًا وسكنًا بعد بناء البيت الحرام وبعد أن خرج الماء بين يديه وهو صغير عند بئر زمزم.

رابعًا: وقد نزحت قبيلة خزاعة من الجنوب إلى مكة بعد انهيار سد مأرب الذى يعتبر أعظم مشروع رى عرفه العالم فى ذلك الوقت وقد بنى بالحجارة

والتراب بطول ثمانمائة ذراع بهدف حجز مياه الأمطار والسيول لرى المناطق المجاورة له طوال العام وفى عام ٤٥٠م تهدم سد مأرب مما أدى إلى فرار جماعات كبيرة من السكان إلى الجبال، لذلك هاجرت قبيلة خزاعة إلى مكة وكان من هذه القبيلة أول من تولى أمر البيت الحرام «عمرو بن لحى» وهو الذى غير دين إبراهيم ﷺ إلى عبادة الأوثان وبعد ذلك تغلبت قبيلة قريش فى مكة بعد أن بسطت نفوذها على يد قصى بن كلاب فى أواخر القرن الخامس الميلادى بعد تغلبه على قبيلة خزاعة وانتصار قبيلة قريش فى ذلك وسيادتها لمكة.

خامساً: بعد سيطرة قريش على مكة كانت تنقسم إلى عشرة فروع يسكنون حول الكعبة وهم فروع هاشم وأمية ونوفل وزهرة وأسد وتميم ومخزوم وعدى وجمح وسمح.

سادساً: كان يحكم شبه الجزيرة العربية النظام القبلى وما يصاحبه من نزاعات وحروب وقد طغت الوثنية على معتقدات العرب رغم وجود الديانة اليهودية والمسيحية والحنفية وكان أهم ما يعتمد عليه العرب فى حياتهم هو التجارة وكانت التجارة بالنسبة لأهل مكة هى المورد الرئيسى لرزقهم، ولقد عقدت قريش مع القبائل الموجودة بين مكة وبلاد الشام وبين مكة وبلاد اليمن والحبشة «عقد الائتلاف» وهو عقد أمان للقوافل المارة فى هذه الطرق بحيث لا تتعرض لها هذه القبائل وقد أصبحت بلاد الحجاز ملتقى التجارة بين الشام واليمن، فازدهرت مكة ويثرب والطائف وساعد على ذلك الحروب المتواصلة بين فارس وبيزنطة فقد كانت الحروب لا تنقطع بينهم وكان العرب يقيمون أسواقًا فى أوقات محددة من كل سنة وأشهر هذه الأسواق سوق «عكاظ» القريب من مكة وكانت كل قبائل العرب تحضر إليه للتجارة.

سابعاً: وكان يحكم القبائل العربية النظام القبلى، فالنظام السياسى هو زعامة القبيلة وهو شيخ القبيلة ويساعده فى تسيير الحكم داخل القبيلة رؤساء العشائر فكان الولاء للقبيلة لذلك كان يحكمهم فكرة العصبية للقبيلة دون أن يكون بين القبائل العربية أى ترابط سياسى، وكثيرًا ما كانت القبائل تحتكم إلى مجالس خاصة، ففى قبيلة قريش بمكة كان يوجد «مجلس الملاء» الذى يضم رؤساء الأسر

المعروفة ويعقد فى دار الندوة بمكة للفصل فى الخصومات والتباحث فى أمور القبيلة وأمور التجارة والحروب.

ثامنًا: وكان من عادات العرب تعدد الزوجات حيث كان العربى لا يكتفى بزوجة واحدة، إما بقصد إعالتهن أو لغرض سياسى بأن يرتبط بعدد كبير من القبائل إذا كان رئيسًا للقبيلة ليرتبط برباط المصاهرة مع القبائل الأخرى للمناصرة والسند والمؤازرة أو تعدد الزوجات بقصد الإكثار من الذرية للعون والعزوة وهذا أمر طبيعى فى مجتمع قبلى والمجتمع القبلى يفضل البنين على البنات حتى وصل إلى أبشع صورة إنسانية عرفتها البشرية فى كل الصور وهو صورة وأد البنات (وهو أن يحفر الرجل حفرة ثم يضع ابنته فيها ويردم عليها بالتراب فيدفنها حية) ولا يتأثر بصرخات طفلته وكان بعضهم يقتل أطفاله خوفًا من الفقر فنهى الإسلام عن ذلك وقد ورد ذلك فى القرآن الكريم فى سورة الإسراء الآية ٣١ ﴿لاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾.

تاسعًا: كثرت الديانات فى شبه الجزيرة العربية فكانت المسيحية وتمثلها الدولة البيزنطية والمجوسية وتمثلها الدولة الفارسية وقد انتشرت هاتان الديانتان فى اليمن وكذلك كانت توجد الديانة اليهودية وكان ينتشر فى شبه الجزيرة العربية الوثنية فكان أغلب سكان الجزيرة العربية وثنين وكان العرب يذبحون ذبائحهم ويقدمون القرابين والضحايا لهذه الأصنام والأوثان وكذلك كان بعض العرب يجعلون من آلهتهم فى أشكال مختلفة مثل الشجر والكواكب والنار، ومن أقدم الأوثان «مناه» وكان عبارة عن صخرة منصوبة على الساحل بين يثرب ومكة وقد عبدها قبائل الأوس والخزرج وقريش وخزاعة وهذيل وكذلك كان من الأوثان المشهورة «اللات» وهى آلهة الصيف وهى عبارة عن صخرة مربعة بيضاء كانت موجودة فى الطائف فعبدها قبيلة ثقيف وكذلك كان من الأوثان المشهورة «العزى» وهى آلهة الشتاء وهى عبارة عن شجرة موجودة بوادى نخلة وقد عبدها قبائل قريش وكثير من قبائل العرب وكذلك كان من الآلهة المشهورة «هبل» أعظم

أصنام قريش فى الكعبة وكان فى صورة إنسان مكسور اليد أضافوا إليه يداً من الذهب والتمثال من العقيق الأحمر وكان يوجد تماثيل أخرى مثل «سعد» وهو عبارة عن صخرة بساحل جدة وكذلك توجد تماثيل أخرى كثيرة داخل الكعبة منها «ود» و«سواع» و«يغوث» و«يعوق» و«نسر» وكان بعض هذه الآلهة يعبد فى البيوت وبعض العرب فى شبه الجزيرة عبدوا الكواكب والنجوم والشمس والقمر والنار ومما تقدم فإن دين إبراهيم عليه السلام لم يستقر طويلاً فى شبه الجزيرة العربية وتم استبداله بعبادة الأصنام والأوثان رغم قيام أنبياء من بعد إبراهيم عليه السلام يدعون القبائل العربية إلى عبادة الله الواحد ولكن دون جدوى. مثل لوط عليه السلام وشعيب عليه السلام وغيرهم ولكن استمرت عبادة الأوثان والأصنام ولكن بقيت طائفة قليلة على دين إبراهيم عليه السلام يعبدون الله دون أن يشركوا فيه أحداً وهم الحنفية وكان للحنفية تواجد ضعيف فى شبه الجزيرة أما اليهود كانوا منتشرين فى يثرب التى سكنها يهود بنى قينقاع وبجوارهم بنو النضير وبنو قريظة وانتشرت اليهودية فى خيبر وفدك وتيماء وقد هاجر اليهود إلى شبه الجزيرة العربية فى القرن الأول والثانى للميلاد وكذلك انتشرت المسيحية فى شمال شبه الجزيرة العربية، وكانت أقل انتشاراً فى الحجاز فقد انتشرت المسيحية فى قبائل طىء ودومة الجندل وانتشرت خارج شبه الجزيرة العربية حول الجزيرة العربية فى البلاد التابعة للدولة البيزنطية فى مصر والشام والحبشة.

عاشراً: فى هذا المناخ العام فى شبه الجزيرة العربية ولد الرسول ﷺ من حيث ظروف العرب البيئية والقبلية والعقائدية والدينية والاقتصادية والسياسية والمكانية.

المبحث الثانى

رأى المؤلف فى الظروف البيئية لولادة الرسول ﷺ

أولاً: شبه الجزيرة العربية ومنها مكة التى ولد بها الرسول ﷺ يسودها الجفاف لأنها صحراوية وأغلبها صحراء وكان يسقط المطر قليلاً جداً فى

الشمال فى الشتاء وفى الجنوب فى الصيف ومكة تقع فى شمال شبه الجزيرة العربية.

ثانياً: ولد الرسول ﷺ فى قبيلة قريش التى كانت تحكم مكة وكان من أهم فروع قبيلة قريش فرع هاشم وأكبر الفروع فى قبيلة قريش وكان من أهم ما اشتهر به فرع هاشم ضيافة وكرم الحجاج الذين يزورون البيت الحرام من سائر القبائل العربية فى شبه الجزيرة العربية وفرع هاشم هو الفرع الذى ينتسب إليه الرسول وأعطاه حماية كبيرة بين بقية الفروع الأخرى فى بداية الدعوة الإسلامية.

ثالثاً: كانت مكة تعتبر عاصمة شبه الجزيرة العربية حيث كانت تحضرها وتمر بها القوافل التجارية فكانت لمكة مكانة دينية لوجود البيت الحرام بها ولها مكانة تجارية وذلك بعد أن أصبحت التجارة هى المورد الرئيسى لأهالى مكة بعد أن قام زعيمهم هاشم بن عبدمناف بسن رحلتى قريش رحلة شتوية إلى اليمن ورحلة صيفية إلى الحبشة وكان ذلك فى أوائل القرن السادس الميلادى وأصبح غالبية رزق أهالى قريش يعتمد على التجارة فى هاتين الرحلتين وقد ورد ذلك فى سورة قريش آية ١ ـ ٤ ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾.

رابعاً: كان يحكم شبه الجزيرة العربية فى كل مدنها وقراها النظام القبلى، فكل قبيلة لها زعيم وكل أفراد القبيلة يكون ولائهم للقبيلة ذاتها وقد كانت الحروب دائمة بين القبائل العربية لا تنتهى لأسباب اقتصادية وسياسية واجتماعية وأشهر هذه الحروب بين الأوس والخزرج حول السيطرة على يثرب بين قبيلتى بكر وتغلب فى حرب البسوس وغيرها من الحروب ولكثرة الحروب بين القبائل العربية اتفقت القبائل على أربعة شهور حرموا فيها القتال تعرف بالأشهر الحرم وهى ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب.

خامساً: كان أغلب سكان الجزيرة العربية من الوثنيين بعضهم يعبد الأصنام وهى التماثيل المصنوعة من الخشب والذهب والفضة وكان البعض الآخر يعبدون «الأوثان» وهى التماثيل المصنوعة من الحجارة. وفى بداية الأمر فى القرن الأول

بعد إنشاء البيت الحرام كانت العبادة السائدة هى دين إسماعيل الذى يؤمن بالله الواحد وأول من غير دين إسماعيل ونصب الأوثان لعبادتها داخل البيت الحرام هو عمرو بن عامر بن لحى الخزاعى من قبيلة خزاعة وبذلك أصبح الشرك بالله هو دين العرب بشكل عام ولكن بقيت طائفة قليلة على دين إبراهيم وإسماعيل يعبدون الله الواحد دون أن يشركوا به وهى طائفة الحنفية وكان يوجد اليهود الذين أتوا إلى شبه الجزيرة العربية فى القرن الأول والثانى الميلادى بعد أن دمر الرومان أورشليم فى عام ٧٠م فهربوا من أورشليم من اضطهاد الدولة الرومانية لهم إلى شبه الجزيرة العربية وكذلك كانت توجد الديانة المسيحية التى بدأت فى الدخول لشبه الجزيرة العربية فى القرن الثالث فى الولايات التابعة للدولة البيزنطية وتوجد الديانة المجوسية التابعة للدول الفارسية ومما تقدم يتضح أن الرسول ﷺ عند بدء ولادته وبدء دعوته كان أغلب قبائل شبه الجزيرة العربية وثنية فى عقائدها.

سادساً: وأهم من كتب فى السيرة النبوية ورصد سيرة الرسول ﷺ هو ابن إسحاق وهو أبو عبدالله محمد وقد كتب السيرة النبوية فى كتابين أولهم كتاب المبتدأ ويتضمن تاريخ النبوة حتى الهجرة والكتاب الثانى الذى ألفه ابن إسحاق هو كتاب المغازى وقد توفى ابن إسحاق فى عام ١٠ هجرية أى فى عام ٧٧١م وقد جمع بعد ذلك ابن هشام كتابى ابن إسحاق وهذبهما واستخلص منهما كتاب السيرة النبوية وقد خرج هذا الكتاب فى القرن الرابع الهجرى، وخرج كتاب السيرة النبوية لابن هشام فى أربعة أجزاء.

الفصل الثانى

الظروف الاجتماعية لولادة الرسول ﷺ وشبابه

وسوف نتناول الظروف الاجتماعية لولادة الرسول ﷺ وشبابه، فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: الظروف الاجتماعية لولادة الرسول ﷺ وشبابه.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى الظروف الاجتماعية لولادة الرسول ﷺ وشبابه.

على النحو التالى تفصيلاً

المبحث الأول

الظروف الاجتماعية لولادة الرسول ﷺ وشبابه

أولا: ولد الرسول ﷺ فى عام ٥٧٠ م وكانت ولادته فى عام أطلق عليه عام الفيل حيث إن واقعة الفيل تتلخص فى أن أبرهة الأشرم كان يحكم اليمن تابعًا للحبشة التى يحكمها النجاشى وكانوا تابعين للدولة البيزنطية المسيحية وكان أبرهة الأشرم يعمل على نشر الميسحية فى اليمن وبنى بها كنيسة كبيرة استخدم فيها الذهب والفضة والعاج والزجاج والفسيفساء وكان اسم الكنيسة (القليس) وكانت الكنيسة كبيرة جدًا وكان الغرض الأساسى لأبرهة الأشرم هو صرف العرب عن البيت الحرام فى مكة والتوجه إلى كنسية القليس ولكن العرب رفضوا التوجه إلى «القليس» واستمروا فى التوجه للكعبة، لذلك قرر أبرهة الأشرم هدم

الكعبة فتوجه بجيش كبير فخرج أهل مكة إلى الجبال وعلى رأسهم سيد قريش عبدالمطلب بن هاشم جد الرسول ﷺ لأنهم لا طاقة لهم بقتال جيوش أبرهة فهى تفوقهم فى العتاد والعدة والمقاتلين ولكن الفيل الكبير الذى كان على رأس الجيوش برك فى منطقة تسمى المغمس وهو مكان بين الطائف ومكة وقد بعث الله على أبرهة وجنوده وأفياله طيرًا خرجت من البحر، كل طير يحمل ثلاثة أحجار حجرين فى رجليه وحجرًا فى منقاره، فضربت الطيور المقاتلين فى جيوش أبرهة بالأحجار، فهلك معظمهم فأمر أبرهة البقية من جيوشه بالعودة إلى اليمن وقد ورد ذلك بسورة الفيل آية ١ ـ ٥ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ وبذلك حمى الله الكعبة بيت إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الذى بنى أساسًا لعبادة الله الواحد لا شريك له وبذلك زادت مكانة البيت الحرام فى نفوس العرب وكان مولد الرسول ﷺ فى مكة يوم الاثنين ٢١ من ربيع الأول من عام الفيل فى ٥٧٠م. ثانيًا: وقد وُلد الرسول ﷺ لأبوين كريمين فوالده هو عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن ادد إلى الجد السادس والستين وهو فيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ووالدته هى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى إلى أن يصل إلى جدها إبراهيم عليه السلام .

ووالد الرسول ﷺ هو عبدالله ووالدته هى آمنة، يلتقيان عند الجد عبدمناف إلى أن يصلوا إلى إبراهيم عليه السلام.

ثالثًا: عند زواج والده من والدته فى ذلك الوقت ووالده هو عبدالله كان يبلغ من العمر أربعة وعشرين عامًا منم عمره ولم يستمر عبدالله مع آمنة طويلاً فخرج للتجارة إلى الشام وتركها فى مكة وهى حامل وفى طريق العودة دخل يثرب ليستريح عند أقاربه ولكنه مرض وتوفى وهو يبلغ من العمر السادسة والعشرين من العمر ودفن فى يثرب.

رابعًا : توفى عبدالله والد الرسول ﷺ ولم ير ابنه عند ولادته وعندما ولد تولى رعايته جده عبدالمطلب بعد أن سماه محمدًا وتولت إرضاعه حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية وقد أرضعته لمدة سنتين وقد خرجت به أمه آمنة وهو فى السادسة من عمره وكانت رحلتها إلى يثرب لزيارة قبر زوجها وبعد شهر رجعت به أمه ولكن فى منتصف الطريق أصابها المرض وماتت فى عام ٥٧٦ ودفنت فى قرى الأبواء وهى بين يثرب والجحفة وبذلك أصبح الرسول ﷺ يتيم الأبوين وهو فى السادسة من عمره وقد ورد ذلك فى سورة الضحى آية ٦ ـ ٩ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ وقد ضمه جده عبدالمطلب إلى رعايته حتى بلغ الثامنة من عمره وعند وفاة جده كفله عمه أبو طالب فى الثامنة من عمره وتولى تربيته ورعايته وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره فى عام ٥٨٢م اصطحبه عمه أبو طالب فى رحلته التجارية إلى بصرى جنوب الشام.

خامسًا: ويروى أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى المتوفى فى مصر سنة ٢١٣ هجرية فى السيرة النبوية لابن هشام أنه أثناء رحلته الأولى للشام التقى هناك بالراهب البحيرى النصرانى الذى رأى فيه أمارة النبوة[١].

سادسًا: وفى عام ٥٨٥ م وقعت حرب الفجار وكان الرسول ﷺ يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا وقد وقعت حرب الفجار بين قبيلة قريش ومعها قبيلة كنانة ضد قبائل هوازن وقيس وعيلان وقد سميت بحرب الفجار لأنها وقعت فى الأشهر الحرم التى يمتنع فيها على القبائل العربية الحروب فيها واستمرت الحرب حتى عام ٥٨٩م لمدة أربع سنوات وكانت لا تستغرق إلا أيام فى كل عام حتى انتهت بالصلح بين هذه القبائل وكان الرسول ﷺ يقف إلى جانب أعمامه وهو فى هذا السن الصغير.

قال رسول الله ﷺ: «كنت أُنبل عن أعمامى أى أرد عنهم نبل عدوهم إذا رموهم بها».

المبحث الثانى

رأى المؤلف فى الظروف الاجتماعية لولادة الرسول ﷺ وشبابه

أولاً: الله اختار ذلك اليتيم محمداً ﷺ ليكون خاتم الأنبياء برسالة سماوية يؤمن بها الآن، ما يقرب من مليار وربع نسمة فى شتى بقاع الدنيا من تعداد سكان الدنيا البالغين ستة ونصف مليار نسمة، من كان يتصور أن ذلك اليتيم الفقير يؤمن برسالته المحمدية هذه المليارات من البشر، فقبل ولادته توفى والده عبدالله ولم يترك له من الإرث سوى خمسة من الإبل وقطيعًا من الغنم وجارية هى أم أيمن حاضنة الرسول ﷺ، هل يوجد فقر فى الدنيا أكثر من ذلك، ومع ذلك برعاية الله وعنايته يؤمن بالرسالة المحمدية أكثر من خُمس سكان الأرض.

ثانياً: ولد الرسول ﷺ فى عام الفيل فى عام ٥٧٠ وهو العام الذى أتى فيه أبرهة من اليمن لكى يهدم الكعبة حتى يتحول العرب من زيارة البيت الحرام لزيارة الكنيسة التى بناها فى اليمن من الذهب والفضة والفسيفساء رغم أنهم لا يؤمنون أساسًا بالديانة المسيحية وكلهم يعبدون الأوثان والأصنام، وأثناء قدوم أبرهة لهدم الكعبة استولى على مائتى بعير لعبد المطلب جد الرسول ﷺ فتوجه عبدالمطلب وقابل أبرهة يطلب منه رد المائتى بعير وردها له وقال أبرهة لعبدالمطلب «أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه، لا تكلمنى فيه؟» فقال له عبدالمطلب: «إنى أنا رب الإبل وإن للبيت ربًا سيمنعه» وانصرف عبدالمطلب بعد أن شاهد هذه الجيوش الجرارة التابعة لأبرهة وما بها من أفيال كثيرة على رأسها فيل اسمه «محمود»، طلب عبدالمطلب من أهالى قريش ترك مكة إلى شعب الجبال لأنهم لا طاقة لهم بهذه الجيوش الجرارة من اليمن وكانت المعجزة الإلهية لحماية الكعبة والبيت الحرام بهذه الطيور الآتية من البحر وكل طائر يحمل ثلاثة أحجار، يحمل حجرًا فى منقاره وحجرين فى رجليه ليبيدوا جيوش أبرهة والمعجزة الإلهية هى فى عدم

تحرك الأفيال لهدم البيت الحرام وركعت جميع الأفيال على الأرض ورفضت دخول مكة لهدم البيت وتحقق قول عبدالمطلب إن الكعبة لها رب يحميها.

ثالثًا: كان صاحب الرسالة المحمدية يتيم الأبوين، فقد توفى والده عبدالله قبل ولادته وتوفيت والدته آمنة وهو فى السادسة من عمره وقد توفى والده ووالدته فى الغربة فوالده توفى فى يثرب ووالدته توفيت فى الأبواء وتُرك فى ذلك السن الصغير ليرعاه جده عبدالمطلب ولكن الزمن يقسو عليه مرة أخرى فى الثامنة من عمره ويتوفى جده ثم يرعاه وهو فى الثامنة عمه أبو طالب، أى ظروف إنسانية تعسة وقاسية يمكن أن يمر بها بشر أكثر من ذلك؟؟ وكان عمله الرئيسى بعد ذلك السن هو رعاية الغنم والاشتراك فى الرحلات التجارية مع عمه ولم يتلق أى قسط من التعليم ولا يعرف شيئًا عن الكتابة والقراءة ومع ذلك يختاره الله بمعجزة إلهية بنزول الوحى عليه بالرسالة المحمدية آخر الرسالات السماوية.

رابعًا : يقول المستشرقون ومنهم المستشرق هوارت أن الرسول ﷺ فى رحلته للشام الأولى التقى بالراهب بحيرى النصرانى فى بصرى بجوار الشام الذى علمه الديانات وكان يقول له بعض السور الواردة فى القرآن ويرى المؤلف أن ذلك كلام مساطيل، عقلهم مغيب لأنه ثبت من كل كتب السيرة النبوية أن القرآن الكريم نزل فى ١١٤ سورة منها ٨٦ سورة فى مكة ومنها ٢٦ سورة فى المدينة والمسافة بين المدينة والشام مئات الأميال وكل كتب السيرة تقول إن الرسول ﷺ لم يقابل الراهب بحيرى النصرانى إلا مرة واحدة أثناء رحلة عمه الأولى للشام فكيف يقول الراهب بحيرى بعض السور القرآنية وهو بعيد كل هذه المسافة ثم إنه عندما قابل الرسول ﷺ الراهب بحيرى كان عمر الرسول ﷺ اثنى عشر عامًا، أما عندما نزل الوحى على الرسول ﷺ فنزل وعنده أربعون عامًا أى بعد ثمانية وعشرين عامًا، فكيف يلقنه السور القرآنية وهو قد قابل الراهب بحيرى فى عام ٥٨٢ م مرة واحدة فقط ويبدأ نزول الوحى بالسور القرآنية فى عام ٦١٠ م ولم تذكر كتب السيرة النبوية أن الرسول ﷺ شاهد الراهب بحيرى النصرانى، لا فى مكة ولا فى المدينة حتى يتلقى منه أى سور وخاصة أن أول من كتب السيرة النبوية هو أبو بكر بن محمد بن عمر بن حزم فى عام ٩٩ هجرية فى حكم عمر

ابن عبدالعزيز وكان أبو بكر هذا قاضيًا وواليًا على المدينة ثم كتب بعد ذلك السيرة النبوية عروة بن الزبير بن العوام فى عام ٩٢ هـ وإبان بن عثمان فى عام ١٠٥ هـ ووهب بن منبه فى عام ١١٠ هـ وشرحبيل بن سعد فى عام ١٢٣ هجرية وعبدالله بن أبى بكر بن حزم فى عام ١٢٥ هجرية وكان أشهر كتب السيرة النبوية هى السيرة كما سبق أن ذكرنا لابن إسحاق (المتوفى عام ١٠ هـ) وأخذ منها ابن هشام وكل من كتب فى السيرة النبوية بعد ذلك أخذ من سيرة ابن هشام وكل ومن كتب السيرة النبوية التى سبق ذكرها لم تذكر إلا واقعة مقابلة الرسول ﷺ للراهب بحيرى النصرانى إلا مرة واحدة وعمره اثنا عشر عامًا فكيف يصل الخيال بالمستشرقين وخاصة المستشرق هوارت إلى هذا الحد المجنون ليقولوا إن بحيرى علم الديانة للرسول ﷺ وذكر له بعض السور القرآنية. إنه كلام لا يصدقه عاقل وبدون أى سند من التاريخ ولا دليل عليه.

خامسًا: عندما قابل الرسول ﷺ بحيرى الراهب النصرانى فى أول رحلة له مع عمه أبى طالب سأل بحيرى الراهب فقال بحيرى الراهب للرسول ﷺ يا غلام أسألك بحق اللات والعزى أن تخبرنى عما أسألك فرد رسول الله ﷺ «لا تسألنى باللاة والعزى.. فوالله ما أبغض شيئًا قط بغضهما» وهذا يدعونا للتأمل فى رد الرسول ﷺ إنه وهو فى سن الاثنى عشر يرفض آلهة الأصنام اللات والعزى، إنها أصنام من صنع يد الإنسان يصنعها بيده ويعبدها وهو فى ذلك السن الصغير ينصرف فكر الصبى إلى الله الواحد ويرفض الاعتراف باللات والعزى، وسأل بحيرى الرسول ﷺ عن أشياء كثيرة عن حاله فى نومه وهيئته وأموره فأخبره بها فتأكد بحيرى الراهب من صفته(٢) أنه رسول الله وأنه سوف يكون له شأن عظيم وطلب من عم الرسول ﷺ أن يرجع به إلى بلده وحذره من اليهود إن عرفوا حقيقته لأنه سوف يكون له شأن عظيم بين الأمم، لذلك أقول للمستشرقين هذه حقيقة المقابلة بين الراهب بحيرى وبين الرسول ﷺ كما تذكرها كتب السيرة النبوية، أماما تدعونه من إفك، فأطلعونا على أى كتاب أو مصادر ذكر ادعائكم بأن بحيرى قد لقن الرسول ﷺ بعض سور القرآن لن تجدوا هذه الكتب لأنها من خيالكم.

سادسًا: عندما بلغ الرسول ﷺ عامه العشرين فى عام ٥٩٠م حضر حلف الفضول وهو حلف بين القبائل العربية حيث إن حرب الفجار التى اشترك فيها الرسول ﷺ وهو يبلغ من العمر ستة عشر عامًا فى ٥٨٦م قد انتهت بعد أربع سنوات والرسول ﷺ عمره عشرون عامًا فى عام ٥٩٠م وبعدها شعرت قبيلة قريش بالتفكك بسبب المنافسة على الزعامة فدعا الزبير بن عبدالمطلب للاجتماع فى دار عبدالله بن جدعان فى عام ٥٩٠م وحضر رجال من فروع بنى هاشم وبنى أسد وبنى زهرة وبنى تيم وبنى مرة يتعاهدون على مناصرة بعضهم البعض وسمى حلف الفضول لأنه اشترك فيه فى ثلاثة من أشرافهم كل واحد منهم اسمه فضل وهم الفضل بن فضالة والفضل بن وداعة والفضل بن الحارث.

سابعًا: جد الرسول ﷺ عبدالمطلب هو الذى رعاه حتى الثامنة من عمره وكان له من الأبناء عشرة أولاد وست نسوة وهؤلاء الستة عشر كان بعضهم عزوة للرسول ﷺ يناصرونه وبعضهم لم يناصره فى دعوته فقد كان أعمام الرسول ﷺ من الرجال العباس وحمزة وأبا طالب والزبير والحارث وحجلاً والمقوم وضرارًا وأبا لهب وكان النساء من عمات الرسول ﷺ صفية وأم حكيم والبيضاء وعاتكة وأميمة وأروى وبرة.

ثامنًا: تحكى كتب السيرة النبوية أن عبدالمطلب جد الرسول ﷺ وهو نائم داخل الكعبة جاءه فى المنام من يأمره بحفر زمزم فقال له وما زمزم قال: لا تنزف أبدًا ولا تزم، أى أن الماء لا ينضب من زمزم أبدًا لتسقى الحجاج وتوجه ومعه ابنه الحارث وحفروا زمزم.

تاسعًا: وتحكى كتب السيرة النبوية أن آمنة بنت وهب أم الرسول ﷺ حين حملت بالرسول ﷺ خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام، إنها معجزة إلهية، وقد ولد الرسول ﷺ كما ذكرنا بعد وفاة والده وكان مولده فى عام الفيل الذى ذكرناه والذى تحققت فيه المعجزة الإلهية الأخرى بحماية البيت الحرام من أعدائه بعدما قرر أبرهة هدم الكعبة ولم يتم له مراده بحماية إلهية ومعجزة إلهية، فمن ذا الذى أتى بالطيور من البحر ويحمل كل طير ثلاثة أحجار، حجر فى منقاره وحجرين فى رجليه سوى المعجزة الإلهية وبهذه الحجارة الثلاثة

التى يحملها كل طير تم إبادة جيوش أبرهة لذلك أقول للمستشرقين الذين يتشككون فى كل شىء خاص بالرسول ﷺ منذ ولادته حتى وفاته إن لم تكن هذه معجزة إلهية.. بماذا تفسرون هذه الواقعة؟ إن التفسير الصحيح بعيداً عن حقد المستشرقين أننا أمام ومعجزة إلهية حقيقية(١).

عاشراً: وعندما ولدت آمنة بنت وهب ابنها الوحيد أرسلت إلى جده عبدالمطلب وأخبرته بما رأت عند حملها وقد ولد يتيم الأب لا عائل له فأخذه جده عبدالمطلب ودخل به الكعبة ليشكر ربه وخرج به ودفعه إلى أمه وطلب له مرضعة كما هى عادة العرب واختاروا له مرضعة هى حليمة ابنة أبى دؤيب.. هل يتصور أحد فى الدنيا أن ذلك اليتيم سوف يكون له هذا التأثير فى الدنيا فيما بعد بإنشاء حضارة من الأندلس إلى الصين هى الحضارة الإسلامية إنها إرادة الله القادر على كل شىء وخاصة أن الكثير من المرضعات كما تقول كتب السيرة، رفضوا رضاعة الرسول ﷺ عندما قيل لهم إنه يتيم لأن كل المرضعات يريدون المكافأة من والد الطفل والطفل يتيم الأب، فما جدوى رضاعته.. هل توجد فى الدنيا ظروف اجتماعية أقسى من ذلك ولكن حليمة ابنة أبى ذؤيب أخذته لرضاعته كما تقول فى كتب السيرة لأنها لم تجد غيره وعندما أخذته لرضاعته أقبل على ثدييها اللبن فشرب حتى روى الرسول ﷺ وشرب معه أخوه فى الرضاعة.

الحادى عشر: وعندما خرج الرسول ﷺ فى القافلة التجارية لخديجة بنت خويلد كان يبلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا وخديجة تبلغ من العمر أربعين عامًا فكانت تكبره بخمسة عشر عامًا ونظرًا لخبرة الرسول ﷺ فى التجارة كان يجيد معرفة ما يأخذه من مكة ويبيعه فى بصرى والشام ويعرف ما يأخذه من الشام ويبيعه فى مكة، لذلك زادت ربحية تجارة خديجة أضعاف ما كانت تحققه من قبل ونظرًا لأن الرسول ﷺ كانت شهرته فى أمانته وصدقه أرسلت خديجة بنت خويلد صديقتها نفيسة بنت أمية إلى الرسول ﷺ تعرض عليه الزواج من خديجة بنت خويلد فوافق الرسول ﷺ بعد أن أخذ رأى أعمامه.

الثانى عشر: وتوجه الرسول ﷺ للزواج منها ومعه عمه حمزه وهى كان معها عمها عمرو بن أسد لأن أباها كان متوفيًا وتم الزواج على صداق عشرين بكره وكانت السيدة خديجة أول امرأة تزوجها ولم يتزوج غيرها حتى ماتت وقد تزوجها فى عام ٥٩٥ م وهو يبلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا وقد أنجبت له أولاده كلهم ما عدا إبراهيم، فقد أنجب الرسول ﷺ من خديجة من الذكور اثنين أولهم القاسم والثانى عبدالله ويلقب بالطاهر وقد ولدت له أربع بنات زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة وقد توفى فى حياته أولاده الذكور وهم أطفال فى حجر أمهم وهم القاسم وعبدالله وكذلك توفى ابنه إبراهيم من ماريا القبطية وهو طفل كذلك فى العام العاشر من الهجرة أى قبل وفاته بسنة واحدة.

الثالث عشر: تزوجت زينب أكبر بناته من أبى العاص بن الربيع بن عبد شمس وهو ابن خالتها وتزوجت الابنة الثانية رقية من عتبة بن أبى لهب وتزوجت الثالثة أم كلثوم من عتيبة بن أبى لهب، فأمر أبو لهب ابنيه بطلاق بنتى الرسول ﷺ رقية وأم كلثوم وذلك لإسلامهم فيما بعد فتزوجهما عثمان بن عفان، تزوج أولاً رقية وبعد وفاتها تزوج أم كلثوم، أما الأخيرة وهى فاطمة فعند زواج وطلاق أخوتها كانت طفلة وتزوجت فيما بعد، بعد إسلامها من أول الشباب فى الإسلام على بن أبى طالب.

الرابع عشر: كان الرسول ﷺ فى شبابه يميل إلى حياة التأمل والتفكير والبعد عن حياة اللهو، وكان ذو حكمة خاصة فتحدثت كتب السيرة عن حكمته فى شبابه أنه نزل على مكة سيل كبير انحدر من الجبال على مكة فصدع جدار الكعبة وهدم أجزاء منها فاجتمع أهل قريش فى عام ٦٠٥م والرسول ﷺ يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عامًا وقد استقر رأى قريش على تجديد بناء الكعبة فتم جمع الأحجار والأخشاب اللازمة للبناء واقتسمت قريش جوانب البيت الأربعة بحيث تقدم كل قبيلة بناء جانب بعد هدمه ثم بنائه وما أن بلغ البنيان موضع وضع الحجر الأسود فى الجانب الشرقى اشتد الخلاف بنى القبائل عمن يكون له شرف وضع الحجر الأسود وخشية وقوع حرب أهلية بين القبائل من قريش اجتمعوا خمسة أيام يتناقشون للوصول إلى حل وسط ولكنهم لم يصلوا إلى حل

فاقترح أبو أمية بن المغيرة المخزومى أن أول من يدخل من الباب يقضى بين القبائل ويقترح من يضع الحجر الأسود فقبلوا جميعًا ذلك وتشاء العناية الإلهية أن أول من يدخل هو الرسول محمد ﷺ فقالوا جميعًا رضينا بحكم محمد وقصوا عليه قصتهم وأنهم لم يتوصلوا لحل منذ خمسة أيام فظهرت حكمة الرسول ﷺ البالغة بأن طلب منهم ثوبًا ونشره ووضع الحجر الأسود بيده فيه وقال لهم الرسول ﷺ لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم رفعوه جميعًا حتى وصلوا إلى مكان وضع الحجر الأسود تناوله الرسول ﷺ من الثوب ووضعه بيده فى موضعه وبذلك اشتركت القبائل كلها فى رفع الحجر الأسود، والحجر الأسود هو الحجر الذى أتى به الملاك جبريل لإبراهيم عليه السلام من السماء أثناء بناء الكعبة وقد أعيد بناء الكعبة بارتفاع ثمانية عشر ذراعًا أى ٨,٦٤م وذلك بارتفاع أكثر من التى بناها إبراهيم عليه السلام لأن بناء إبراهيم عليه السلام كان بارتفاع تسعة أذرع أى ٤,٢٣م وجعلوا لها بابًا واحدًا من ناحية الشرق وبحكمة الرسول ﷺ قضى على النزاع والخصام بين بنى هاشم وبنى أمية بعد أن دب بينهم الخصام للسيطرة والنفوذ فيمن يضع الحجر الأسود.

وكانت هذه الواقعة وهى واقعة بنيان الكعبة عندما بلغ سن الرسول ﷺ خمسة وثلاثين عامًا أن فى عام ٦٠٥م أى قبل نزول الوحى بخمسة أعوام لأن الوحى نزل على الرسول فى عام ٦١٠ فى الأربعين من عمره.

الهوامش

(١) أوصى عمه أن يرجع به إلى مكة وحذره من مقدمه على اليهود حتى لا يقتلوه وكان عندئذ صبيًا فى الثانية عشرة من عمره.

(٢) يسمى هذا الخارق للعادة: الإرهاص وهو الخارق للعادة الذى يحصل بين يدى نبى قبل بعثته.

الباب الثانى

الدعــوة الإسلاميـــة

سوف نتناول فى هذا الباب الدعوة الإسلامية فى عدة فصول نتناول فيها الموضوعات التالية على النحو الآتى تفصيلاً:

الفصل الأول: الدعوة الإسلامية السرية.

الفصل الثانى: الادعاء بإصابة الرسول ﷺ بالصرع.

الفصل الثالث: الدعوة الإسلامية العلنية.

الفصل الرابع: خبر الإفك فى قصة الغرانيق.

وذلك تفصيلاً على النحو التالى:

الفصل الأول
الدعوة الإسلامية السرية

سوف نتناول فى هذا الفصل وهو الدعوة الإسلامية السرية وبداية نزول الوحى فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: بداية الدعوة الإسلامية السرية.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى بداية الدعوة الإسلامية السرية.

وذلك تفصيلاً على النحو التالى:

المبحث الأول
بداية الدعوة الإسلامية السرية

أولا: كان معروفًا عن الرسول ﷺ أنه كان لا يميل إلى المادة وكان يحب حياة التفكير والتأمل وقد ساعده على ذلك اشتغاله برعى الغنم فى فترات من حياته لأهله فى فترة شبابه وكان يتأمل النجوم خلال الليل أثناء رعى الغنم وكان يتأمل فى هذا الكون الفسيح.

ثانيًا: رغم زواجه فى عام ٥٩٥م من أغنى أغنياء قبيلة قريش السيدة خديجة بنت خويلد فزادت أرباحها أضعاف ما كانت، فكان ذلك فى مصلحة خديجة لأن أرباحها وأموالها تضاعفت والرسول ﷺ لم يستفد شيئًا لأنه زاهد فى الحياة وهذا المال المتوافر لديه لم يصرفه عن الانقطاع عن حياة التفكير والتأمل فكان يتوجه إلى غار حراء المكان المفضل له رغم أنه كان يستطيع أن يلهو ويعيش حياة

الرفاهية والترف مثل أقرانه ومن هم فى سنه ولكن الرسول ﷺ كان من طبيعة أخرى لأن له مهام يعلمها الله، فكان يذهب طوال شهر رمضان من كل عام ومعه القليل من الزاد، ينقطع طوال شهر رمضان يقضيه فى أعلى جبل حراء شمال مكة للتأمل والتفكير، يلتمس الحقيقة وظل يمارس هذه العادة من التفكير والتأمل حتى وصل إلى الأربعين من العمر فى عام ٦١٠م حتى جاءه أول الوحى فى غار حراء.

ثالثًا: فى العشرة الأواخر من شهر رمضان عام ٦١٠م أثناء وجود الرسول ﷺ فى غار حراء أتاه جبريل عليه السلام وقال له «اقرأ» فأجاب الرسول ﷺ «ما أنا بقارئ» تكرر هذا ثلاث مرات ثم قال ما ورد فى سورة العلق الآية من ١ - ٥ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فأصابه خوف شديد وعاد إلى بيته ودخل على زوجته خديجة وهو يرتجف ويقول «زملونى.. زملونى» فزملته حتى ذهب عنه الروع وأخبرها بما جرى له فقالت له: «أبشر.. والله لا يخزيك الله أبدًا.. إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق» وتوالى نزول الآيات من القرآن وقد غاب الوحى فترة عن النزول على الرسول ﷺ ثم نزلت سورة الضحى التى ورد بها فى الآية من ١ - ٥ ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ثم توالى نزول الآيات.

المبحث الثانى

رأى المؤلف فى بداية الدعوة الإسلامية السرية

أولاً: كانت أول من آمن بالدعوة من النساء هى زوجته خديجة بنت خويلد ثم بدأ الرسول ﷺ فى الدعوة سرًا لمدة ثلاث سنوات فى الفترة من ٦١٠م إلى ٦١٢م

فآمن بالدعوة الإسلامية فى بداية الأمر أشخاص قلائل وكان يعقد اللقاءات سرًا خوفًا من بطش كفار قريش بالدعوة فى مهدها فاختار الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى(1) وكان صاحب الدار وهو الأرقم لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره ولا يعلم أحد بإسلامه وذلك يجعل كفار قريش لا يشكون فى تلك الدار وفى الاجتماعات التى تعقد بها وكان التخطيط للدعوة الإسلامية فى مهدها يتم فى تلك الدار.

ثانيًا: دخل الإسلام أشخاص قليلون أولهم كما ذكرنا خديجة بنت خويلد وكان على بن أبى طالب أول صبى دخل الإسلام وكان عمره عشر سنين ومعه زيد بن حارثة وكان أبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال ثم تبعه خمسة من الصحابة وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبدالله وسعد بن أبى وقاص والزبير. بن العوام وعبد الرحمن بن عوف ثم توالى إسلام الكثيرين بعد ذلك وكان كل من يريد الدخول فى الإسلام يتوجه إلى الرسول ﷺ ويعلن إسلامه.

ثالثًا: كان المسلمون الأوائل يقرءون القرآن سرًا ويؤدون فريضة الصلاة سرًا خشية عداوة كفار قريش وبطشهم لأنهم خرجوا عن عبادة الأوثان التى يعبدها كفار قريش وفى ذات يوم كان يصلى سعد بن أبى وقاص ومعه بعض المسلمين فظهر لهم بعض المشركين الكفار يتغامزون عليهم فضرب سعد أحدهم وهو عبدالله بن خطل فشجه فى رأسه وكان ذلك أول دم أريق فى الإسلام وعندما حاول أبو بكر الصديق أن يخطب فى مكة داعيًا لله ولرسوله ﷺ تعرض للضرب الشديد.

رابعًا: حينما أخبرت خديجة ابن عمها ورقة بن نوفل بما حدث للرسول ﷺ الذى كان يقرأ كثيرًا فى الكتب السماوية أخبرها أن محمدًا رسول هذه الأمة وهذا ما قاله جبريل.

خامسًا: بعد نزول الوحى على الرسول ﷺ كان أول من أسلم من الصبية هو على بن أبى طالب وكان والده أبو طالب كثير الأولاد فتوجه الرسول ﷺ إلى عمه

العباس وقال له إن أخاه أبا طالب كثير العيال فليكفل كل منهم أحدهم حتى يخفف عنه من العيال وأخذ العباس فى كفالته جعفرًا وأخذ الرسول ﷺ فى كفالته عليًا ومنذ ذلك الحين لم يفارق على بن أبى طالب الرسول ﷺ لأنه أصبح فى كفالته بعد إسلامه وقد عرض الرسول ﷺ على عمه أبى طالب الإسلام بعد أن سأله أبو طالب عن ذلك الدين فقال له الرسول ﷺ إنه دين أبينا إبراهيم بعثنى الله رسولاً إلى العباد وأنت يا عم أحق من بذلت له النصحية ودعوته للهدى، فقال أبو طالب إنه لا يستطيع أن يفارق دين آبائه.

سادسًا: قال بعض المستشرقين منهم مونتجمرى وات فى كتابه «محمد فى مكة» إن الرسول ﷺ كان يذهب إلى غار حراء لكى يستجم من حر مكة والمؤلف ليتسطيع تفسير هذا التعصب الذى يلغى العقل كليًا فمن المعروف فى كتب السيرة النبوية أن الرسول ﷺ كان يذهب إلى غار حراء للتأمل والعبادة والتفكير فى خالق الكون والسموات والأرض وكان الرسول ﷺ لا يأخذ معه طوال فترة التعبد إلا الماء والخبز الناشف حتى يبلله بالماء وبعض الملح والتمر وأثناء وجوده بغار حراء جاءه الوحى على يد جبريل بأول آيات القرآن وبعد كل هذه الوقائع الجسام فى تاريخ البشرية كلها يأتى إلينا مونتجمرى وات ليقول لنا إن الرسول ﷺ كان يذهب لغار حراء ليبتعد عن حرارة الطقس فى مكة ولو كانت القضية هى حرارة الطقس كان الرسول ﷺ ومعه زوجته خديجة بنت خويلد بتجارتهم من أغنى أسر قريش، كانوا يستطيعون الاستجمام فى مكان جوه ألطف يرتاده الناس وليس خندق داخل جبل والإنسان الذى يذهب للاستجمام بعيدًا عن الحر، عادة يأخذ أسرته وأولاده ولكن الرسول ﷺ كان يذهب بمفرده للعبادة والإنسان الذى يذهب إلى مكان للاستجمام بعيدًا عن الحر يأخذ معه ما لذ وطاب من الطعام حتى يكتمل الاستجمام، لا يأخذ معه قطعة خبز ناشفة وقليل من الماء وقليل من الملح، إن دعوة مونتجمرى وات أتفه من أن يرد عليها أحد فقد كان معروفًا عن الرسول ﷺ الزهد فى الحياة والبعد عن حياة الشباب حيث الرفاهية وسهر الليالى وشرب الخمر ولكن الرسول ﷺ له طباع خاصة، طباع القدوة التاريخية

لدوره العالمى الذى ينتظره فى الدعوة الإسلامية لذلك كان يذهب إلى غار حراء للتأمل والتعبد وليس للاستجمام كما يقول مونتجمرى وات.

سابعًا: يدعى المستشرق مونتجمرى وات فى كتابه «محمد فى مكة» أن جميع السور المكية ٨٦ التى نزلت فى مكة لم ينزل الوحى بها عن طريق جبريل لأن السور المكية لم تذكر اسم جبريل ولكن اسم جبريل ذكر فى السور المدنية ٢٦ سورة ولكن ذلك غير صحيح لأن اسم جبريل ونزوله بالوحى ذكر فى السور المكية، فعلى سبيل المثال فى سورة النحل المكية آية ١٠٢﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ وفى سورة الشعراء المكية ١٩٣ ـ ١٩٤ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ وعلى ذلك فالقرآن الكريم نزل بالوحى عن طريق جبريل سواء السور ٨٦ المنزلة فى مكة أو الـ ٢٦ سورة المنزلة فى المدينة، إن غرض المستشرقين دائمًا هو محاولة تشويه الإسلام والرسول ﷺ فى الغمز واللمز فى سيرتهم صحيح أن القرآن المدنى فى المدينة ورد باسم جبريل فى ثلاثة مواضع وهى البقرة آية ٩٧ وهى مدنية والبقرة آية ٩٨ وهى مدنية والتحريم آية ٤ وهى مدنية ولكن ذكر روح القدس ورد فى سورة النحل آية ١٠٢ وهى مكية وسورة الشعراء كما ذكرنا وعلى ذلك فأقول للمستشرقين إن دعواكم غير صحيحة.

الهوامش

(١) اختار النبى دار الأرقم لأنه كان من قبيلة مخزوم التى منها خالد بن الوليد المسئولة عن الأعنة (السلاح) والخيل فى الحرب فلا يجرؤ أحد للتعرض له حتى لا تقف فى مواجهة قبيلة مخزوم ومنها أبو جهل الذى رفض التعرض للمسلمين فى دار الأرقم حتى لا تنقسم بنى مخزوم.

الفصل الثانى

الادعاء بإصابة الرسول ﷺ بالصرع

سوف نبحث هذا الفصل وهو الادعاء بإصابة الرسول ﷺ بالصرع فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: الادعاء بإصابة الرسول ﷺ بالصرع.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى إصابة الرسول ﷺ بالصرع.

وذلك تفصيلاً على النحو التالى:

المبحث الأول

الادعاء بإصابة الرسول ﷺ بالصرع

أولا: كان بعض المستشرقين منهم المستشرق هنرى ماسيه فى كتابه (الإسلام) يرددون عن تعصب أعمى أن الرسول ﷺ عندما كان ينزل عليه الوحى كان مصابًا بمرض الصرع وبعد نوبات الصرع يقول سور القرآن وهذا الكلام فى رأى المؤلف لا أساس له من الصحة فلم يكن الرسول ﷺ مصابًا بمرض الصرع.

ثانيًا: إن أسباب الصرع وتشنجات الصرع مصدرها المخ، ويتكون المخ من فصين، فص أيمن وفص أيسر يتصل بعضهما ببعض من المنتصف ويتحكم هذان الفصان فى عمل الجسم بصورة عسكية بمعنى أن الفص الأيمن يسيطر على الجزء الأيسر من الجسم والفص الأيسر يسيطر على الجزء الأيمن من الجسم.

ويسمى كل فص طبيًا HEMISPHERE.

كما ينقسم كل فص من هذين الفصين إلى أربعة فصوص صغيرة (Lobes) وهى:

(أ) فص أمامى وهو الذى يتحكم فى حركة الجسم.

(ب) فص صدغى وهو الذى يختص بتقسيم الروائح والمذاق وتكوين الذاكرة.

(ج) فص جدارى وهو الذى يتولى تقييم الإحساس بالأشياء.

(د) فص خلفى وهو الذى يسيطر على عملية الرؤية.

ثالثًا: هذه الأجزاء المختلفة للمخ تتحكم فى نوبات الصرع وحدوث التشنجات عمومًا لأن تشنجات الصرع أشبه بعاصفة كهربية وانبعاث شرارة كهربية من المخ يؤدى إلى تشنجات عامة بالجسم وهذه التشنجات هى نوبة الصرع وتشنجات الصرع تحدث بصورة مفاجئة دون تمهيد لها وتحدث لفترة وجيزة ثم تختفى والصرع يصاحبه توتر عضلى وصرخة قوية ثم سقوط على الأرض وارتجاف لعضلات الذراعين والساقين وأثناء هذه التشنجات التوترية يظهر على المريض زرقان واضح وتخرج رغاوى من فمه وقد يعض لسانه ويتبول على نفسه وتستمر هذه الحالة التشنجية لبضع دقائق.

رابعًا: بعد انتهاء النوبة يفيق المريض ويبدو مذهولاً ولا يعرف المكان الموجود به وغالبًا يميل للنعاس والنوم ويشكو من صداع وتستمر هذه الحالة من دقائق إلى ساعات وأثناء التشنج لا يكون المريض فى وعيه وفى حوالى ١٠٪ من المرض بالصرع تحدث وفاة بسبب غمرة الصرع وأورام المخ أو التهاب الأغشية السحائية والمرضى الذين يتعرضون لنوبات صرع متكررة من التشنجات هم الأكثر قابلية للموت والصرع نتيجة عدم الانتظام الكهربى بالمخ ومن هنا تحدث التشنجات.

خامسًا: ومريض الصرع، حيث إن الصرع يأتى إليه فجأة فى أى وقت هناك أعمال لا يستطيع القيام بها أن يكون مسئولاً عن قيادة جماعة أو أن يكون مسئولاً عن سلامة جماعة ولا يستطيع القيام بأعمال فيها رعاية للآخرين.

سادسًا: مصاب الصرع لابد أن يساعده الآخرون لأنه سوف يسقط على الأرض فجأة، فلابد من وضعه على الأرض حتى لا يرتطم جسمه بشىء ويصاب بجروح ولابد من وضع جسمه على وسادة وتحريره من الملابس الضاغطة على صدره وعنقه حتى يستطيع التنفس وبعد انتهاء التشنجات بوضعه فى وضع الإفاقة، ولابد من وضعه فى وضع الإفاقة لأن مريض الصرع يفقد وعيه كليًا وذلك بفرد ساقيه على الأرض وجعل المريض يتنفس جيدًا ولا تحاول مقاومة المريض أثناء التشنجات ومنعه من الارتجاف لأن ذلك يؤدى إلى كسر عظامه.

المبحث الثانى

رأى المؤلف فى الادعاء بإصابة الرسول ﷺ بالصرع

أولا: إن المستشرقين المفترين ـ وخاصة المستشرق فكتور شوفان فى كتابه فهرس المصنفات العربية وهو مستشرق بلجيكى عمل استاذًا للعربية بجامعة لينج ـ بحقدهم الذى أعماهم أصابوا الرسول ﷺ بمرض هو بعيد كل البعد عنه.

ثانيًا: إن الرسول ﷺ عندما كان ينزل عليه الوحى كان يعرق ويصاب برعشة خفيفة ثم يأتيه مثل صلصة الجرس بعد ذلك يقول ما نزل عليه من الوحى مباشرة وقد نزل على الرسول ﷺ ١١٤ سورة منها ٨٦ سورة فى مكة و٢٦ سورة فى المدينة والسور التى نزلت فى مكة تعرف بالسور المكية والسور التى نزلت فى المدينة تعرف بالسور المدنية وكل هذه السور تكون ٦٠٢٦ آية وهذه السور عبارة عن ٧٧٨٤٥ كلمة وهذه السور عبارة عن ٣٣٠٧٣٣ حرفًا أى أكثر من ثلث مليون حرف وظل الرسول حافظًا لكل هذه السور إلى آخر يوم فى حياته وكان هو المرجعية الوحيدة للمسلمين والصحابة فى كل ما يخص القرآن ونزوله ومن المعروف أن المصاب بالصرع يصاب بحالة فقد للوعى كامل لا يتذكر شيئًا مما يحدث له ولا يتذكر من هو أو المكان الموجود به، بل إن مخه نتيجة خلل به يصدر

شرارة كهربائية للجسم الذى يرتجف تجعله يصاب بفقدان الوعى وهذا غير موجود مع الرسول ﷺ، فالرسول ﷺ فى حالة وعى كامل يتذكر كل ما قاله الوحى بكل حرف وكل كلمة وكل إعراب ولا ينسى الرسول ﷺ حرفًا واحدًا.. أين هو الصرع الذى أصيب به الرسول ﷺ كما يدعى المستشرقون؟؟...

ثالثًا: إن المصاب بالصرع تأتيه نوبات تشنجية ويرتجف جسمه وأطرافه ويسقط على الأرض فجأة بدون مقدمات ويزرق جسمه ويتشنج ويعض لسانه ويتبول على نفسه، ولابد أن يساعده الآخرون حتى لا يتكسر عظمه، ولكن ذلك لم يكن يحدث مع الرسول ﷺ، فالوحى كان يصيب الرسول ﷺ بقليل من العرق مع رجفة بسيطة بعدها يتلو الآيات التى نزلت عليه ولم نسمع فى كتب السيرة أن الرسول ﷺ عض لسانه مرة، لذلك أقول للمستشرقين.. اتقوا الله فى كذبكم.

رابعًا: من المعروف أن المصاب بالصرع غير قادر على تحمل مسئولية الغير أو سلامة الغير وقيادته لأن نوبات الصرع من الممكن أن تأتى فى أى وقت وليس لها أعراض تمهيديه ولكن الرسول ﷺ كان يقود أمة بأسرها وكوّن أول دولة إسلامية وكوّن الحضارة الإسلامية بحيث أصبح فى العالم ثلاث حضارات، الحضارة البيزنطية والحضارة الفارسية والحضارة الإسلامية وكان الرسول ﷺ مطاعًا فى كل العالم الإسلامى، قاد القوات الإسلامية فى كل الحملات منذ بدر وأُحد والخندق وغيرها من الحملات العظام حتى حملة تبوك التى توجه فيها من المدينة إلى تبوك لمواجهة هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية فى العام التاسع الهجرى فى عام ٦٣٠م كانت هذه آخر المواقع العسكرية فى عهد الرسول ﷺ لذلك أقول للمستشرقين اتقوا الله فى كذبكم، إن حقدكم الأعمى نحو الرسول ﷺ جعلكم تتخيلون أشياء لوصم الرسول ﷺ غير موجودة إلا فى ذهنكم المريض.

خامسًا: والثابت أن الرسول ﷺ لم يكن لديه صرع، فقد سأل الحارث بن هشام رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحى؟ فقال الرسول ﷺ «أحيانًا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده فينفصم عنى وقد وعيت عنه ما يقول» ومعنى ذلك الحديث يا أيها المستشرقون إن الوحى يأتى إلى الرسول ﷺ مثل صلصلة الجرس

ويقول الرسول ﷺ: «وقد وعيت عنه» أى أنه لم يفقد وعيه بل يعى كل ما يحدث ويقول الرسول ﷺ إن الوحى يأتى أحيانًا يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعى ما يقوله:.. أى أن الرسول ﷺ يعى كل ما يسمعه ولم يفقد وعيه وتقول عائشة فى حديث لها «ولقد رأيته فى اليوم الشديد البرد ينفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا» لذلك أقول للمستشرقين للمرة الألف إن دعاوى الكذب، والإفك لن تجد عاقلاً واحدًا يصدقها من أى ديانة سماوية لأن الرسول ﷺ كان يتذكر كل شىء أثناء نزول الوحى عليه ولا يصاب بغيبوبة تفقده الذاكرة مثل مرض الصرع والدليل أنه كان يجمع كتبة الوحى ليكتبوا ما أبلغ به من القرآن بعد نزول الوحى.

الفصل الثالث
الدعـوة الإسـلاميـة العلنيـة

وسوف نتناول الدعوة الإسلامية فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: الدعوة الإسلامية العلنية.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى الدعوة الإسلامية العلنية.

وذلك تفصيلاً على النحو التالى:

المبحث الأول
الدعوة الإسلامية العلنية

أولا: فى عام ٦١٢م أى بعد ثلاث سنوات من الدعوة الإسلامية السرية أمر الله الرسول ﷺ بالدعوة العلنية للرسالة والجهر بها وقد ورد ذلك فى سورة الشعراء الآيات ٢١٤ ـ ٢١٦ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فكانت الدعوة العلنية إلى عشيرته من الأقربين من بنى هاشم ولكنهم انصرفوا عنه وخاصة عمه أبا لهب.

ثانيًا: ومن هذه اللحظة واصل الرسول ﷺ الدعوة للإسلام جهرًا فصعد إلى جبل الصفا وأخذ يدعو أهل مكة جميعًا من أبناء هاشم وعبد مناف وزهرة وتيم ومخزوم وأسد فغضبوا منه ورفضوا دعوته وأخذ الرسول ﷺ يحقر من شأن آلهة قريش ويسخر منها ومن كل الأوثان والأصنام من هبل واللات والعزى، فبدأ أهالى قريش يخافون من دعوته على آلهتهم وعلى مراكزهم فطلب أشراف قريش

من عمه أبى طالب أن يرجع الرسول ﷺ عن سخريته من آلهة قريش حتى لا تقع العداوة بين فروع قريش وتقع الحروب وطلب ذلك أبو طالب من الرسول ﷺ ولكن الرسول ﷺ كان مصمماً على المضى إلى غايته فى نشر الدعوة، فقال له «يا عم.. والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» ولم يكن عمه أبو طالب دخل الإسلام ولكنه طلب من بنى هاشم حماية الرسول من أذى قريش فناصره كل بنى هاشم ما عدا عمه أبا لهب الذى وقف ضده فى صفوف الأعداء.

ثالثاً: وكان أول من جاهر بالإسلام علانية دون خوف أبو بكر الصديق وعمار بن ياسر وأمه سمية وصهيب بن سنان وبلال بن رباح والمقداد بن الأسود ولكن الرسول ﷺ كان محمياً ببنى هاشم أما الباقون فقد تحملوا أشد أنواع العذاب من المشركين فمثلاً قام أمية بن خلف بإلقاء بلال بن رباح على الرمل تحت الشمس المحرقة ووضع حجراً فوق صدره ويقول له سوف تظل هكذا حتى تموت أو تكفر برب محمد وتعبد اللات والعزى وكذلك على سبيل المثال قام بنو مخزوم بإخراج عمار بن ياسر وأبيه وأمه سميه يعذبونهم فى بطحاء مكة حتى الوفاة، وقد وعدهم الرسول ﷺ بالجنة وكانت أم عمار واسمها سمية أول شهيدة فى الإسلام حيث طعنها أبو جهل بحربة فى قلبها ولم يسلم الرسول ذاته من أذى كفار قريش فكانت أم جميل زوجة عم الرسول ﷺ أبى لهب تلقى النجس أمام بيت الرسول ﷺ وكان أثناء صلاة الرسول ﷺ يلقى عليه أبو جهل رحم شاه مذبوحة وكان حمزة عم الرسول ﷺ وأخوه فى الرضاعة بعد أن علم بما حدث للرسول ﷺ من أبى جهل توجه إليه وضرب أبا جهل وشجه فى رأسه وأعلن حمزة إسلامه.

المبحث الأول

رأى المؤلف فى الدعوة الإسلامية العلنية

أولا: بعد أن اشتد تعذيب كفار قريش للمسلمين الأوائل فأشار عليهم الرسول ﷺ بالخروج للحبشة وكانت أول هجرة للحبشة فى عام ٦١٥م أى بعد ثلاث

سنوات من الدعوة العلنية وكانت أول هجرة بها خمسة عشر شخصًا منهم أحد عشر رجلاً وأربع مساء عن طريق السفن من ميناء الشعيبية فى شهر رجب فى عام ٦١٥م وكان على رأسهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول ﷺ ثم عادوا إلى مكة بعد أن بلغهم أن كفار قريش كفوا عن إيذاء المسلمين، لكن عند عودتهم وجدوا أن كفار قريش زادوا فى جرعة تعذيب المسلمين فخرجوا ثانية فى هجرة ثانية إلى الحبشة عن طريق البحر وكان عددهم فى المرة الثانية اثنين وثمانين رجلاً عدا النساء والأطفال وكان على رأسهم جعفر بن أبى طالب وزوجته أسماء بنت عميس وحتى يحاول كفار قريش إيذاء المسلمين فى الحبشة برجوعهم مرة أخرى إلى مكة لكى يبطشوا بهم أرسلوا رجلين إلى حاكم الحبشة النصرانى وهو يدعى النجاشى والرجلان اللذان أرسلهما كفار قريش هما عمرو بن العاص وعبدالله بن أبى ربيعة ومعهم الهدايا إلى نجاشى الحبشة لإقناعه بعودة المسلمين إلى مكة فرفض النجاشى بعد أن تبين له أن هؤلاء المسلمين يعبدون الله الواحد فقال جعفر بن أبى طالب رئيس بعثة الهجرة للنجاشى «أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسىء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف فكنا كذلك حتى بعث الله فينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله الواحد لنعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباونا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا بالصلاة لله وحده لا نشرك به شيئًا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئًا وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك» وعندما طلب منه النجاشى قراءة شيئًا من القرآن قرأ عليه جعفر ابن أبى طالب سورة مريم وهنا رد النجاشى هدية مندوبى قريش

ورحب بالمسلمين على أرض الحبشة[1]، وبهذه الهجرة للحبشة حافظ الرسول ﷺ على جزء من أتباعه وعاد المهاجرون إلى يثرب من الحبشة بعد هجرة الرسول ﷺ إلى يثرب فى عام ٦٢١م وهذه الهجرة التى أشار بها الرسول ﷺ لأتباعه كانت حماية للمسلمين من أعدائهم.

ثانياً: وفى عام ٦١٦ م بعد الهجرة الأولى للحبشة كان عمر بن الخطاب يبلغ من العمر السادسة والعشرين من عمره ومن أشد أعداء الإسلام يفتك بهم حيث إنه كان طويلاً وجسمه ضخم وأصلع، قوى الشكيمة مفتول العضلات مهابًا بين قومه وقد كانت أخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قد أسلما وأخفيا إسلامهما عنه ولما بلغه ذلك توجه إليهما وضربهما وقد أخبراه أن الرسول ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحد الرجلين إما عمرو بن هشام (أبو جهل) إما عمر بن الخطاب» ثم أخبروه عن مكان النبى ﷺ فقصد إلى النبى ﷺ وأعلن إسلامه وأظهر عمر بن الخطاب إسلامه علنًا وأعلنه على رءوس أهل قريش وقاتلهم فى سبيل الإسلام حتى سماه الرسول ﷺ الفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل ورغم شدة قسوة كفار قريش آمن بالدعوة الكثير من أهالى قريش، وها هو عمر بن الخطاب أشد الرجال يؤمن بالإسلام.

ثالثاً: زاد خوف أهل قريش من ازدياد نفوذ الدين الجديد فى التأثير على مصالحهم وخاصة أشراف قرش وقادتها فطلب أهل قريش من بنى هاشم التخلى عن مناصرة محمد ﷺ لأنه على وشك أن يوقع الفتنة بين فروع قريش ولكن بنى هاشم رفضوا معاداة الرسول ﷺ من منطلق رابطة العصبية وكان الرسول ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام فى هذه الفترة فى الأشهر الحرم حيث يفد إلى مكة العرب وقت الأشهر الحرم فيحرم القتل والاعتداء والانتقام، فكان الرسول ﷺ فى هذه الفترة فى فترة أمان يدعو العرب للإسلام ويبشرهم بالجنة ولكن الرسول ﷺ أصيب بمصيبة كبيرة فى عام ٦١٩م كان لها أثر كبير فى نفسه وهى وفاة عمه أبى طالب الذى رغم تمسكه بدين قريش ظل يدافع عن الرسول ﷺ ضد كل فروع قريش ويرفض المساس بالرسول ﷺ معلنًا أن أى اعتداء على الرسول ﷺ هو اعتداء على بنى هاشم وقد حاول الرسول ﷺ أن يهدى عمه أبا

طالب إلى الإسلام ولكنه كان يرفض وفى ذلك نزلت آية سورة القصص الآية ٥٦ ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

رابعًا: بعد حوالى شهرين من وفاة أبى طالب منى الرسول ﷺ بمصيبة أخرى فى نفس العام ٦١٩م وهى وفاة زوجته السيدة خديجة بنت خويلد أول من صدق دعوته من النساء وقد ظل وفيًا لها طوال حياتها لم يتزوج غيرها حتى ماتت وقد ورد عن الترمذى عن أنس فى صاحب التاج الجامع للأصول أن الرسول ﷺ قال: «أفضل نساء الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنة عمران وآسية بنة مزاحم امرأة فرعون» وقد ورد فى صاحب التاج الجامع للأصول عن ابن أبى أوفى أن الرسول ﷺ قال: «قال لى جبريل بشر خديجة ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» وقد ورد فى صاحب التاج الجامع للأصول أن القصب هو اللؤلؤ والصخب هو الصياح والنصب هو الهم والتعب.

خامسًا: توفيت خديجة بنت خويلد وهى فى الخامسة والستين وقد عاش معها الرسول ﷺ من ٥٩٥م إلى ٦١٩ م أى حوالى أكثر من أربعة وعشرين عامًا ولم يتزوج عليها وظل وفيًا لها طوال عمره وظل يذكرها طوال حياته بالخير والثناء فقال الرسول ﷺ عنها: «لا والله ما أبدلنى خيرًا منها وقد آمنت بى إذ كفر بى الناس وصدقتنى إذ كذبنى الناس وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء» وقد دفنت فى منطقة الحجون ونزل الرسول ﷺ خلفها فى حفرتها لمعزتها عنده فقد أدت السيدة خديجة دورها فى الحياة من خدمة الدعوة منذ نزول الوحى فى عام ٦١٠م حتى يوم وفاتها فى عام ٦١٩م أى حوالى عشر سنوات كانت نعم النصير والمعين لصاحب الرسالة المحمدية شهدت معه مولد الإسلام وقد شعر الرسول ﷺ بفراغ هائل بعد وفاة خديجة وكتب السيرة تسمى عام ٦١٩م «عام الحزن» لأنه فقد فيه عمه أبا طالب أعظم المناصرين والحامين له من غدر كفار قريش وبعد شهرين توفيت زوجته خديجة بنت خويلد، وقد ظل محمد ﷺ العفيف النزيه وفيًا لزوجته خديجة طوال حياته.

سادسًا: بعد أن اشتد الحزن بالرسول ﷺ فى عام ٦١٩م عام الحزن أراد الله أن يخفف وطأة الحزن على نفسه فى ذلك العام نفسه عام ٦١٩م فأسرى الله

بالرسول ﷺ ثم عرج به إلى السماء تخفيفًا عليه بعد وفاة أعز الناس إليه عمه أبى طالب وخديجة بنت خويلد بعد أن اشتد أذى قريش عليه بعد وفاة ناصره وحبيبه عمه أبى طالب وقد ورد الإسراء فى سورة الإسراء الآية ١ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ثم ورد المعراج فى سورة النجم الآيات ١ ـ ١٨، ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى(٦) وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى(٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ وهنا رحلتان رحلة الإسراء ورحلة المعراج..

الرحلة الأول: رحلة الإسراء وهى أن الرسول ﷺ كان ليلة الإسراء فى بيت ابنة عمه هند بنت أبى طالب ويطلق عليها أم هانئ فصلى العشاء ونام ثم صلى الصبح فيهم وقال الرسول ﷺ لابنة عمه «يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الصبح معكم كما ترين» فقالت له أم هانئ «يا نبى الله لا تحدث الناس فيكذبوك ويؤذوك» وفى رحلة الإسراء فقد أسرى الرسول ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى فى بيت المقدس على دابة بيضاء تسمى «البراق» وأقام الرسول ﷺ الصلاة فى بيت المقدس بالمسجد الأقصى وصلى إمامًا بجميع الأنبياء.

الرحلة الثانية: رحلة المعراج، فما أن وصل الرسول ﷺ المسجد الأقصى ببيت المقدس حتى نصب له جبريل المعراج وصعد فيه إلى السموات السبع سماء وبعدها سماء إلى أن وصل إلى السماء السابعة حيث التقى فيها بالأنبياء ورأى النار والجنة وكان بينه وبين الله قاب قوسين أو أدنى ثم عاد الرسول ﷺ على المعراج إلى بيت المقدس ومن بيت المقدس والمسجد الأقصى امتطى دابة البراق

مرة أخرى وعاد إلى مكة حيث نزل منزل ابنة عمه هند بنت أبى طالب رغم أن ابنة عمه حذرته من الحديث فى موضوع الإسراء والمعراج إلا أن الرسول ﷺ أخذ يحدث الناس بذلك الموضوع فسأله الناس أن يصف المسجد الأقصى وبيت المقدس الذى لم يره فى حياته من قبل فأتى جبريل ووضعه أمامه ليصفه وصفًا دقيقًا وتقول كتب السيرة إن الرسول ﷺ روى لهم أنه أثناء ركوبه البراق مر بقافلة لقريش وقد ضل بعير لهم فدلهم عليه وأن القافلة يتقدمها جمل أورق عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى برقاء، فلما وصلت القافلة تأكد الناس من صدق كلامه وكان أول من صدقه فى حديثه عن الإسراء والمعراج أبو بكر الصديق، لذلك سمى بالصديق ولكن الناس اختلفت آراؤهم حول الإسراء والمعراج بعضهم قال بالروح والجسد معًا ومنهم من قال إن الإسراء والمعراج كانا بالجسد ومنهم من قال إن الإسراء كان بالجسد والمعراج كان بالروح ومنهم من قال إن الإسراء والمعراج كانا بالروح فقط، والصحيح الأول.

سابعًا: عندما اشتد أذى كفار قريش على المسلمين كان الرسول ﷺ يتماسك بالصبر والحكمة حتى تقوى شوكة المسلمين فتحكى كتب السيرة أن أبا جهل مر بالرسول ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه فى دينه، فلم يرد الرسول ﷺ وما أن سمع عمه حمزة بن عبدالمطلب ذلك فتوجه إلى أبى جهل ممسكًا قوسه وضرب أبا جهل بقوسه وشجه فى جبينه وأعلن بعد ذلك حمزة إسلامة علانية أمام أهالى قريش وكان من أشد أنصار الإسلام.

ثامنًا: بعد أن كثر أعداد المسلمين من أهالى قريش اجتمع أشراف قريش من كل قبيلة وهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وأبو البخترى بن هاشم وعبدالله بن عبدالمطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وعبدالله بن أبى أمية والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأمية بن خلف اجتمعوا بعد غروب الشمس عند الكعبة وبعثوا إلى الرسول ﷺ ليحضر مجلسهم ليكلموه حتى يرجع عن دعوته وتجاب له كل طلباته مهما كان حجمها وجاءهم الرسول ﷺ وقالوا له إذا كنت تطلب مالاً نحضره لك وترجع عما تنادى به وإذا كنت تطلب الشرف فنحن نسودك علينا وإن كنت تطلب

ملكًا جعلناك ملكًا علينا وإذا كان الذى يأتيك رئيًا تراه قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى يبرئك منه فرد عليهم الرسول ﷺ «ما بى ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى إليكم رسولاً وأنزل على كتابًا فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم» ويرى المؤلف أن رد الرسول ﷺ على أشراف قريش وزعمائها فيه أبلغ الرد على أن الرسول ﷺ لم يأت بدعوته طامعًا فى مال أو شرف أو ملك وإلا كان قبل منهم المال وقبل منهم أن يكون ملكًا عليهم بإرادتهم الحرة ولكن دعوة الرسول ﷺ بكتاب منزل من عند الله للعالم كله وليس لقبيلة قريش فقط.. وبعد أن أنهى الرسول ﷺ كلامه قام وقام معه عبدالله بن أبى أمية بن المغيرة وهو ابن عمته وأعلن إسلامه.

تاسعًا: بعد أن انتهى اجتماع أشراف وزعماء قريش بالرسول ﷺ بتمسك الرسول ﷺ بدعواه اتفقوا مع أبى جهل بأن يقتل الرسول ﷺ بحجر أثناء قيامه بأداء الصلاة ولكن الله حمى رسوله ﷺ من كفار قريش فتوجه أبو جهل لكى يقتل الرسول ﷺ وهو يصلى بالحجر وما أن أمسك بالحجر حتى يبست يداه وتجمدت لأنه عندما مسك الحجر ليلقيه على الرسول ﷺ ظهر له فحل من الإبل ضخم الجثة وله أنياب هم أن يأكل أبا جهل.. أليس بعد هذه الواقعة التى حكاها أبو جهل لأشراف قريش وزعمائها الذين كانوا ينتظرون نتيجة مقتل الرسول ﷺ ولكن الله حماه من أعدائه.. كان من الممكن أن يسلموا ويعلنوا إسلامهم ولكن قسوة قلوبهم وحقدهم على الرسول ﷺ جعلتهم لا يعلنون إسلامهم وغرورهم جعلهم لا يؤمنون بدين أتى به شاب كان بالأمس غلام بينهم.

عاشرًا: بعد أن زاد عدد المسلمين داخل قريش رغم تعذيبهم بأشد أنواع العذاب فكانوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ويلقونهم برمضاء مكة عندما يشتد الحر ويضعون الصخور الكثيرة على صدورهم فى شدة الحر ولكن بعد إسلام عمر بن الخطاب وحمزة بن عبدالمطلب وبدأ الإسلام يدخل قلوب الكثيرين عن قناعة حرة رغم ما يتعرض له المسلمون الأوائل من عذاب فوق

طاقة البشر اجتمع زعماء قريش وكفارها وتآمروا على عشيرة الرسول ﷺ وكتبوا عهدًا يطلق عليه الصحيفة يتعاهدون فيه على بنى هاشم الذين منهم الرسول ﷺ وبنى عبدالمطلب أعمام الرسول ﷺ «علىٰ ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم» أى لا يتزوجون منهم ولا يبيعون ولا يشترون منهم فكان هذا الاتفاق وهو اتفاق الصحيفة تعاهدوا فيه ضد بنى هاشم وبنى عبدالمطلب ألا يتعاملوا معهم ويقاطعوهم مقاطعة دائمة وقد قام كاتب الصحيفة وهو منصور بن عكرمة بكتابة هذا الاتفاق حتى يفصلوا بنى هاشم وعبدالمطلب ويجعلوهم فى عزلة تامة حتى يبعد الرسول ﷺ عما ينادى به ويدعو إليه وقد قام منصور بن عكرمة بتعليق اتفاق الصحيفة داخل الكعبة وهكذا تكتلت كل فروع قريش ضد فروع بنى هاشم وعبدالمطلب ورغم ذلك لم يتراجع الرسول ﷺ عن دعوته رغم كل ما يحدث لأنه أتاهم بعبادة الله الواحد خالق السماوات والأرض بدلاً عن عبادة أحجار يصنعونها بأيديهم وينحتونها بأيديهم وبعد أن يصنعوها يستطيعون تكسيرها وإذا سقطت على الأرض تكسر إلى عشرات القطع ورغم ذلك يعبدون هذه الحجارة التى لا فائدة منها.. فهل يتراجع من أجل هذا الاتفاق الصبيانى...

الحادى عشر: ولم يكن كل أقارب الرسول ﷺ يناصرونه فكان بعضهم ضده وكانوا أشد عداوة له منهم عمه أبو لهب بن عبدالمطلب وزوجته أم جميل بنت حرب بن أمية فقد كانت تحمل الشوك وتلقيه أمام الرسول ﷺ أثناء سيره وقد لعن القرآن الكريم أبا لهب وزوجته فى سورة المسد ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ وتحكى كتب السيرة عندما علمت زوجة أبى لهب ما نزل بها وزوجها فى القرآن توجهت إلى الرسول ﷺ وهو جالس مع أبى بكر الصديق عند الكعبة وفى يدها حجر كبير لضرب الرسول ﷺ ولكن الله أخذ ببصرها فلم تر الرسول ﷺ جالسًا بجوار أبى بكر الصديق.

الثانى عشر: وبمناسبة الدعوة العلنية للرسول ﷺ فإن المستشرقين كانوا يطعنون فى القرآن ذاته وأنه كلام ليس من عند الله وكان مما قاله المستشرقون

إن القرآن به تناقض فى ألفاظه وكون القرآن به تناقض فى ألفاظه، معنى ذلك أنه غير مرسل من عند الله ومن الأمثلة التى يذكرها المشتشرقون أمثال مونتجمرى وات فى كتابه «محمد فى مكة» ما ورد فى سورة البقرة الآية ٢٣٤ وما ورد فى سورة البقرة الآية ٢٤٠.

ففى سورة البقرة الآية ٢٣٤ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ أما الآية الثانية التى يستدل بها المستشرقون وتدل على تناقض فى القرآن وهى الآية ٢٤٠ فى سورة البقرة ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ والفرق بين الآيتين اللتين يستشهد بهما المستشرقون أن الآية الأولى حددت عدة المتوفى عنها زوجها بأربعة أشهر وعشر ليال أما الآية الثانية حددت عدة المتوفى عنها زوجها بحول كامل.

ويرى المؤلف أن ذلك ليس فيه أى تناقض فى ألفاظ القرآن لأن هناك ما يسمى بالناسخ والمنسوخ وعدة المتوفى عنها كانت تركت الحرية للمتوفى عنها زوجها للبقاء فى بيت زوجها دون إخراج سنة فخففت إلى أربعة أشهر وعشرة أيام فنسخت الآية الأولى فى ترتيب التلاوة فى المصحف الآية الثانية.. والآية الأولى من حيث النزول هى المتأخرة فهى الناسخة.. والناسخ والمنسوخ معروف فى علوم القرآن وهو وقف العمل بحكم سابق وبدء العمل بحكم جديد ولاحق فلا تناقض فى معانى القرآن هنا ولكن افتراء المستشرقين وحقدهم على القرآن جعلهم يتسرعون فى إطلاق الأحكام المتسرعة التى لا أساس لها من الصحة.

الثالث عشر: يدعى المستشرقون وخاصة مؤنتجمرى وات فى كتابه محمد فى مكة» أن هجرة المسلمين الأوائل الأولى والثانية للحبشة كانت لغرض التجارة وليس خوفًا من بطش كفار قريش ويرى المؤلف أن حقد مونتجمرى وات صور له أشياء غير موجودة فى الواقع.. كيف يقول إن هجرة المسلمين الأولى والثانية للحبشة لم تكن بغرض الفرار من اضطهاد كفار قريش والقرآن ذاته وكتب السيرة

النبوية سواء ابن اسحاق أو ابن هشام أو غيرها مليئة بقصص تعذيب كفار قريش للمسلمين الأوائل وقتلهم وضربهم حتى الرسول ﷺ ذاته لم يسلم من أذية وتعذيب كفار قريش وكيف يهاجرون للحبشة للتجارة وهم يرحلون ليلاً فى سفن للحبشة وليس معهم أى بضاعة لبيعها فى الحبشة، لأن عادات وتقاليد التجارة فى ذلك الوقت أن تأخذ بضاعة من مكة ليتم بيعها فى الحبشة ثم تأخذ بضاعة من الحبشة ليتم بيعها فى مكة وفرق ثمن البيع هو مكسب القافلة التجارية.. أين هى البضاعة التى أحضرها المهاجرون من الحبشة وباعوها فى مكة،... وأين هى البضاعة التى أخذوها أصلاً من مكة وباعوها فى الحبشة؟.. إننا أمام تخيل مريض لمونتجمرى وات الذى يصور أن الهجرة للحبشة كانت للتجارة وخاصة إذا علمنا أن الهجرة الثانية لم تعد إلى مكة بل عادت إلى المدينة بعد أن استقر الأمر للرسول ﷺ وبدأ ظهور الدولة الإسلامية ولم يعد المهاجرون للحبشة للمدينة ومعهم أية بضاعة لبيعها فى المدينة.. لذلك إن عقل أى ساذج يرفض ما روجه المستشرقون بأن الهجرة للحبشة كانت من أجل التجارة وليس هربًا من تعذيب كفار قريش.

الفصل الرابع
خبر الإفك قصة الغرانيق

وسوف نتناول خبر الإفك فى قصة الغرانيق فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: وقائع قصة الغرانيق وقبول شفاعة آلهة كفار مكة لدى الله.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى قصة الغرانيق.

وذلك على النحو التالى تفصيلاً..

المبحث الأول
وقائع خبر الإفك فى قصة الغرانيق

أولا: بعد الهجرة الأولى للحبشة التى كان بها خمسة عشر مسلمًا وأثناء وجود المهاجرين المسلمين بالحبشة أخبروا بأن اضطهاد كفار قريش للمسلمين بمكة قد زال ولم يعد هناك خلاف بين كفار قريش والمسلمين.. لذلك بعد ثلاثة أشهر عاد المسلمون المهاجرون من الحبشة إلى مكة على أمل أن يعيشوا فى أمان فى مكة وعندما اجتمع بهم الرسول ﷺ قرأ عليهم سورة النجم الآية ١٩، ٢٠ ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ وقرأ بعد ذلك بقية الآية وقد دس على الرسول ﷺ أنه يذكر آلهة كفار قريش بالخير والغرانيق اسم طائر مائى لذلك أطلق الكفار على آلهتهم اسم الغرانيق وأن شفاعتهم لترتجى عند الله أى شفاعة الآلهة اللات والعزى ومناة ترتجى عند الله ثم قرأ السورة ودس على الرسول ﷺ أنه قال ذلك الكلام ثم قرأ السورة كلها وسجد فى آخرها فأعلنت قريش رضاها لأن آلهتها تشفع عند الله الذى يدعو الرسول ﷺ إلى توحيده.

ثانيًا: يذكر المشوهون للأسلام أن الرسول ﷺ فعل ذلك، أى جعل لآلهة الأصنام شفاعة عند الله الواحد بعد اشتداد أذى كفار قريش على أصحابه مما جعلهم يهاجرون إلى الحبشة وقيل ذلك تقربًا لكفار قريش وتلا سورة النجم وأضاف إليها قصة الغرانيق تقربًا من كفار قريش بأن جعل لآلهتهم شفاعة لدى الله الواحد حتى لا يضطهدوا المسلمين وبعد أن أنهى قراءة السورة سجد فى آخرها وأعلنت قريش رضاها بالسجود فى نفس الوقت الذى سجد فيه الرسول ﷺ على حد زعم المشككين لأن لآلهتهم شفاعة لدى الله الذى يدعو إليه الرسول ﷺ.

ثالثًا: ثم يذكر خبر الإفك المدسوس على الرسول ﷺ أن الرسول ﷺ عاد مرة أخرى إلى عادته يذكر آلهة قريش بالشر ويشتمهم بعد أن أتاه جبريل يقول له «أوجئتك بذلك» أى أن جبريل لم يذكر للرسول ﷺ قصة الغرانيق وأن شفاعة آلهة قريش مقبولة لدى الله، فقال الرسول ﷺ لجبريل «قلت على الله ما لم أقل» وحسب قصة الغرانيق نزل الوحى فى سورة الإسراء آية ٧٣ ـ ٧٥ ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٣) وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾، هذا كله على يحسب زعم المشككين.

المبحث الثانى

رأى المؤلف فى خبر الإفك فى قصة الغرانيق

أولا: إن قصة الغرانيق كلها كذب وافتراء وإفك على الرسول ﷺ لأنها جعلته يقول أشياء على أساس أنها صادرة من الله ولم ينزل بها الوحى إطلاقًا، لذلك قال جبريل للرسول ﷺ حسب زعم قصة الإفك «أوجئتك بذلك» ويروى المؤلف أن الرسول ﷺ لم يحدث مطلقًا فى كل سور القرآن ١١٤ سورة أن أضاف شيئًا عما يرد إليه من وحى أو ينقص شيئًا عما يرد إليه من وحى، وما هو إلا ناقل للدعوة

من الله بدون نقصان أوزيادة لذلك فإن قصة الغرانيق ملفقة شكلاً وموضوعًا على الرسول ﷺ. والدليل على ذلك قول الله تعالى: فى سورة الحاقة الآيات ٤٤ إلى ٤٧: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ .

ثانيًا: وخبث المستشرقين أنهم استخدموا هذه القصة للنيل من الرسول ﷺ من أن الرسول ﷺ جامل كفار قريش بعد اضطهادهم له وللمسلمين فقال على الله ما لم يقله لذلك أقول للمستشرقين إن الرسول لا يمكن أن يجامل كفار قريش على حساب العقيدة الإسلامية التى تدعو إلى التوحيد وأن الله واحد خالق السموات والأرض كيف يحدث عقلاً أن يقول الرسول ﷺ هذا الكلام الذى لا أساس له من الصحة بأن الأصنام والأوثان والأحجار التى يعبدها كفار قريش لها شفاعة لدى الله الواحد.. كيف للأحجار والأصنام التى يمكن تكسيرها فى أى لحظة أن يكون لها شفاعة لدى الله الواحد وطوال تواجد الرسول ﷺ ثلاثة عشر عامًا فى مكة لم يخف الرسول ﷺ من كفار قريش أو يجاملهم فى سبيل الدعوة الإسلامية بل تحمل المشاق والعذاب فى سبيل نصرة الدعوة الإسلامية.

ثالثًا: وعند عودة المسلمين إلى مكة لم يعودوا لأن اضطهاد كفار قريش قد خف بل عادوا لأنه اندلعت ثورة ضد نجاشى الحبشة بسبب إسلامه فوجدوا الفرصة للعودة إلى مكة على أمل أن تخف قبضة كفار قريش فى تعذيبهم بعد إسلام أحد رموز قريش وهو عمر بن الخطاب، ولكن عندما عادوا وجدوا كفار قريش على سيرتهم الأولى فى زيادة منحنى تعذيب المسلمين.

رابعًا: كلمة الغرانيق تعنى اسم طائر مائى، لذلك وصف كفار قريش آلهتهم بالغرانيق وكلنا نعرف أن الرسول صادق وأمين طوال حياته وقد لقب بالصادق الأمين لأنه قدوة للمسلمين جميعًا ولكم فى رسول الله أسوة حسنة، لذلك لا يمكن إن يقال أن الرسول ﷺ يقول أى قول وينسبه إلى الله ولم يصدر من الله.

خامسًا: ما الذى يدعو الرسول ﷺ حسب قول المستشرقين لمهادنة كفار قريش وهو كان صلبًا طوال حياته أمامهم، فعندما أتى إليه عمه أبو طالب ليرجع

عما يدعو إليه ويشتم آلهة كفار قريش ويسبها ويلعنها قال له الرسول ﷺ «لو وضعت قريش الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى فلن أترك هذا الدين أو أموت دونه».

سادسًا: إن الإسلام يدعو إلى التوحيد وعبادة الله الواحد وكل شبه الجزيرة العربية تعرف ذلك فلا يمكن للرسول ﷺ أن يقول إن آلهة قريش وهى الغرانيق لها شفاعة لدى الله ويخلق لها مكانة فى الإسلام وهو دائمًا يدعو كل الكفار إلى هدمها لأنها لا تنفع ولا تضر وما هى إلا من صنع أيدى البشر.

سابعًا: أما عن السورة الحقيقة وهى سورة النجم بعيدًا عن دس الحاقدين على الإسلام فإن كلها ذم فى آلهة قريش والسورة الحقيقية هى سورة النجم آية ١٨ إلى ٢٣ ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى(١٨) أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى(١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى(٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى(٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى(٢٢) إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ وهذه هى السورة الحقيقية الصحيحة الموجودة فى القرآن الذى جمعه أبو بكر الصديق والقرآن الذى جمعه عثمان بن عفان لم يتغير ولكن الحاقدين غيروها لتشويه الرسول ﷺ والصورة الصحيحة وهى سورة النجم صريحة فى ذم اللات والعزى ومناة وأنها أسماء سماها المشركون وأباؤهم ولا يوجد هنا فى السورة أى شفاعة لهذه الآلهة لدى الله.

ثامنًا: لذلك فإن قصة الغرانيق أدخلها الحاقدون لتشويه صورة الإسلام والرسول ﷺ فلا يمكن أن يقول الرسول ﷺ إن هذه الأصنام من الحجارة والأوثان لها أى قيمة تذكر فى الإسلام والدليل على ذلك أنه عند فتح مكة، أول شىء فعله أنه قام بتكسير كل الأصنام والأوثان داخل الكعبة هو والصحابة ولم يترك صنم أو وثن واحد داخل الكعبة أو خارجها.

الباب الثالث
الخـروج بالدعوة من مكة إلى المدينة

سوف نتناول هذا الباب وهو الخروج بالدعوة الإسلامية من مكة إلى المدينة فى عدة فصول على النحو التالى.

الفصل الأول: محاولة الخروج بالدعوة من مكة لغيرها من القبائل.

الفصل الثانى : الهجرة إلى المدينة.

الفصل الثالث : تنظيم الدولة الإسلامية فى المدينة.

الفصل الرابع : بداية الغزوات الصغرى.

وسوف نتناول هذه الفصول على النحو التالى تفصيلاً..

الفصل الأول
محاولة الخروج بالدعوة من مكة لغيرها من القبائل

سوف نتناول محاولة الخروج بالدعوة من مكة لغيرها من القبائل فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: محاولة الخروج بالدعوة من مكة لغيرها من القبائل.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى محاولة الخروج بالدعوة من مكة لغيرها من القبائل.

وذلك على النحو التالى تفصيلاً..

المبحث الأول
محاولة الخروج بالدعوة من مكة لغيرها من القبائل

أولاً : بعد وفاة عم الرسول ﷺ أبى طالب زادت ضراوة قسوة كفار قريش على الرسول ﷺ والمسلمين الأوائل عمومًا واشتدت عداوة كفار قريش وخاصة من عم الرسول ﷺ أبى لهب وأبى جهل عمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهم من سادة كفار قريش وتنوعت أساليب الإيذاء بالرسول ﷺ فكانوا يرمونه بالحجر وهو يصلى كما ألقى عقبة بن أبي معيط رحم شاه ذات رائحة نفاذة على الرسول ﷺ وهو يصلى وفى مرة أخرى حاول خنقه وهو يصلى بأن وضع ثوبه حول عنق الرسول ﷺ لكى يخنقه بقسوة وبعنف لولا تدخل أبى بكر الصديق فى الدفاع عن

الرسول ﷺ وتحولت حياة الرسول ﷺ والمسلمين الأوائل إلى حياة إيذاء وتعذيب فى كل لحظة وتجبر كفار قريش بعد وفاة أبى طالب زعيم بنى هاشم، ففكر الرسول ﷺ بالخروج بالدعوة الإسلامية فى مهدها من مكة إلى مكان آخر فتوجه إلى الطائف فى نهاية عام ٦١٩م وخرج الرسول ﷺ إلى الطائف فى ٢٧ شوال عام ٦١٩ م وكان معه زيد بن حارثة وتقابل مع أشراف وسادة الطائف عبدياليل ومسعود المنعة وحبيب المنعة ولكنهم رفضوا دعوة الرسول ﷺ ورموه بالحجارة ولم يستطع الرسول ﷺ أن يقنع أهل الطائف بمناصرته فعاد إلى مكة فى ٢٣ من ذى القعدة فى عام ٦١٩م.

ثانيًا : بعد أن توجه الرسول ﷺ إلى الطائف سيرًا على الأقدام وأعلنهم بالدعوة ولم يجبه أهل الطائف إلا بغليظ القول والفعل، وعند عودته من الطائف إلى مكة فأتى الرسول ﷺ تحت ظل شجرة وصلى ركعتين ثم قال «اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت أرحم الراحمين.. إلى من تكلنى إلى عدو يتجهمنى أم إلى قريب ملكته أمرى إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى.. غير أن عافيتك أوسع لى أعوذ بوجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بى غضبك أو يحل بى سخطك.. لك العتبى حتى ترضى ولا قوة إلا بالله».

ثالثا: بعد أن أيقن الرسول أن مكة والطائف لن تقبل دعواه بدأ الرسول ﷺ يدعو القبائل العربية التى تأتى إلى مواسم عكاظ ومجنة وذى المجاز حيث تتجمع القبائل العربية يخبرهم بدعواه ويدعوهم إلى الإسلام ويبشرهم بالجنة وكان أهل قريش يحاصرونه لمنعه من الاتصال بالقبائل وكان أقساهم فعلاً ولفظًا عمه أبالهب. لذلك قرر الرسول ﷺ أن يتوجه إلى القبائل فى أماكن تواجدهم وفى منازلهم فى منى أيام الحج فتوجه إلى قبائل بنى كثيرة وبنى كلب وبنى حنيفة وبنى عامر ولكن كل القبائل التى توجه إليها رفضت دعواه فلم تستجب القبائل العربية للدعوة الإسلامية وخرج من هذا أهل يثرب من قبائل الأوس والخزرج فكانوا أكثر استجابة للدعوة الإسلامية فقد قبل بعض الأوس والخزرج دعوة الإسلام.

المبحث الثانى

رأى المؤلف فى محاولة الخروج بالدعوة من مكة لغيرها من القبائل

أولاً : فى عام ٦٢٠م اجتمع الرسول ﷺ بستة من الخزرج المقيمين بيثرب وأسلموا على يديه فى مكة وهم أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر وجابر بن عبدالله بن رئاب فكانوا أول من أسلموا من الخزرج وعندما عادوا إلى يثرب بدءوا يدعون أهلهم من الخزرج للدعوة الإسلامية وكانت هذه أول محاولة ناجحة للدعوة الإسلامية خارج مكة بعد فشل كل المحاولات مع القبائل الأخرى.

ثانياً: وفى عام ٦٢١م قدم إلى مكة فى موسم الحج اثنا عشر رجلاً من يثرب منهم عشرة أشخاص من الخزرج واثنان من الأوس والتقى بهم الرسول ﷺ عند العقبة فى عام ٦٢١ م حيث بايعوه على الإسلام وهى ما تعرف فى كتب السيرة ببيعة العقبة الأولى وعاهدوه ألا يشرك أحدهم بالله وأن يتبعوا تعاليم الإسلام. وكثر عدد الأنصار الذين أسلموا بعد نجاح الرسول ﷺ فى إقناع بعض أهالى يثرب وبعد ذهاب مصعب بن عمير إليهم لتعليمهم القرآن واعتبر مصعب أول سفير فى الإسلام.

ثالثاً : بعد أن انتشر الإسلام فى يثرب فى عام ٦٢١م قدم إلى مكة حوالى ثلاثمائة شخص من أهل يثرب فى موسم الحج منهم من المسلمين خمسة وسبعون رجلاً إمرأتان، وأحد عشر رجلاً من الأوس واثنان وستون رجلاً وامرأتان من الخزرج وبذلك يكون مجموعهم جميعًا خمسة وسبعون مسلمًا وكانت المرأتان هما أم عمارة وأم مبتع أسماء بنت عمرو بن عدى واتفق الرسول ﷺ مع هؤلاء المسلمين الأوائل من الأنصار على مقابلته عند أسفل العقبة بعد الانتهاء من موسم الحج سرًا حتى لا يعرف كفار قريش أخبارهم فيقومون بإيذائهم وقد توجه للاجتماع بهم الرسول ﷺ وكان أبوبكر الصديق الذى وقف يراقب الطريق ومعه على بن أبى طالب والثالث عمه العباس بن عبدالمطلب وكان مازال على دين أهل

قريش يراقب ما يحدث حتى لا تحدث الحرب بين بنى هاشم وبقية فروع قريش وقد أظهر المسلمون الأوائل من أهل يثرب من الأوس والخزرج صدقهم فى إسلامهم ومناصرتهم للرسول ﷺ وفدائه بالروح والدم والمال وفى المقابل عاهدهم الرسول ﷺ ووعدهم بالجنة وطلب الرسول ﷺ منهم اختيار اثنى عشر نقيبًا يمثلون قومهم فى الحوار ومعاهدة الرسول ﷺ فاختاروا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وبسط الرسول ﷺ يده مبايعة لهؤلاء النقباء قائلين كما ورد فى السيرة النبوية لابن هشام بايعوه بالآتى: «بايعنا على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأن نقول الحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم» وكانت هذه هى بيعة العقبة الثانية التى تحدثت عنها كتب السيرة النبوية وهذه البيعة لا تبدأ إلا بعد أن يصل الرسول ﷺ إلى يثرب باعتبار دم الرسول ﷺ كدمهم وهذه الحماية التى تعهد بها الأوس والخزرج للرسول ﷺ اتفق على إخفاء أمر هذه البيعة حتى لا يعلم بها من أهل قريش حتى يهاجر المهاجرون من مكة إلى يثرب حتى لا يتعرضون لأذى كفار قريش حتى يأذن الله بالهجرة إلى ثيرب ويترك مكة.

رابعًا : كانت بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية أول مبايعة على الإسلام من أهالى يثرب من قبيلتى الأوس والخزرج من قبائل خارج مكة وكانت قبيلتا الأوس والخزرج أول قبيلتين يقبلون الدعوة الإسلامية فى تاريخ الدولة الإسلامية بعد قبول عدد من أهالى مكة الدعوة الإسلامية ومن يثرب بدءًا بتنظيم الدولة الإسلامية فى أول نقطة على الكرة الأرضية.

خامسًا: بعد أن بدأ انتشار الإسلام فى يثرب منذ بيعة العقبة الأولى أرسل أليها الرسول ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبدمناف ليعلم أهالى يثرب قراءة القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم فى الدين فكان يسمى فى يثرب بالمقرئ وكان يؤمهم فى الصلاة.

سادسًا: إن إيمان أهالى الأوس والخزرج بالإسلام كان باختيار كامل وبحرية كاملة فلا يوجد أى إكراه عليهم لقبول الإسلام فقد أتوا للرسول ﷺ فى بيعة

العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية يبايعون الرسول ﷺ على الإسلام سرًا وخوفًا من بطش وأذى كفار قريش عن قناعة تامة بمبادئ الإسلام.

سابعًا : وبعد بيعة العقبة الثانية بايع الأوس والخزرج الرسول ﷺ على السمع والطاعة فى عسرهم ويسرهم وكان الرسول ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له بالحرب دفاعًا عن النفس بل كان يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى والصفح وكانت قريش قد اضطهدت المسلمين الأوائل فكان الرسول ﷺ يصفح عنهم، وبعد بيعة العقبة الثانية نزلت أول آية تأذن للرسول ﷺ بالحرب والانتصار على الظلمة ومن يقسون على المسلمين وذلك فى سورة الحج آية ٣٩ إلى ٤١ «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ »

الفصل الثانى
الهجرة إلى المدينة

سوف نتناول الهجرة إلى المدينة فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: الهجرة إلى المدينة

المبحث الثانى : رأى المؤلف فى الهجرة إلى المدينة

وذلك على النحو الثانى تفصيلاً..

المبحث الأول
الهجرة إلى المدينة

أولاً : فى حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال الرسول ﷺ «لقد رأيت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما حرتان» وكانت هذه الرؤية للرسول ﷺ هى الإذن للمسلمين الأوائل بالهجرة من مكة إلى المدينة أو إلى يثرب لذلك أمر الرسول ﷺ أن يهاجر المسلمون إلى يثرب ويلحقوا بإخوانهم الأنصار الذين بايعوا الرسول ﷺ فى بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية وقد طلب منهم الرسول ﷺ أن تكون الهجرة فرادى أو مجموعات قليلة العدد حتى لا ينتبه كفار قريش لهذه الهجرة ويتكرر إيذاء كفار قريش للمسلمين.

ثانياً : أول من هاجر إلى المدينة هو أبوسلمة عبدالله بن عبدالأسد المخزومى ثم تبعه آخرون كثيرون ثم هاجر عمر بن الخطاب ومعه أخوه زيد بن الخطاب

وكثيرون واستمرت الهجرة من مكة إلى يثرب تتوالى وأحس كفار قريش بذلك وضيقوا الخناق عليهم فكانوا يحيلون بين الزوج وزوجته إن كانت الزوجة من قريش ويمنعونها من الخروج كما حدث مع أم سلمة ففرقوا بينها وبين زوجها عند هجرته حتى لحقت بزوجها بعد سنة من هجرته وظل الرسول ﷺ مقيمًا فى مكة حتى يطمئن على هجرة المسلمين وحتى ينتظر الإذن له من الله بالهجرة وانتظر إلى أن هاجر الغالبية العظمى من المسلمين.

ثالثًا: انتظر الرسول ﷺ حتى هاجر المسلمون ولم يبق معه إلا أبوبكر الصديق وعلى بن أبى طالب ومن حبس كرهًا من المسلمين بمعرفة كفار قريش وقد اشترى أبو بكر الصديق دابتين بثلاثمائة درهم حبسهما لا فى داره يعلفهما حتى يأذن الله للرسول ﷺ بالرحيل معه وقد جمع ستة آلاف درهم كل ما معه ليأخذهم فى بلاد الهجرة ينفقهم على الدعوة الإسلامية.

رابعًا : اجتمع أشراف قريش من كل فروعها للتشاور فى دار الندوة ليبحثوا ماذا يفعلون فى موضوع الرسول ﷺ بعد أن هاجر أغلب المسلمين فكانت آراء كثيرة وكان اقتراح أبى البخترى بن هشام حبس الرسول ﷺ تكبيله بالحديد ويغلق عليه الباب وطالب آخر بنفيه من بلاد الحجاز واستقر رأى على الرأى اقترحه أبوجهل هو قتل الرسول ﷺ بأن يأخذوا من كل قبيلة شابًا يشارك فى قتله فيضيع دمه بين القبائل جميعًا ولا يستطيع قبيلة بنى هاشم مواجهة كل القبائل مجتمعة.

خامساً: ولكن الله أنزل على الرسول ﷺ سورة الأنفال الآية ٣٠ لكى ينقذ الرسول ﷺ من هذه المؤامرة فأمره بعدم المبيت فى بيته وأمره بالهجرة وقد ورد ذلك فى سورة الأنفال «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» وفى ليلة الهجرة التى سوف يجتمع شباب قريش لقتل الرسول ﷺ طلب الرسول ﷺ من على بن أبى طالب أن ينام فى فراشه وأن يتخلف بعده فى مكة حتى يدفع الودائع التى كانت فى ذمة الرسول ﷺ للناس وتوجه الرسول ﷺ إلى دار أبى بكر الصديق وركبوا الدابتين وبدأت رحلة الهجرة

إلى المدينة أو يثرب وقد انتظر الشبان الذين أعدتهم قريش أمام بيت الرسول ﷺ حتى الصباح لقتل الرسول ﷺ فوجدوا على بن أبى طالب فى فراشه.

سادساً : وبدأت رحلة الهجرة إلى يثرب بأن توجه الرسول ومعه أبوبكر إلى غار ثور فى الفترة ما بين ١ إلى ٤ من ربيع الأول عام ٦٢١ ولم يعلم بوجودهم هذه الفترة داخل غار ثور وهو فى جبل جنوب مكة إلا عبدالله بن أبى بكر وأخته عائشة وأخته أسماء ومولاهم عامر بن فهيرة.

المبحث الثانى

رأى المؤلف فى الهجرة إلى المدينة

أولاً : ظل الرسول ﷺ وأبوبكر فى الفترة ما بين ١ إلى ٤ من ربيع الأول داخل غار ثور وقد أقبل شبان قريش يبحثون عن الرسول ﷺ فى كل مكان وتوجهوا إلى غار ثور ولكنهم بعد أن دخل الرسول ﷺ وأبوبكر أسرعت العنكبوت إلى نسج بيتها تسد به الغار عن أعين كفار قريش ثم جاءت حمامتان فباضتا عند بابه وذلك كله أقنع كفار قريش أن الغار ليس به أحد وعادوا إلى مكة وبذلك أمضى الرسول ثلاثة أيام ومعه أبو بكر فى غار ثور، لقد كانت معجزة إلهية أن ينسج العنكبوت نسيجه ليحمى الرسول ﷺ وأبا بكر من كفار قريش.

ثانياً : وبدأت رحلة الهجرة فى يوم ٤ من ربيع الأول عام ٦٢١ م بعد أن زودتهم أسماء بنت أبى بكر بالطعام وقد استأجروا دليلاً اسمه عبدالله بن أريقط لكى يرشدهم للطريق إلى يثرب للوصول بهم من طرق غير مألوفة لأن المسافة بين مكة ويثرب خمسمائة كيلو متراً أى أكثر من ضعف المسافة من القاهرة إلى الإسكندرية أو أكثر من المسافة ما بين القاهرة والإسكندرية ذهاباً وإياباً ساروا هذه المسافة وسط ضروب وطرق غير ممهدة وجبال ومنخفضات، وحتى يضلل الدليل كفار قريش اتجه بهم ناحية الجنوب كما لو كان متجهاً ناحية اليمن وأثناء مواصلة الرسول ﷺ لسيره نحو يثرب خصصت قريش مكافأة مائة ناقة لمن يعثر

على الرسول ﷺ وقام سراقة بن مالك بن جعثم بمتابعة الرسول ﷺ وصحبه والدليل حتى وجدهم وأوشك أن يصل إليهم ليحصل على المكافأة من كفار قريش ولكن بمعجزة إلهية يتدحرج الجواد ثلاث مرات وألقى الحصان من فوق ظهره سراقة بن مالك وأوقعه على الأرض بسلاحه وخاف سراقة بن مالك مما حدث له وعاد مرة أخرى إلى مكة وظل يضلل كل كفار قريش الذين يتابعون الرسول ﷺ للفوز بالمكافأة وهى مائة ناقة وهى ثروة يسيل لها لعاب أى شخص فى مكة كلها وهذه معجزة إلهية حتى ينقذ الله الرسول ﷺ وأبا بكر من كفار قريش.

ثالثًا : استمرت الرحلة من غار ثور إلى يثرب سبعة أيام وعندما بلغ الرسول ﷺ قباء على مقربة من يثرب استقبله أهل يثرب بالنشيد والألحان المعبرة عن الفرحة والحب والولاء بسلامة الوصول إلى يثرب وهى كما ورد فى السيرة البنوية لابن هشام.

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة ... مرحبًا يا خير داع

رابعًا : ونزل الرسول ﷺ فى أول الأمر فى قباء فى منزل كلثوم بن الهدم ونزل أبوبكر فى منزل خبيب بن أساف وفى يوم الجمعة توجه الرسول ﷺ إلى يثرب فأدركه وقت الصلاة وهو فى دار بنى سالم بن عوف فصلى بالمسلمين فى ذلك الدار وكانت أول جمعة يصليها الرسول ﷺ إمامًا للمسلمين فى يثرب وكانت أول خطبة فى الإسلام فى يثرب لأنه كان ممنوعًا من الخطبة فى مكة.

خامسًا : عرض سادة يثرب من الأوس والخزرج أن يقيم عندهم الرسول ﷺ فاعتذر وركب ناقته التى يطلق عليها القصواء فقال لهم الرسول ﷺ «خلو سبيلها فإنها مأمورة» إلى أن وقفت الناقة فى مكان موروث لغلامين يتيمين فاشترى الأرض ودفع الثمن الذى ارتضاه أصحابها وأمر الرسول أن يبنى مكانه مسجده

وداره وبذلك تحولت يثرب إلى القاعدة التى تنطلق منها الدعوة الإسلامية فى أمان.

سادسًا : بعد أن سدد على بن أبى طالب كل الودائع التى فى ذمة الرسول ﷺ وظل بمكة ثلاثة أيام يسدد الودائع التى فى ذمة رسول الله ﷺ بحيث أخذ كل واحد من أهالى مكة حقه. هاجر بعد ذلك إلى يثرب سيرًا على الأقدام للالتحاق بالرسول ﷺ وكان لهذه الواقعة أبلغ الأثر فى نفوس أهالى مكة، أن يأخذ أصحاب الودائع حقهم رغم عدم وجود الرسول ﷺ فى مكة وهذه تدل على شدة استمساك رسول الله ﷺ بالأخلاق الطيبة وعلى الأخص أداء الأمانة...

الفصل الثالث

تنظيم الدولة الإسلامية فى المدينة

سوف نتناول تنظيم الدولة الإسلامية فى المدينة فى مبحثين على النحو التالى تفصيلاً :

المبحث الأول : تنظيم الدولة الإسلامية فى المدينة.

المبحث الثانى : رأى المؤلف فى تنظيم الدولة الإسلامية فى المدينة

وذلك على النحو التالى تفصيلاً..

المبحث الأول

تنظيم الدولة الإسلامية فى المدينة

أولا: بعد وصول الرسول ﷺ إلى يثرب بدأ تنظيم أول دولة إسلامية ومؤسسها الرسول ﷺ لأن شخصية الرسول لا تقاس بالإنجازات التى تمت فى عصره ولكن بما نتج عن هذه الإنجازات وما تحقق بعده بقيام الفتوحات الكبرى التى تمت فى عهد الخلفاء وما بعدهم. وأصبحت الدولة الإسلامية ممتدة من حدود الصين شرقًا إلى جبال فرنسا غربًا وكان الرسول ﷺ له أثر على البشر وحضاراتهم وثقافتهم وأوضاعهم الاجتماعية والعقائدية والسياسية بنشوء الحضارة الإسلامية وقد كان الرسول ﷺ يجسد تعاليم الإسلام فى كل حادثة وظرف لأنه كان قدوة لأصحابه ومن يأتون بعده وقد ورد ذلك فى سورة الأحزاب

آية ٢١ «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً» وكانت بداية الدولة الإسلامية حيث انطلقت شرارتها الأولى من هذه البقعة من العالم يثرب التى سميت فيما بعد بالمدينة المنورة أى مدينة الرسول ﷺ واعتبر تاريخ الهجرة النبوية بدء السنة الهجرية التى يؤرخ بها المسلمون وقد بدأ التاريخ الإسلامى يعمل به من عهد الخليفة عمر بن الخطاب وحدد بداية التاريخ الهجرى بالهجرة إلى يثرب حيث وصل الرسول ﷺ إلى المدينة يوم الاثنين وكادت الشمس أن تعتدل يوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول وبلغ الرسول ﷺ يوم وصوله إلى المدينة ثلاثة وخمسين عامًا وذلك بعد أن أمضى ثلاثة عشر عامًا بمكة بعد نزول الوحى عليه فى عام ٦١٠م.

ثانيًا : بداية الدولة الإسلامية وبداية الحضارة الإسلامية من يثرب أو المدينة المنورة فمنها انطلقت أبواق البنيان وصرخة البناء وكان أول بناء هو مسجد الرسول ﷺ وسكنه، فبعد أن بركت الناقة التى يركبها الرسول ﷺ فى أرض الغلامين اليتمين وهما سهل وسهيل ابنا عمرو ابتاع الرسول ﷺ هذه الأرض ليبنى مسجدًا وسكنًا له وعمل الرسول ﷺ فى بناء المسجد بيديه وشاركه المسلمون من المهاجرين والأنصار فى بنائه واستمر العمل فى المسجد شهرًا تقريبًا أقام خلالها الرسول ﷺ فى دار أبى أيوب بن زيد الأنصارى فى مدة الشهر حتى ينتهى من بناء مسجده وسكنه.

ثالثًا : كان المسجد فى بدية إنشائه عبارة عن فناء فسيح بنيت جدرانه الأربعة من الطوب الترابى وسقف جزء منه بسعف النخل وترك الجزء الأخير مكشوفًا وأقيم للمسجد ثلاثة أبواب باب الرحمة وباب المؤخرة وباب ليدخل منه الرسول ﷺ، أما الآن فيحسب لملوك السعودية وخاصة الملك فهد بن عبدالعزيز وولى العهد الأمير الملكى عبدالله بن عبدالعزيز أنه فى عهدهم تم تطوير مسجد الرسول ﷺ إلى هذه الصورة الحضارية التى تليق بمقام الرسول ﷺ فى التاريخ الإنسانى فقد أصبح يتمنى أن يزوره الآن أكثر من مليار وربع نسمة من المسلمين يحلمون بزيارة قبر الرسول ﷺ وعمارة مسجده الشريف لأن الصلاة فيه تعادل ألف صلاة فى المساجد الأخرى ما عدا المسجد الحرام بمكة والأقصى ببيت المقدس.

رابعاً: وعند بناء المسجد فى أول الأمر كانت قبلته فى أول الأمر نحو بيت المقدس لمدة حوالى ثمانية عشر شهراً إلى أن نزلت سورة البقرة الآية ١٤٤ وغيرت قبلة المسلمين نحو المسجد الحرام فى مكة ومنذ ذلك التاريخ تحولت القبلة نحو المسجد الحرام فى مكة كما ورد فى سورة البقرة آية ١٤٤ ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ وقد تم تصنيع بوصلة فى هذه الأيام تحدد المسجد الحرام فى أى مكان تكون فيه موجود على سطح الكرة الأرضية أو فى أى قارة من قارات الكرة الأرضية ولكن المؤسف أن هذه البوصلة لم يبتكرها المسلمون بل إبتكرها غيرهم ويصنعها الصينيون لكى يوزعوها على المسلمين فى كل أنحاء الكرة الأرضية

خامساً: ظلت وجهة المسلمين فى قبلتهم نحو بيت المقدس حوالى سبعة عشر شهراً حتى تحولت إلى مكة بنزول سورة البقرة وفى السنة الثانية للهجرة فرض الله الصيام فى شهر رمضان وكان يؤذن للصلاة فى مسجد الرسول ﷺ بلال وهو أول من أذن للصلاة فى مسجد الرسول ﷺ فى المدينة مركز الحكم للدولة الإسلامية الأولى، فيه يتشاور مع الصحابة ويستقبل الوفود العربية وحول ذلك المسجد تم بناء بيوت النبى التى تقيم فيها زوجاته وحول المسجد أقيمت منازل المهاجرين القادمين من مكة وتم توزيع إقامة منازل المهاجرين فى المناطق المخصصة للأنصار برضا تام من الأنصار.

المبحث الثانى

رأى المؤلف فى تنظيم الدولة الإسلامية فى المدينة

أولاً: بعد بدء تنظيم الدولة الإسلامية أصبحت أول مدينة إسلامية على وجه الكرة الأرضية وهى المدينة، تضم أربع طوائف وهم الطائفة الأولى المهاجرون من مكة للمدينة والطائف الثانية الأنصار من الأوس والخزرج والطائفة الثالثة

المنافقون وهم الذين دخلوا الإسلام عن نفاق بإظهار إسلامهم فى العلانية ولكن فى حقيقتهم كفار والطائفة الرابعة يهود بنى قينقاع وكان يوجد يهود بنى النضير وبنى قريظة يقيمون على مقربة من المدينة فى مزارع حول المدينة وأصبح فى المدينة أربع طوائف متباينة ومختلفة كان على الرسول ﷺ بحنكته السياسية أن يجمعها.

ثانيًا : ونظرًا لتباين هذه الطوائف الأربعة وتباين أهدافها وأغراضها كان لابد لتنظيم الدولة الإسلامية الأولى من تنظيم العلاقة بين هذه الطوائف المتباينة الأهداف وكل طائفة تريد أن يكون لها سطوة ونفوذ فى الدولة الجديدة ومكانة فى الريادة لذلك أول شىء فعله الرسول ﷺ التأكيد على الإخوة الإيمانية بين قبائل الأوس والخزرج وهم الأنصار بعد أن ناصروا الدعوة الإسلامية فى مهدها وكانت الخصومة والقتال قبل الاسلام لا ينقطعان بينهم بسبب الحصول على زعامة يثرب وكان سيد الأوس سعد بن معاذ وكان سيد قبيلة الخزرج سعد بن عبادة، لذلك أكد على ما ينبغى أن يكون بينهم من أخوة ونزل القرآن يذكرهم بضرورة الاعتصام بالله وبحبله ويذكرهم بنعمة التأليف بين قلوبهم ويأمرهم بالمحافظة عليها. «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» سورة آل عمران آية ١٠٣.

ثالثًا : وبعد ذلك وحد بين الأنصار والمهاجرين من ناحية أخرى بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بأن يختار كل واحد من المهاجرين أخًا له من الأنصار فاختار أبوبكر أخاه من الأنصار خارجة بن زهير الأنصارى واختار عمر بن الخطاب أخاه من الأنصار عتبان بن مالك الأنصارى وبذلك أصبح لكل واحد من المهاجرين أخ له من الأنصار وبذلك تم اندماج الأنصار والمهاجرين أخ له من الأنصار وبذلك تم اندماج الأنصار والمهاجرين دينيًا فى الرسالة المحمدية واندمجوا اجتماعيًا بالأخوة ويدأ الجميع فى العمل فى الزراعة والتجارة.

رابعًا : وقد تم تقنين هذه العلاقة والتآخى بين الأنصار والمهاجرين فى أول وثيقة سياسية اجتماعية لتكون نواة الدولة الإسلامية الأولى وهذه الوثيقة تعرف

فى السيرة النبوية باسم عقد الصحيفة وقد ورد نص عقد الصحيفة بالسيرة النبوية لابن هشام، فعقد الصحيفة ينقسم إلى قسمين:

الأول : ينظم العلاقة بين المسلمين بعضهم ببعض وهم المهاجرون والأنصار بأن جعلهم أمة واحدة وأنهت العصبية القبلية لتحل محلها رابطة الإسلام وأصبح حق القصاص فى الثأر مخول لتقرره الجماعة وإنهاء الحروب الداخلية بين المسلمين من قبائل الأوس والخزرج وأصبح الدفاع عن المدينة الجديدة فى يثرب للأنصار والمهاجرين متضامنين ضد أى تهديد خارجى وكانت قيادة الدولة الإسلامية الأولى للرسول ﷺ.

الثانى : ينظم العلاقة بين المسلمين واليهود الموجودين داخل المدينة وهم بنى قينقاع فقد أعطاهم الأمان كأول وثيقة على وجه الكرة الأرضية فيها اعتراف بالآخر رسميًا وقعها الرسول ﷺ وهى أول وثيقة فى التاريخ البشرى فيها اعتراف الإسلام بالآخر وقبول الآخر فى أن يمارس بحرية مطلقة شعائره الدينية على بعد عدة أمتار من مسجد الرسول ﷺ بحيث يظلون على دينهم يمارسون شعائرهم الدينية دون أن يكرههم أحد على تغيير دينهم وبموجب عقد الصحيفة كان حق الدفاع عن يثرب ورد الاعتداء الخارجى مسئولية مشتركة للمسلمين واليهود ويتحمل كل منهم جزء من نفقات الحرب وقيام حلف عسكرى بالدفاع عن يثرب بين المسلمين واليهود بموجب عقد الصحيفة ولكن بشرط أن تكون الحرب مشروعة ولم يحدد عقد الصحيفة فرض جزية على اليهود لأن آية الجزية لم تكن نزلت بعد. وكان الهدف من عقد الصحيفة عقد صالح وسليم دائم بين المسلمين واليهود طالما حافظ اليهود على تعهداتهم فى عقد الصحيفة.

خامساً : كان وجود الرسول ﷺ فى مكة منذ نزول الوحى فى عام ٦١٠ حتى هاجر لمدة ثلاث عشرة سنة وبذلك تكون الفترة التى قضاها فى الدعوة من ٦١٠م حتى ٦٣٢م أى حوالى ثلاثة وعشرين عامًا وبدأ بناء الدولة الإسلامية الوليدة على الرسالة المحمدية أى الإسلام هو عصب الدولة وليس القبلية والعائلية لما كان يحدث فى الماضى وأصبحت الحكومة مركزية فى يثرب تحت راية الإسلام وحاكم واحد هو الرسول ﷺ مهما اختلفت القبائل وزعماء القبائل يحكمها دستور الإسلام وهو القرآن الذى نزل فى ١١٤ سورة تشمل ٦٢٣٦ آية.

سادسًا : انصهر المهاجرون والأنصار فى نسيج واحد مكونين نواة الأمة الإسلامية وانصهروا فى بوتقة واحدة لتأمين الدولة الإسلامية والدعوة الإسلامية فى مهدها وبدء تكوين السرايا العسكرية للدفاع عن الدعوة الإسلامية وكانت كل سرية عسكرية تتكون من أربعمائة مقاتل على رأسهم أحد الصحابة وقد بلغ عدد السرايا التى تم تكوينها ٤٣ سرية والبعض قال ٤٧ سرية.

سابعًا : عند بداية الدولة الإسلامية كان أول مولود فى الإسلام فى ظل الدولة الجديدة هو عبدالله بن الزبير فقد حملت والدته أسماء به فى مكة ولكنها ولدته فى المدينة وقد ولدته فى منطقة بقباء وقد أتت به إلى الرسول ﷺ ووضعته فى حجر الرسول ﷺ على أساس أنه أول مولود فى الدولة الإسلامية.

ثامنًا : ويردد المستشرقون وخاصة مونتجمرى وات فى كتابه «محمد فى مكة» أن القرآن الكريم حرم تحريم الربا والخمر طوال وجود الرسول ﷺ فى مكة خشية الاصطدام بقريش وسن تشريع تحريم الربا والخمر فى المدينة بعد أن هاجر إلى المدينة حتى لا يصطدم بقريش وبطش وجبروت قريش ولكن المؤلف يرى أن المستشرقين وخاصة مونتجمرى وات ضلوا الطريق فى تشويه الرسول ﷺ والقرآن لأن الرسول ﷺ لم يخش الاصطدام بكفار قريش ومضى ثلاثة عشر عامًا فى مكة يهاجمهم فى أعز ما يملكون وهو عقيدتهم وهاجم عبادة الأوثان والأصنام دون أن يخشى بطش قريش وكان دائمًا يهاجم كفار قريش فى عبادتهم لهذه الأحجار وهو أشد خطورة لدى كفار قريش من تحريم الخمر والربا، أما أن تشريع تحريم الربا والخمر نزل فى المدينة لأن الرسول ﷺ بعد أن هاجر فى ٢١ ديسمبر ٦٢١ م من مكة للمدينة بدأ تنظيم الدولة الإسلامية وأول شىء فى تنظيم الدولة هو إصدار التشريعات التى يسير عليها المسلمون وكان من ضمن التشريعات لصيانة الإسلام والمسلمين هو تحريم الربا والخمر وكان ذلك فى المدينة بعد بدء الدولة الإسلامية الأولى فى المدينة ولم يتأخر التشريع بتحريم الربا والخمر كما يدعى المستشرقون خوفًا من كفار قريش لأنه لا توجد دولة إسلامية فى مكة حتى ينظمها الرسول ﷺ.

تاسعاً : يقول بعض المستشرقين ومنهم كليمان هوار والمستشرق اليهودى مرجليوث إن القرآن ليس منزلاً من عند الله بل هو من تأليف محمد ﷺ ويرى المؤلف أن هذا افتراء لا أساس له من الصحة لأن كل كتب السيرة تحكى قصة الرسول محمد ﷺ والقرآن ذاته والكل يعلم أن عمله الأساسى هو رعى الغنم والتجارة وأنه لم يتلق أى قسط من التعليم فى أى مرحلة من حياته ولم يكن يعرف القراءة والكتابة ثم بدأ نزول الوحى وهو فى سن الأربعين وطوال هذه الفترة لم يكن يعرف القراءة والكتابة وطوال تواجده فى مكة أمام أهالى مكة حتى بلغ سن الثالثة والخمسين لم يتعلم القراءة والكتابة وفى مكة نزل عليه من الوحى ٨٦ سورة ثم هاجر للمدينة فى ٢١ ديسمبر ٦٢١م وفى المدينة نزل عليه من الوحى ٢٨ سورة وبذلك أصبح مجمل القرآن ١١٤ سورة وهو لا يعرف القراءة والكتابة، فكيف لإنسان يجهل القراءة والكتابة أن يقوم بتأليف ١١٤ سورة تشكل ٦٠٢٦ آية بها إعجاز بلاغى وأدبى وبها فصاحة وبيان حكيم... هل يستطيع إنسان لا يعرف القراءة والكتابة تأليف مثل هذا القرآن.. إن المستشرقين بحقدهم الأعمى ضد الرسول ﷺ جعلهم يتصورون أشياء لا يستطيع العقل استيعابها أو تصورها.

عاشراً : يدعى المستشرق مونتجمرى وات فى كتابه «محمد فى مكة» أن المسلمون الأوائل انضموا إلى الإسلام ليس لمبادئ الإسلام ذاته ولكن للحصول على الطعام والمال... إنها كذبة جديدة وفرية جديدة من المسشرقين يلصقونها بالإسلام لتشويه صورة الإسلام ويرى المؤلف أن هذا الكذب على الإسلام فاق كل حد مقبول.. فكيف يكون انضمام المسلمين الأوائل للإسلام بغرض الحصول على الطعام والمال وخاصة إذا علمنا أن الرسول ﷺ كان فقير الحال.. فكيف يأتى بالمال والطعام وتوزيع المال على المسلمين.. وكيف يستقيم هذا التصور الساذج وأن من انضموا إلى الإسلام كانوا من أغنياء قريش ومنهم خديجة بنت خويلد وأبوبكر الصديق وكان معه ٤٠ ألف دينار قبل انضمامه للإسلام عن قناعة بمبادئه وعثمان بن عفان كان من أغنياء قريش وعبدالرحمن بن عوف وأبوعبيدة الجراح وسعد بن أبى وقاص جميعهم كانوا من أغنياء قريش ولو كانت القضية

هى طعام ومال لكان كفار قريش أقدر على جذب المسلمين ومنعهم من الدخول فى الإسلام بإطعامهم وإعطائهم المال، إنما القضية الحقيقية هى اختيار حر لعبادة الله الواحد بدلاً من عبادة قطع من الأحجار والأصنام والدليل أن المسلمين الأوائل هاجروا الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة فى الغربة وهم لا يجدون قوت يومهم من أجل عبادة الله الواحد والبعد عن اضطهاد كفار قريش.. لذلك أقول للمستشرقين إن كلامكم ساذج وتافه.

الفصل الرابع
بداية الغزوات الصغرى

سوف نتناول بداية الغزوات الصغرى فى مبحثين على النحو التالى :

المبحث الأول : بداية الغزوات الصغرى .

المبحث الثانى :رأى المؤلف فى بداية الغزوات الصغرى.

وذلك على النحو التالى تفصيلاً..

المبحث الأول
بداية الغزوات الصغرى

سوف نتناول بداية الغزوات الصغرى التى هى بداية الدفاع عن الدعوة الإسلامية وهى غزوات سريعة لمحاولة الحصول على حقوق المسلمين لدى كفار قريش التى اغتصبوها فى مكة لأن المهاجرين تركوا مكة وتركوا بها أموالهم وبيوتهم وأغنامهم فلم يخرجوا إلا بملابسهم فقط وقد استولى كفار قريش على كل ممتلكات المسلمين فى مكة وبذلك أصبح هناك حقوق للمسلمين لدى كفار قريش لابد من أخذها ولا سبيل إلى ذلك إلا بالقوة وقد سماها كتاب السيرة بالغزوات وهى فى حقيقة الأمر كانت للحصول على حقوقهم لدى كفار قريش، سوف نتناول هذه الغزوات الصغرى لحصول المسلمين على حقهم وهى غزوات

أربعة وهى غزوة الأبواء وغزوة بواط وغزوة العشيرة وغزوة سفوان أو بدر الأولى سوف نذكرها تفصيلاً.

أولاً : كانت أول غزوة وهى غزوة الأبواء أو ودان وكانت فى السنة الثانية من الهجرة فى ٦٢٣ وخرج فيها الرسول ﷺ بنفسه وتوقف عند منطقة ودان وكانت فى شهر صفر من العام الثانى للهجرة فى ٦٢٣م بقصد اعتراض قافلة لقريش لأن كفار قريش استولوا على كل أموال المهاجرين من أرض وبيوت ونخيل وحيوانات فلم يخرج المهاجرون إلا بملابسهم فقط وبذلك أصبح هناك حق للمسلمين لدى كفار قريش لابد من إعادته وقرية الأبواء وودان هما قريتان قريبتان من الجحفة وهما موضعان متقاربان بينهما ستة أميال وخلاصة هذه الغزوة أنها كانت عبارة عن دورية قتال لاعتراض قافلة من قريش تتكون قوات المسلمين من ٢٠٠ مقاتل بقيادة الرسول ﷺ ذاته كان هدفها الوصول إلى منطقة ودان لتهديد طرق قريش التجارية بين مكة والشام والعمل على التحالف مع القبائل المسيطرة على هذا الطريق وعندما وصل الرسول ﷺ وقواته إلى منطقة ودان كانت قافلة كفار قريش قد مرت ولم يلحقها الرسول ﷺ وبالتالى لم يكن هناك حرب ولم تصطدم قوات الرسول ﷺ بقافلة قريش ولكن حدثت معاهدة بين القوات الإسلامية وقوات بنى ضمرة وعلى رأسهم مخش بن عمرو الضمرى بحيث لا يحدث أى قتال بين بنى ضميرة وبين المسلمين وكتب بهذه الموادعة معاهدة وعاد الرسول ﷺ بعد مضى خمسة عشر يومًا إلى المدينة.

ثانيًا : وكانت الغزوة الثانية هى غزوة بواط وكانت فى ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة فى ٦٢٣م وكانت لاعتراض قافلة لكفار قريش بقيادة أمية بن خلف عند منطقة بواط عند جبل من جبال جهينة وهذه الغزوة عبارة عن مائتين من رجال الرسول ﷺ بقيادة الرسول ﷺ ذاته ولم تستطع قوات الرسول ﷺ أن تلحق بكفار قريش لأن قوات الرسول ﷺ عندما وصلت إلى منطقة بواط علم كفار قريش بوصول قوات الرسول ﷺ فغيروا طريقهم إلى طريق آخر واستطاعت قريش أن تمر بالقافلة بدون قتال ولم يحدث أى قتال.

ثالثًا : وكانت الغزوة الثالثة هى غزوة العشيرة وكانت فى موضع بين مكة والمدينة وهو حصن صغير بين ينبع وذى المروة وكانت عبارة عن دورية قتالية تتكون من مائتى مقاتل بقيادة الرسول ﷺ ذاته وكان هدفها الوصول إلى منطقة العشيرة وهى فى الطريق بين مكة والشام وهو الطريق التجارى بين مكة والشام وقد أقام المسلمون حوالى شهرًا بمنطقة العشيرة لمحاولة قطع التجارة على كفار قريش فى مكة وترتب على هذه الغزوة أن مكث الرسول ﷺ هذه المدة وأقاموا معاهدة مواعدة بين المسلمين وبين بنى مدلج وحلفائهم من بنى ضميرة بعدم حدوث أى اعتداء بينهم وبين المسلمين وعندما أحس بهم كفار قرش سلكوا طريقًا آخر وعادت قوات المسلمين بدون قتال وكانت القوات برئاسة حمزة بن عبدالمطلب عم الرسول ﷺ تحت إشراف الرسول ﷺ وكان ذلك فى السنة الثانية للهجرة فى عام ٦٢٣م.

رابعًا : وكانت الغزوة الرابعة هى غزوة سفوان أو بدر الأولى وقد كانت هذه الغزوة فى جمادى الآخر من السنة الثانية للهجرة فى ٦٢٣م وكان سببها أن كرز بن جابر الفهرى اعتدى على بعض أغنام المسلمين وأخذ جزءًا من أغنامهم فخرج الرسول ﷺ ومعه مائتى مقاتل لمطاردة قوات المشركين برئاسة كرز بن جابر الفهرى لاستعادة أغنام وإبل المسلمين التى سرقت وعندما وصلت قوات المسلمين إلى منطقة وادى سفوان قريبًا من منطقة بدر ولم تدرك قوات الكفار بقيادة كرز بن جابر الفهرى وعادت قوات المسلمين بدون قتال إلى المدينة وكان يرأس قوات المسلمين على بن أبى طالب ابن عم الرسول ﷺ تحت إشراف الرسول ﷺ وسميت غزوة سفوان أو بدر الأولى لأنها كانت قريبة من منطقة بدر.

المبحث الثانى

رأى المؤلف فى بداية الغزوات الصغرى

ويرى المؤلف أن الغزوات الصغرى التى حدثت كان من أهم نتائجها الآتى:

أولاً : أن المسلمين أصبح لهم قوة عسكرية بدأ يحس بها العرب من شبه الجزيرة العربية والقبائل المجاورة واستطاع المسلمون التعرف على الطرق المحيطة بالمدينة وخاصة الطرق المختلفة التى يمكن أن تمر بها القوافل التجارية بين مكة والشام.

ثانياً: استطاعت الدولة الإسلامية الوليدة أن تبرم معاهدات سلام وعدم اعتداء بينها وبين بعض القبائل المحيطة بها.

ثالثاً : استطاع المسلمون أن يهددوا أهم الطرق التجارية لقريش بين مكة والشام حتى يحصلوا على حقوقهم لدى كفار قريش وجميع الغزوات كانت للحصول على حقوق المسلمين ففى الغزوة الأولى وهى غزوة الأبواء والثانية غزوة بواط والثالثة غزوة العشيرة كانت لمقابلة إحدى قوافل قريش التجارية للحصول على جزء من حقوق المسلمين لدى كفار قريش التى اغتصبوها إثر هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة، أما الغزوة الرابعة وهى غزوة سفوان كانت لاستعادة الإبل والأغنام التى سرقها كرز بن جابر الفهرى ومعه الكفار من قبيلته وفى جميع الغزوات الأربعة لم يحدث أى قتال وكانت فرصة فقط لإظهار القوة لدى الدولة الإسلامية الوليدة.

رابعاً : من الظلم للمسلمين أن تكتب كتب السيرة النبوية وأن يطلق على الوقائع الأربعة التى سبق أن ذكرناها أنها غزوات لأنها فى رأى المؤلف لم تكن غزوات بل كانت أخذ حقوق المسلمين المغتصبة واسترداد الحقوق ليس غزواً بل هو أحد حقوق الدفاع الشرعى المعترف بها فى كل زمان ومكان فى كل الأديان السماوية وفى كل الثقافات وفى كل الحضارات فى أى زمان وأى مكان على وجه الكرة الأرضية منذ بداية الخلق حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

خامساً : وكان الهدف الحقيقى من هذه التحركات ليس الاعتداء على أهالى قريش ولكن كان التحكم فى الطريق التجارى بين الشام ومكة لإفهام أهالى مكة من قريش أن مصلحتهم تقتضى التفاهم مع المسلمين لضمان حرية تجارتهم بدلاً من محاربة المسلمين ومحاولة القضاء على الدعوة الإسلامية فى مهدها وكان ذلك بمثابة حصار اقتصادى لقريش حتى لا يتحركوا لمعاداة الدعوة الإسلامية.

سادساً : كانت هذه الوقائع لتدريب القوات الإسلامية بقيادة الرسول ﷺ فى هذه التحركات على كيفية وضع الخطط والتكتيكات وكيفية إعداد أنواع الأسلحة المختلفة اللازمة لأى معركة وكيفية تأمين الغذاء والماء.

سابعًا : كان أهم ما تعلمته القوات الإسلامية هو أسلوب المخابرات العسكرية فى إرسال قوات استطلاعية إخبارية لمعرفة أخبار العدو وأسراره وعدد قواته وأماكن تواجده قبل حدوث أى اشتباك عسكرى وكان أهم هذه المهام الاستطلاعية تلك التى قام بها عبدالله بن جحش بن رئاب الأسدى بسريته فى رجب فى السنة الثانية للهجرة فى عام ٦٢٣ فقد أرسله الرسول ﷺ ومعه ثمانية مهاجرين فى مهمة استطلاعية لمعرفة أخبار كفار قريش قبل حدوث غزوة بدر الكبرى وفى الطريق ندَّ بعير كل من سعد بن أبى وقاص وعقبة بن غزوان فتأخرا عن السرية وفى منطقة نخلة مرت قافلة قريش فرمى واقد بن عبدالله بسهم على قافلة قريش فقتل من كفار قريش عمرو بن الحضرمى وكان ذلك أول دم أراقه المسلمون عند بداية تنظيم الدولة الإسلامية الأولى وقد استطاع المسلمون أن يأسروا من كفار قريش عثمان بن عبدالله والحكيم بن كيسان من قريش وكانا أول من أسرهما المسلمون، وقد تم فداء أسرى كفار قريش لدى المسلمين وذلك بأوقية فضة لكل منهم.

ثامنًا : يقول المستشرقون إن غزوات الرسول ﷺ كانت للحصول على الغنائم ولكن الثابت تاريخيًا أن كفار قريش استولوا على أموال المسلمين أثناء وجودهم فى مكة وقبل هجرتهم إلى يثرب تركوا منازلهم ونخيلهم وأغنامهم وأبقارهم وأثاث منازلهم وكل ما يملكون ليستولى عليه كفار قريش.. هل محاولة الحصول على جزء من الحقوق لدى كفار قريش تسمى غزوة للحصول على الغنائم، إن الحصول على الغنائم يختلف عن الحصول على الحقوق.

الباب الرابع
بداية الغزوات الكبرى

إن تعريف كلمة الغزو هى غزا القوم - هاجمهم فى ديارهم وسار إلى قتالهم لاحتلالهم، فقد ورد ذلك فى المعجم العربى الأساسى الصادر من المنظمة العربية للتربية والثقافة، ولو فحصنا فى كل معاجم العالم كله، فى كل لغات دول العالم لوجدنا معنى كلمة الغزو مثل معنى كلمة الغزو فى اللغة العربية، ففى اللغة الإنجليزية كلمة غزو وهى Invades وهى معناها A Nation. Invades Another Nation and Occupy It وعلى ذلك لو حللنا بصدق وأمانة وحيدة كل ما تقول عليه كتب السيرة من غزوات لوجدناها كلها لا تنطبق عليها معنى الغزو الموجود فى معاجم اللغات فى كل لغات العالم فمثلاً غزوة بدر كانت للدفاع عن المدينة لإصرار الكفار على القتال رغم علمهم بعودة قافلة أبى سفيان سالمة. وغزوة أحد كانت للدفاع عن النفس وغزوة الخندق كانت للدفاع عن النفس، لذلك أتمنى تغيير كلمة غزوة بكلمة موقعة لأن المستشرقون يشوهون الإسلام والرسول ﷺ بأنه فى المواقع الحربية كان غازيًا وهو ليس كذلك، لذلك عند قراءة هذا الكتاب فى كل الغزوات مراعاة معنى الغزو فى المعجم العربى والمعاجم الأجنبية وتحليل كل غزوة سوف نجد بحيدة شديدة أنها ليست غزوات، بل هو وقائع حربية أغلبها للدفاع عن النفس والدعوة الإسلامية وأرض المسلمين أو لأخذ حقوق المسلمين وسوف نتناول فى هذا الكتاب بداية الغزوات الكبرى فى الفصول الآتية:

الفصل الأول: غزوة بدر

الفصـــل الثـانى: غزوة بنى قينقاع وغدر اليهود

الفصـــل الثالث: غزوة أحد

الفصـــل الرابع: غزوة بنى النضير وخيانة اليهود

الفصل الخامس: غزوة الخندق

وذلك على النحو التالى تفصيلاً..

الفصل الأول
غــــزوة بــدر

أول الغزوات الكبرى فى تنظيم الدولة الإسلامية كانت غزوة بدر وسوف نتناول هذه الغزوة فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: غزوة بدر

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى غزوة بدر

وسوف نتناول ذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول
غــزوة بــــدر

أولاً: كانت أكبر الغزوات التى عرفها الإسلام فى بداية تنظيم الدولة الإسلامية هى غزوة بدر وقبلها حدث ما هو أهم الأحداث الإسلامية، ففى شعبان من السنة الثانية للهجرة فى عام ٦٢٣م أذن الله بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة لتحويل شبه الجزيرة كلها إلى دولة عربية إسلامية عاصمتها السياسية المدينة وعاصمتها الروحية مكة لتكون مكة قبلة الأمة الإسلامية فى كل بقاع الدنيا فى القارات الست يتوجه إليها الآن ما يقرب من مليار وربع نسمة هم المسلمون فى كل أنحاء الدنيا وكان المسلمون يصلون تجاه بيت المقدس لمدة سبعة عشر شهرًا فقط ثم تحولت القبلة نحو مكة منذ ذلك التاريخ إلى أن يرث الله

الأرض ومن عليها وكانت أول صلاة قام بها الرسول ﷺ والمسلمون تجاه مكة هى صلاة العصر وقد أذن الله للمسلمين بأن تكون قبلتهم مكة فقد ورد فى سورة البقرة ١٤٤ ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

ثانيًا: وكانت موقعة بدر أو غزوة بدر نزلت فى القرآن الكريم فى سورة الأنفال حيث خرج الرسول ﷺ فى العام الثالث للهجرة فى عام ٦٢٤م فى ٨ رمضان ومعه ثلاثمائة من المسلمين منهم كبار الصحابة وقد تخلف من الصحابة عثمان بن عفان لأن زوجته رقية بنت الرسول ﷺ كانت مريضة ورافقها حتى ماتت أثناء موقعة بدر وطلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد حيث كانوا بالشام. وقد كان عدد المقاتلين من المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر منهم ٧٦ من المهاجرين و ٢١٧ من الأنصار وقد خرج الرسول ﷺ لاعتراض قافلة تجارية لأبى سفيان فى طريق عودته ومعه كفار قريش من الشام إلى مكة وقدرت حجم تجارة القافلة بخمسين ألف دينار اشترك فيها كفار قريش وقد علم أبو سفيان بخروج النبى ﷺ لملاقاته، فأرسل يطلب النجدة من قريش الذين سارعوا بإرسال نجدة من كفار قريش لحماية أموالهم وتجارتهم وحضر أشراف قريش ومعهم ما يقرب من ألف مقاتل وقد استطاع أبو سفيان أن يفلت من ملاقاة المسلمين بأن سلك طريقًا آخر وأفلت بالقافلة.

ثالثًا: كان موقف الرسول ﷺ حرجًا لعدة أسباب:

١ - أنه لم يخرج لقتال قريش بل خرج ليأخذ جزءًا من أموال المسلمين لدى كفار قريش.

٢ - أن أعداد كفار قريش ثلاثة أضعاف أعداد المسلمين.

٣ - أن عقد الصحيفة المبرم بين الأنصار والمهاجرين لا يلزم الأنصار بالدفاع عن الرسول خارج المدينة وبدر تقع خارج المدينة ولكن سعد بن معاذ أكد وقوف الأنصار بجانبه.

رابعاً: نزل جيش المسلمين بالقرب من بدر وكان يتزعم قوات المسلمين الرسول ﷺ ويتزعم قوات كفار قريش أبو جهل بعد أن استطاع أبو سفيان الهروب بقافلته وفى يوم الجمعة ١٧ من رمضان فى العام الثانية للهجرة فى ٦٢٤م أسفرت موقعة بدر عن هزيمة ساحقة لكفار قريش لأن المسلمين كان لديهم عقيدة يؤمنون بها ويقاتلون من أجلها ونزلت سورة الأنفال آية ١٧ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

خامساً: استشهد فى هذه المعركة أربعة عشر مسلماً منهم ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار وقتل سبعون من كفار قريش وأسر سبعون آخرون وكان أبرز الأسرى عم الرسول ﷺ العباس بن عبد المطلب وابن عمه عقيل بن أبى طالب وأبو العاص بن الربيع زوج بنت الرسول من خديجة بنت خويلد وعند عودة الرسول ﷺ ومعه الأسرى اقترح أبو بكر الصديق الفداء لأن بينهم الأقارب واقترح عمر بن الخطاب بقتل الأسرى وتشاور الرسول ﷺ مع الصحابة وانتهوا إلى الأخذ برأى أبى بكر الصديق بقبول الفداء وقبل الرسول ﷺ الفداء إلا الفقراء، أطلق الرسول ﷺ سراحهم بدون فداء وقد ترتب على موقعة بدر ونجاح المسلمين عدة نتائج أهمها إظهار قوة المسلمين فى شبه الجزيرة العربية وأضعفت شوكة اليهود داخل المدينة وزاد التماسك بين المهاجرين والأنصار.

سادساً: وإثر هذه الموقعة نزل تشريع توزيع الغنائم فى سورة الأنفال آية ٤١ وهو الخمس لبيت مال المسلمين ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وقد كانت معركة بدر إحدى المعارك التى غيرت مجرى التاريخ وأثرت فى مصير الأمة الإسلامية.

المبحث الثانى

رأى المؤلف فى غـــزوة بـــدر

ويرى المؤلف فى غزوة بدر:

أولاً: هذه ليست غزوة بالمعنى المتعارف عليه لغويًا فى أى معجم لغوى بل هى معركة للدفاع عن حقوق المسلمين ولذلك نتحفظ على تسميتها غزوة لأن المسلمين تعرضوا فى مكة لظلم كبير وتركوا ديارهم وأموالهم وأغنامهم وخيولهم ونخيلهم وأرضهم وخرجوا بملابسهم فقط وقد اغتصبها كفار قريش.

ثانيًا: أصبح هناك حق للمسلمين من الأموال لدى كفار قريش فمن حق المسلمين شرعًا ودينًا وقانونًا وعرفًا وتقليدًا وضميرًا استعادة أموالهم المغتصبة.

ثالثًا: عندما خرج المسلمون ﷺ لملاقاة قافلة كفار قريش بقيادة أبى سفيان لم يخرجوا لقتال كفار قريش بل خرجوا ليأخذوا جزءًا من الحقوق المغتصبة ومن حق المسلمين أن يأخذوا حقوقهم.

رابعًا: المدينة كان يمر عليها مئات الرحلات التجارية والقوافل التجارية بين مكة والشام وغيرها من المدن من كل القبائل العربية فى شبه الجزيرة العربية ولكن الرسول ﷺ لم يخرج إلا لقافلة واحدة محددة بالاسم وهى قافلة كفار قريش لأنهم هم الذين اغتصبوا أموال المسلمين، فالقضية الأساسية بالنسبة للرسول ﷺ والمسلمين هى أخذ حقوقهم لدى كفار قريش وليس الغنائم كما يدعى المستشرقون.

خامسًا: كان عدد المسلمين ثلث عدد كفار قريش لأن أعداد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر مقاتلاً وسبعون بعيرًا وفارسان وكانت قوات كفار قريش بعدما أتت النجدة من مكة فكانت قوات كفار قريش تسعمائة مقاتل ومائة فارس وسبعمائة بعير أى أنها قوة تعادل ثلاثة أضعاف قوات المسلمين وكانت نصرة المسلمين بالإيمان بعقيدتهم التى أعطتهم قوة ذاتية أن يستشهدوا دفاعًا عن دينهم الوليد رغبة فى دخول الجنة.

سادساً: ونظراً للفارق الكبير بين قوات المسلمين وقوات كفار قريش استشار الرسول ﷺ والصحابة والأنصار فقال المهاجرون وعلى رأسهم المقداد بن عمرو وأبو بكر وعمر قالوا بأن يمضى الرسول ﷺ إلى غايته ويقاتل كفار قريش وقد أيد الرسول ﷺ فى القتال كذلك سعد بن معاذ زعيم الأنصار وبذلك اجتمع المهاجرون والأنصار على القتال خلف راية الرسول ﷺ وهذا يؤكد مبدأ الشورى الذى أخذ به الرسول ﷺ طوال حياته وعدم الانفراد بالرأى.

سابعاً: بعد أن اجتمع المهاجرون والأنصار على مقاتلة الكفار بدأ الرسول ﷺ بالتخطيط للمعركة، فكان لواء القيادة تحت إشراف الرسول ﷺ وكان لواء المهاجرين تحت إشراف على بن أبى طالب وكان لواء الأنصار تحت إشراف سعد بن معاذ وكان على ميمنة الجيش الزبير بن العوام وعلى ميسرة الجيش المقداد بن الأسود، وكانت قيادة المؤخرة لقيس بن أبى صعصعة ونزلت الجيوش الإسلامية خلف ماء بدر لأهمية المياه فى المعركة وهذا يؤكد أن التخطيط للمعركة وتوزيع القيادات من أهم أسباب نجاح الرسول ﷺ.

ثامناً: تقدم الحباب بن المنذر وسأل الرسول ﷺ وقوفنا فى هذا المكان خلف ماء بدر منزل من عند الله أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ فقال له الرسول ﷺ بل هو الرأى والحرب والمكيدة فقال له الحباب بن المنذر بل ننزل فى قلب الماء ونبنى عليه حوضاً ونملؤه بالماء ثم نقاتل فنشرب ولا يشربون وقد استحسن الرسول ﷺ رأيه وأخذ به وهذا يؤكد سماع الآخرين ومناقشتهم فى آرائهم والأخذ بمبدأ الشورى.

تاسعاً: وبدأ القتال وانتصر المسلمون على كفار قريش وهزموهم شر هزيمة فقد قام بلال بقتل أمية بن خلف وقد كان بلال عبداً عنده وقد ذاق على يديه كل ألوان العذاب وهذا يؤكد مدى العزيمة التى كان يتحلى بها المسلمون لمقتل كفار قريش دفاعاً عن عقيدتهم ويقوم عبد الله بن مسعود بقتل أبى جهل فى المعركة وهو زعيم قوات كفار قريش وتنتهى المعركة بموت ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار.

عاشراً: لقد كان أبو سفيان قائد قافلة كفار قريش حريصًا على تجارته وعلى قافلته التجارية وكان معه فى هذه القافلة عمرو بن العاص وعندما وصلت القافلة إلى الحجاز أخذ أبو سفيان وعمرو بن العاص يسألون الركبان القادمين فعلم أن الرسول ﷺ وأصحابه خرج لقافلته ولم يكن معه فى القافلة من كفار قريش سوى أربعين رجلاً لذلك أرسل ضمضم بن عمرو الغفارى إلى مكة يطلب النجدة لإنقاذ أموال كفار قريش التى اشترك فيها أشراف قريش لذلك خرج كل أشراف قريش لمناصرة أبى سفيان وإنقاذ أموالهم ما عدا أبا لهب بن عبد المطلب الذى كان اشترك فى أموال القافلة بأربعة آلاف درهم وأرسل بدلاً منه العاص بن هشام ابن المغيرة وهذا يؤكد أهمية هذه القافلة التجارية لكل أهالى قريش.

الحادى عشر: أرسل الرسول ﷺ عليا بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص كطليعة استطلاعية ليعرفوا أخبار قوات الإغاثة من قريش فأخبروا الرسول ﷺ أن عددهم حوالى ما بين التسعمائة والألف وعلى رأسهم أشراف قريش فقال لهم الرسول ﷺ من من أشراف قريش أتوا؟ قالوا للرسول ﷺ عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو النجترى بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث ابن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدى بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود، فقال لهم الرسول ﷺ: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها» وهذه حنكة سياسية من الرسول ﷺ حتى يعرف قوة أعدائه ويضع الخطة المناسبة لهم.

الثانى عشر: بين غزوة بدر الكبرى والغزوة الكبرى التالية وهى غزوة بنى قينقاع حدثت غزوات صغرى لم يحدث فيها اشتباك أو قتال وهى الغزوات الآتية:

١ . **غزوة بنى سليم بالكدر:** بعد غزوة بدر عاد الرسول ﷺ إلى المدينة وأقام بها سبعة أيام وتوجه إلى بنى سليم حتى وصل إلى مياه من مياههم بناحية الكدر وأقام بها ثلاثة أيام ثم رجع إلى المدينة ولم يحدث أى اشتباك أو قتال مع قبائل

بنى سليم وكانت هذه الغزوة هدفها إظهار قوة المسلمين الناشئة فى مواجهة أعداء المسلمين والرسول ﷺ كان غرضه من هذه الغزوة لم يكن القتال لأنه لو أراد القتال لتوجه لقبيلة بنى سليم وهاجمها ويرى المؤلف أن هذه لم تكن غزوة بالمعنى المتعارف عليه بل هو نوع مما يتعارف عليه اليوم إظهار القوة حتى يفكر أعداء المسلمين مرة وثانية قبل مهاجمة المسلمين وبعد ذلك وبعد أن مكث الرسول ﷺ ثلاثة أيام بناحية الكدر عاد للمدينة وأقام بها شوال وذا القعدة.

٢ . **غزوة السويق:** خرج أبو سفيان بن حرب فى ذى الحجة بعد أن عاد إلى مكة بقافلته سليمة بعد غزوة بدر الكبرى مرة أخرى من مكة ومعه مائتان فارس وتوجه بهذه القوات إلى قبيلة بنى النضير (اليهود) الذين بينهم وبين الرسول ﷺ والمسلمين عقد أمان بموجب عقد الصحيفة كما سبق أن ذكرنا وقابل أبو سفيان سلام بن مشكم سيد قبيلة بنى النضير ومكث عنده وفى الليل خرج بعض المسلحين من كفار قريش وتوجهوا إلى المدينة فى وسط الليل وحرقوا النخيل المحيط بالمدينة وقاموا بقتل رجلين من الأنصار وانصرفوا راجعين وعندما علم الرسول ﷺ توجه لمتابعة أبى سفيان وقواته حتى بلغ قرقرة الكدر ولكنه لم يلحق بأبى سفيان وقواته التى هربت عائدة إلى مكة ويرى المؤلف أن هذه ليست غزوة بل هى اعتداء من كفار قريش على المسلمين فقد قدم أبو سفيان ومعه مائتا فارس من مكة إلى المدينة لكى يقتل المسلمين.. من الغازى هنا الرسول ﷺ أم كفار قريش بقيادة أبى سفيان؟ وقد ناصرهم زعماء قبيلة بنى النضير اليهود رغم عقد الأمان بين يهود بنى النضير والرسول ﷺ، فقد نقض يهود بنى النضير العهد مع الرسول ﷺ وسوف يستحقون ما سوف يحدث لهم مستقبلاً نتيجة خيانتهم للعهد.

٣ . **غزوة ذى أمر:** بعد غزوة السويق التى أقامها كفار قريش عاد الرسول ﷺ وأقام بالمدينة بقية شهر ذى الحجة، قام الرسول بغزوة ذى أمر وتوجه إلى قبيلة غطفان لإظهار قوة المسلمين فى مواجهة أعداء المسلمين ولم يحدث قتال مع قبيلة غطفان لأن غرض الرسول ﷺ ليس القتال بل إظهار قوة المسلمين.

٤ ـ غزوة بحران: وهى مثلها مثل الغزوات الصغيرة غرضها إظهار قوة المسلمين وبعد أن بلغ بحران عاد الرسول ﷺ إلى المدينة ولم يحدث اشتباك مع أحد أو قتال.

الثالث عشر: يرى بعض المستشرقين أن غزوة بدر كانت قرصنة وتهديد لأمن شبه الجزيرة وهذا ما ردده مؤخرًا فى عام ٢٠٠٢ بعد أحداث الحاى عشر من سبتمبر فى أمريكا القس فلويل زعيم الائتلاف المسيحى بأمريكا بأن قال إن الرسول ﷺ كان قاطعًا للطريق وهو يقصد غزوة بدر وكما أوضحنا أن ما فعله الرسول ﷺ ليس قرصنة ولا غزوة بل هو أخذ لجزء من حقوق المسلمين لدى كفار قريش التى استولوا عليها بمكة حيث إن مبدأ المعاملة بالمثل قاعدة فى القانون الدولى، إذ استولى كفار قريش على بعض أموال المسلمين فى مكة وعلى ذلك حسب القانون الدولى من حق المسلمين الاستيلاء على بعض أموال كفار قريش لأخذ جزءًا من حقوقهم المنهوبة. والرسول ﷺ كان يعلم أن مئات والآلاف من القوافل التجارية تمر من أمام المدينة من كل القبائل العربية ولو كان قرصانًا كما يدعى القس فلويل لخرج لكل القوافل التجارية ولكنه اختار قافلة محددة بالذات لديه حقوق طرف أصحابها.

الفصل الثانى
غـــزوة بنى قينقاع وغدر اليهود

سوف نتحدث عن غزوة بنى قنيقاع فى مبحثين على النحو التالى:

المبحـث الأول: غزوة بنى قنيقاع

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى غزوة بنى قنيقاع

وسوف نتناول ذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول
غـــزوة بنى قينقاع وغدر اليهود
١٥ من شوال العام الثانى من الهجرة ٦٢٣م

أولاً: كان اليهود أشد الناس خطرًا على الرسالة المحمدية لأنهم دائمًا يثيرون الفتنة بين المسلمين والغدر كان طابعهم وكانوا دائمًا يقفون إلى جانب أعداء المسلمين فى كل المواقع الحربية وظهر ذلك جليًا فى بدر وأحد والخندق بالرغم من عقد الصحيفة وهو عقد الأمان بين اليهود والمسلمين ولكن اليهود لم يحترموا عهودهم ونتيجة عدم احترام اليهود لتعهدهم مع المسلمين قرر الرسول ﷺ معاقبتهم على انضمامهم الدائم إلى أعداء الإسلام وخاصة أنهم كانوا دائمًا يشعلون نار الفتنة بين المسلمين وكانوا يثيرون الشبهات حول الرسول ﷺ بالغمز

واللمز والتشكيك فى دعوته وفى أنه غير مرسل من عند الله وكان على رأس المشككين من بنى قينقاع شاس بن عدى وشاس بن قيس ورافع بن أبى رافع وقد أخذ هؤلاء اليهود يشككون فى الإسلام وفى الرسول ﷺ وهم داخل المدينة.

ثانيًا: رغم أن عقد الصحيفة المبرم معهم يعطيهم الأمان على مباشرة طقوسهم الدينية بما فيها من صخب وضجيج على بعد أمتار من مسجد الرسول ﷺ بحرية مطلقة ولكنهم كانوا يشككون فى الرسول ﷺ لهز ثقة المهاجرين والأنصار فيه فسألوا الرسول ﷺ إذا كان الله خلق الخلق فمن خلق الله؟ وهذا سؤال خبيث لهز الدعوة الإسلامية من جذورها التى يؤمن بالله الواحد خالق السموات والأرض وما بينهم فكان رد الرسول ﷺ ما ورد فى سورة الإخلاص آية ١ إلى ٤ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ❋ أللَّهُ الصَّمَدُ ❋ لَمْ يَلِدْ و لَمْ يُولَدْ ❋ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

ثالثًا: وحتى يحرجوا الرسول ﷺ أمام المهاجرين والأنصار أخذوا يتناولون باللمز والغمز موقف الرسول ﷺ بمقولة إن جميع الأنبياء كان موطنهم بلاد الشام بينما النبوءة المحمدية جاءت من شبه الجزيرة العربية، لذلك يجب عليه أن يبدأ دعوته من بيت المقدس مثل بقية الأنبياء ويترك يثرب حتى تتم له السيطرة على يثرب.

رابعًا: طلب يهود بنى قينقاع من الرسول ﷺ أن يأتيهم بكتاب منزل من السماء إن كان حقًا نبيًا ينزل عليه الوحى فجاء الرد فى سورة النساء الآية ١٥٣: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾.

خامسًا: وبعد حوالى سنة ونصف من الهجرة إلى المدينة أذن للرسول ﷺ أن يجعل القبلة تجاه المسجد الحرام بدلاً من البيت المقدس، استغل يهود بنى قينقاع ذلك للوقيعة بين الرسول ﷺ والمسلمين وحاولوا الفتنة بين المسلمين يغذون فيهم روح التشكيك فى الرسول ﷺ وكانوا يؤلبون المسلمين على الرسول ﷺ ويسألونهم ما هو موقف المسلمين الذين ماتوا وهم يصلون تجاه بيت المقدس والله كشف

فتنة اليهود للمسلمين ونزل الوحى بما ورد فى سورة البقرة آية ١٤٣ ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

سادسًا: كان اليهود يشنون حملات وحملات من التشكيك فى الرسول ﷺ والإسلام وأثاروا الفتنة بين الأوس والخزرج بعد أن وحد الرسول بين قلوبهم بصلح عقد الصحيفة فقام شاس بين قيس اليهودى بإشعال الفتنة بين الأوس والخزرج لكى يعودوا إلى حمل السلاح والقتال بينهم لولا تدخل الرسول ﷺ للصلح بينهم وإلقاء السلاح فى مواجهة بعضهم.

سابعًا: وكان اليهود يقومون بدور الجواسيس لكفار قريش ويشنون حربًا نفسية داخل المدينة وذلك ببث الشائعات داخل المدينة لهز الاستقرار بها رغم أن عقد الصحيفة ينص على أن يهود المدينة يتحملون جزءًا من نفقات الدفاع عن المدينة ومطالبون بالدفاع عن المدينة مع المسلمين لأنهم يقيمون بها.

ثامنًا: أمام ذلك كله ولأن يهود بنى قينقاع خانوا العهد الذى وقع مع الرسول ﷺ وهو عقد الصحيفة لذلك كان لزامًا على الرسول ﷺ للتفرغ للدفاع عن المدينة دون خوف من أن يطعن من الخلف من يهود بنى قينقاع الموجودين داخل المدينة ولتدعيم الجبهة الداخلية وخلوها من جواسيس يهود بنى قينقاع الذين كانوا يقومون بنقل أخبار المسلمين داخل المدينة إلى أعداء المسلمين خارج المدينة لذلك تقتضى الفطنة السياسية والعسكرية بإجلاء المدينة من الجواسيس وهم يهود بنى قينقاع وهذا ما فعله الرسول ﷺ.

تاسعًا: كان غالبية اليهود داخل المدينة يعملون فى الصاغة وسوق الصاغة ولكنهم كما ذكرنا يشككون دائمًا فى الإسلام وفى الرسول ﷺ ويتعاملون مع المسلمين بازدراء ففى ذات يوم توجهت امرأة مسلمة إلى سوق الصاغة لتشترى حليًا فسخر منها يهودى من يهود بنى قينقاع وعبث بثيابها ليظهر عورتها وتصادف وجود أحد المسلمين بالسوق فقام بقتل ذلك اليهودى الذى يحاول كشف

عورة المسلمة فى الطريق العام وتجمع اليهود فى سوق الصاغة على المسلم وقتلوه وأنذرهم الرسول ﷺ بالكف عن إيذاء المسلمين وهكذا كان يهود قينقاع يمثلون الخيانة بكل صورها فنزل أمر الله بمحاربة يهود بنى قنيقاع فى سورة الأنفال آية ٥٨ ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ وبعد نزول هذه الآية أمر الرسول ﷺ بحصار بنى قنيقاع داخل دورهم واستمر الحصار لمدة خمسة عشر يومًا من شوال فى العام الثانى من الهجرة فى عام ٦٢٤.

عاشرًا: فى بداية الأمر أمر الرسول ﷺ بشد وثاقهم جميعًا وبعد ذلك تدخل الوسطاء ورضى الجميع بوساطة عبد الله بن أبى بن سلول الذى حكم بإجلاء يهود بنى قنيقاع عن المدينة لكثرة أفعالهم التى تعبر عن عداوة المسلمين والوقوف بجوار أعداء المسلمين رغم عقد الصحيفة المبرم معهم بالأمان لهم من جانب المسلمين ووافق الرسول ﷺ على حكم الوسيط ورحلوا إلى وادى القرى ثم إلى أذرعات على حدود الشام وكانوا ألف رجل بعد رحليهم قسمت أموالهم فأخذ الرسول الخمس ووزع الباقى على من قاتل من المسلمين وبذلك أصبحت المدينة عاصمة للدولة الإسلامية بدون خونة من يهود بنى قينقاع.

المبحث الثانى
رأى المؤلف فى غــزوة بنى قنيقاع وغدر اليهود

أولاً: المستشرقون يشوهون الإسلام ويقولون إن غزوات الرسول ﷺ كانت من أجل الغنائم وهذا غير صحيح لأن غزوة بنى قينقاع كان هدفها تطهير المدينة من الجواسيس من يهود بني قينقاع الذين كانوا يخبرون أعداء المسلمين بكل أخبار المسلمين من كفار قريش رغم أن اتفاقية الصحيفة المبرمة معهم كان أحد نصوصها هو أن كفار قريش أعداء للمسلمين ويهود بنى قينقاع وأن يهود بنى قينقاع ملزمون بالدفاع عن المدينة جنبًا إلى جنب مع المسلمين للدفاع عن المدينة

التى يقيم بها المسلمون واليهود ولكن الذى حدث عمليًا أنهم كانوا جواسيس يرسلون أخبار الرسول ﷺ لأعداء الرسول من كفار قريش.

ثانيًا: بعد أن كثرت أفعال يهود بنى قينقاع داخل المدينة فى التشكيك فى الرسالة المحمدية والتشكيك فى الرسول ﷺ بالغمز واللمز كما سبق أن ذكرنا وفى أحداث الوقيعة بين الأنصار والمهاجرين أمر الله تعالى فى القرآن فى سورة الأنفال الآية ٥٨ بإجلاء يهود بنى قينقاع عن المدينة لخطرهم على الدعوة الإسلامية وخطرهم على الدولة الإسلامية الوليدة وجاء ذلك فى القرآن ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ وإجلاء يهود بنى قينقاع عن المدينة كان بأمر إلهى لا يملك الرسول ﷺ والمسلمون إلا تنفيذه وقد وصفهم الله فى سورة الأنفال الآية ٥٨ بالخائنين وأن الله لا يحب الخائنين.

ثالثًا: فإجلاء يهود بنى قينقاع عن المدينة لم يكن للحصول على الغنائم كما يردد المستشرقون بل كان بأمر إلهى لأنهم خونة وجواسيس ضد الإسلام والمسلمين لحساب أعدائهم ولأنهم خطر على الدعوة الإسلامية بأفعالهم والوقيعة دائمًا بين الأنصار والمهاجرين حتى كاد أن يرفع الأنصار السلاح ضد بعضهم البعض لولا تدخل الرسول ﷺ وتهدئة المناخ بين الأنصار والمهاجرين فقد اغتاظ يهود بنى قينقاع بعد أن رعوا الألفة والمحبة بين الأنصار أوس وخزرج بعد أن كانت العداوة بينهم قبل الإسلام فأوعز شاس بين قيس اليهودى إلى أحد اليهود فجلس إلى جماعة من الأوس والخزرج وذكرهم بيوم بعاث لإشعال الفتنة بين الأوس والخزرج وفعلاً رفعوا السلاح للاقتتال بينهم لولا تدخل الرسول ﷺ فألقوا السلاح وتعاونوا مرة أخرى لخدمة الإسلام والدعوة الإسلامية، إن أمثال هؤلاء الحل الوحيد هو استئصالهم من المدينة لذلك يرى المؤلف أن قرار الرسول ﷺ بإخراجهم من المدينة أحد القرارات الناجحة فى الدعوة الإسلامية لأنهم لو استمروا داخل المدينة لن يجنى المسلمون على أيديهم إلا الخراب والفرقة والعداوة بين المسلمين المهاجرين والأنصار لأن يهود بنى قينقاع كانوا يضمرون الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين.

رابعاً: رغم أن الرسول ﷺ كان يستطيع بقوته وقوة المسلمين فقد كان عددهم عشرات أضعاف أعداد يهود بنى قينقاع داخل المدينة كان فى مقدوره أن يقتلهم جميعًا ولكن الرسول ﷺ رضى بحكم ووساطة عبد الله بن أبى بن سلول الذى استمع إلى المسلمين ويهود بنى قينقاع وما فعله يهود بنى قينقاع من خيانة وغدر للمسلمين ومحاولة تشويه صورة الرسول ﷺ والإسلام، لذلك كان حكم عبد الله بن أبى بن سلول هو إجلاؤهم عن المدينة فوافق عليه الرسول ﷺ واليهود وهذه سماحة الإسلام مع الآخرين فى العفو عند المقدرة فغادر يهود بنى قينقاع المدينة إلى وادى قرى ثم إلى أذرعات شمال الحجاز على حدود بلاد الشام وكانوا حوالى ألف رجل لم يمسهم أحد بسوء.

خامساً: إن الرسول ﷺ قبل أن يجلى يهود بنى قينقاع أنذرهم أكثر من مرة فقد ورد فى السيرة النبوية لابن هشام أن الرسول ﷺ جمع يهود بنى قينقاع فى سوق بنى قينقاع وقال لهم: «يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل تجدوا ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم» ورغم إنذار الرسول ﷺ لهم نزل قول الله فى ضرورة إجلائهم فكان لابد من تنفيذ كلام الله لأنهم خطر كبير على الدعوة الإسلامية بإيجاد الفرقة بين المسلمين وتفريق وحدة المسلمين وتمسكهم لأن المسلمين فى كل زمان ومكان قوتهم فى وحدتهم وضعفهم فى فرقتهم وهذا ما يحدث اليوم فإن فرقة العرب والمسلمين هى سبب نكستهم وضعفهم وإذا اتحدوا سوف يعمل لهم العالم ألف حساب.

سادساً: غزوة بنى قينقاع لم تكن غزوة كما تردد بعض كتب السيرة ولكنها كانت إجلاء لليهود من بنى قينقاع لأنهم خونة ويعملون كجواسيس لأعداء المسلمين ويبثون الفرقة والبغضاء بين الأنصار والمهاجرين لإضعاف قوة المسلمين فإجلاؤهم عن المدينة لضمان الأمن والاستقرار داخل المدينة ولإيجاد الوحدة بين المسلمين تحت راية الإسلام فهذه ليست غزوة لأن الرسول ﷺ لم يحاربهم بل ارتضى بحكم عبد الله بن أبى بن سلول الذى وافق عليه المسلمون واليهود ونفذ الرسول ﷺ الوسيط فهذه ليست غزوة بأى معيار.

سابعًا: إن يهود بنى قينقاع رغم أنهم يمارسون عقائدهم الدينية بحرية مطلقة على بعد أمتار معدودة من مسجد الرسول ﷺ داخل أماكن تجمعات المسلمين ولم يمنعهم المسلمون من مباشرة عقائدهم الدينية بموجب عقد الأمان معهم بعقد الصحيفة ولأن تعاليم الإسلام تدعو فى الكتاب والسنة إلى أن يباشر غير المسلمين عقائدهم الدينية بحرية مطلقة إلا أن اليهود كانوا دائمًا يسخرون من عقائد المسلمين باللمز والغمز ويشككون فى الرسول ﷺ والوحى وتعاليم الإسلام لإيجاد الوقيعة بين المسلمين الأنصار والمهاجرين حتى حرمات نساء المسلمين لم يراعها اليهود فهذه المرأة المسلمة التى توجهت بسوق الصاغة الذى يعمل به اليهود وحاول أحد اليهود كشف عورتها فى السوق حتى يضحك أصحابه من اليهود وغضب المسلمون لقد كان اليهود بعد نقضهم العهد جواسيس داخل المدينة يتمنون هزيمة المسلمين على يد كفار قريش، لذلك كانوا ينقلون أخبار الرسول ﷺ والمسلمين وتحركاتهم واجتماعاتهم إلى كفار قريش.. ماذا يفعل أى رئيس دولة بجواسيس زرعوا داخل دولته سوى أن يحاكمهم بمعرفة حكم يرتضيه الطرفين وينفذ حكمه إذا ثبت أنهم جواسيس وهذا ما فعله الرسول ﷺ كحاكم عادل ارتضى المسلمون واليهود بحكم عبد الله بن أبى بن سلول ونفذ الرسول ﷺ الحكم بعد أن ثبت أن اليهود نقضوا العهد وانضموا إلى صفوف أعداء المسلمين.

الفصل الثالث
غـــــزوة أحـــــد

سوف نتحدث عن غزوة أحد وهى إحدى الغزوات الكبرى بعد بدر وذلك فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: غزوة أحد.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى غزوة أحد.

وسوف نتناول ذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول
غــزوة أحــد

أولاً: غزوة أحد من أهم الغزوات التى حدثت فى العام الثالث للهجرة عام ٦٢٤ فقد تولى أبو سفيان قيادة كفار قريش للانتقام من المسلمين وتمكن خلال عام بعد غزوة بدر من جمع حلفاء قريش هم قبائل ثقيف وقبائل كنانة وتهامة وجمع حوالى ثلاثة آلاف مقاتل منهم سبعمائة يحملون الدروع ومعهم مائتا فارس وثلاثة آلاف بعير ومعهم سبع عشرة امرأة بزعامة هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان وذلك للثأر من قتلى موقعة بدر السبعين واجتمعت قوات كفار قريش ومن ناصرهم من القبائل بالقرب من جبل أحد شمال المدينة المنورة أى أنهم ساروا فى هذه الدروب الوعرة والطرق غير الممهدة مسافة خمسمائة وعشرين كيلو مترًا من مكة إلى

المدينة وبعد ذلك تم تقسيم قوات كفار قريش بأن تكون تحت قيادة أبى سفيان ويرأس جيش الميمنة خالد بن الوليد ويرأس جيش الميسرة عكرمة بن أبى جهل ليثأر لمقتل والده فى معركة بدر.

ثانيًا: كانت قوات المسلمين تتكون من ألف مقاتل انسحب منهم ثلاثمائة من المنافقين بعد أن أحسوا بهزيمة المسلمين لفرق العدة والعتاد وكان المنافقون بزعامة عبد الله بن أبى بن سلول وبذلك أصبحت قوات المسلمين سبعمائة مقاتل فقط ووضع الرسول ﷺ خطة الدفاع عن المدينة بأن وضع خمسين راميًا بقيادة عبد الله بن جبير وأمرهم أن يقفوا أعلى الجبل لرمى النبل والأحجار لحماية المسلمين من الخلف وأمرهم ألا يتركوا الجبل تحت أى ظرف. والتقى الجيشان جيش كفار قريش والمسلمين وفى البداية انتصر المسلمون وهم قلة رغم أن كفار قريش أربعة أضعاف أعداد المسلمين ولكن الذى حدث بعد ذلك هو تحول سير المعركة لمصلحة كفار قريش لأن عبد الله بن جبير والرماة الخمسين الذين معه تركوا أعلى الجبل بعد انتصار المسلمين ليبحثوا عن الغنائم فاستطاع خالد بن الوليد من قتل الرماة جميعًا وأصبح المسلمون فى فكى كماشة قوات أبى سفيان من جهة وقوات خالد بن الوليد من الجهة الأخرى وزاد من سوء الأمر أن البعض أطلق شائعة موت الرسول ﷺ ولكن الرسول ﷺ أمر رجاله بالتجمع أعلى جبل أحد حتى لا يستطيع كفار قريش القضاء على كل المسلمين.

ثالثًا: وتجمع المسلمون حول الرسول ﷺ يدافعون عنه ويفدونه بأرواحهم ويتساقطون شهداء دفاعًا عنه ومع ذلك أصيب الرسول ﷺ فى المعركة بعدة جروح فى وجهه وسقط اثنان من أسنانه ودافع عنه باستماتة الصحابة أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وطلحة ابن الزبير ومعهم ثلاثون مقاتلاً وبعد أن احتمى المسلمون بأعلى الجبل لم يستطع كفار قريش الالتفاف حولهم وكان التعب قد أنهكهم وانسحب أبو سفيان وجنوده وهكذا توقف القتال بعد أن احتمى الرسول ﷺ ورجاله بأعلى الجبل واكتفى كفار قريش بهذا النصر المؤقت وقد قتل من كفار قريش ثلاثة وعشرون قتيلاً وقد قامت هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان

ببقر بطن حمزة عم الرسول ﷺ وأخرجت كبده تلوكها بأسنانها وتلفظها وقد حزن الرسول ﷺ على موت عمه حمزة.

رابعاً: وانتهت معركة أحد بهزيمة مؤقتة للمسلمين واستشهاد سبعين شهيداً دفنوا فى أرض المعركة وكان أحد الأسباب الجوهرية فى هزيمة المسلمين هو عدم طاعة أوامر الرسول ﷺ وفى شهداء المسلمين نزل القرآن فى سورة آل عمران آية ١٦٩ ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

خامساً: قبل نشوب موقعة أحد وأثناء الإعداد لها بمعرفة أبى سفيان والقبائل المتحالفة مع قريش أرسل العباس بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ إلى الرسول ﷺ يخبره بأن كفار قريش يعدون العدة لمحاولة قتله فى المدينة رغم أن العباس كان لا يزال على دين قريش إلا أن صلة القرابة ومحبته للرسول ﷺ دفعته أن يفعل ذلك.

المبحث الثانى:
رأى المؤلف فى غـــزوة أحد

أولاً: هذه ليست غزوة بل هى حق دفاع شرعى للمسلمين لأن قوات كفار قريش والقوات المتحالفة معها سارت خمسمائة وعشرين كيلو لكى تهاجم الرسول ﷺ فى المدينة ولم يكن الرسول ﷺ غازيًا بل هو مدافعًا عن أرضه وماله ودعوته بالمدينة.

ثانياً: كانت قوات كفار قريش أربعة أضعاف قوات الرسول ﷺ ولكن القوة والعزيمة والإيمان بالرسالة المحمدية جعلت كل قوات المسلمين تتقوى قلوبهم فى محاربة كفار قريش.

ثالثاً: لم تهبط عزيمة المسلمين والرسول ﷺ بخيانة المنافقين بقيادة عبد الله بن أبى بن سلول وانسحابه ومعه ثلاثمائة من المنافقين بل زادت عزيمتهم فى مواجهة كفار قريش.

رابعًا: عندما علم الرسول ﷺ من عمه العباس بن عبد المطلب بأن أبا سفيان يعد العدة لمهاجمة المدينة كان من رأى الرسول ﷺ أن ينتظر بالمدينة حتى يأتى كفار قريش إلى المدينة ويقاتلونهم داخل المدينة ولكن بعض الصحابة كان رأيهم أن يخرجوا لملاقاة كفار قريش خارج المدينة ولأن الأمر شورى رضى الرسول ﷺ برأى الأغلبية من الصحابة ولم ينحز لرأيه.

خامسًا: قبل بدء المعركة قسم الرسول ﷺ المهام فوضع لواء الأوس تحت إشراف أسيد بن حضير ولواء الخزرج تحت إشراف الحباب بن المنذر ولواء المهاجرين تحت إشراف الرسول ﷺ وكان هذا التخطيط رغم علم الرسول ﷺ أن عدد قواته سبعمائة ويواجهون أربعة أضعاف قواتهم من كفار قريش.

سادسًا: كما سبق أن ذكرنا الرسول ﷺ أمر عبد الله بن جبير ومعه خمسون من الرماة بالوقوف أعلى الجبل لحماية ظهر المسلمين وذلك لرشق خيول كفار قريش بالنبال ونسوا أوامر الرسول ﷺ ونزلوا من أعلى الجبل فصعد خالد بن الوليد وقواته إلى أعلى الجبل فاهتزت صفوف المسلمين وتحول انتصار المسلمين إلى هزيمة مؤقتة لذلك أمر الرسول ﷺ بالانسحاب بعد أن استشهد منهم سبعون واحتلال أعلى الجبل ولو كان عبد الله بن جبير نفذ تعليمات الرسول ﷺ لكان النصر للمسلمين لأن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى وقد أخذ المسلمون العبرة والعظة من هذه الهزيمة فى السمع والطاعة لأوامر الرسول ﷺ فقد أصبح يوم أحد بلاء ومصيبة وتمحيص اختبر به الله المؤمنين وأظهر المنافقين الذين يظهرون الإيمان بلسانهم والكفر يجرى فى عروقهم.

سابعًا: بعد انسحاب أبى سفيان وكفار قريش كانت الحنكة العسكرية للرسول ﷺ فى أن يرسل سبعين رجلاً ليتبعوا كفار قريش ويتأكد من توجههم نحو مكة وعدم عودتهم لأرض المعركة أو العودة بالخديعة مرة أخرى لمحاولة احتلال المدينة وفى طريق عودة كفار قريش عند منطقة الروحاء وعلى بعد ٧٠ كيلو أدرك أبو سفيان وكفار قريش خطأهم فى أنهم كان يجب أن يظلوا بأرض المعركة حتى النهاية لكى يقضوا على الرسول ﷺ وأتباعه طالما كانت الغلبة لهم فى العتاد والعدة، وكان يجب أن يظلوا حتى النهاية ليحققوا النصر النهائى فقرروا العودة

لأرض المعركة مرة أخرى كما توقع الرسول ﷺ بأن يأخذوهم مرة أخرى على غرة وهم يجمعون شهدائهم ويضمدون جراح مصابيهم، لذلك أعد الرسول ﷺ عدته وخطته الحربية أنه على بعد عشرة كيلو متر من المدينة يجمع قواته العسكرية لكى يوحى لكفار قريش أنه أعاد قواته ليخرج للثأر من موقعة أحد وعندما أحس كفار قريش بذلك عدلوا عن قرارهم وعادوا لمكة وانتظرهم الرسول ﷺ خارج المدينة ثلاثة أيام بعد أن رفع معنويات المسلمين بأنهم قادرون على مواصلة القتال فى سبيل الدعوة.

ثامنًا: كانت موقعة أحد نكسة عسكرية أصابت المسلمين لأنهم لم ينفذوا أوامر الرسول ﷺ فى خطته العسكرية بأن يبقى عبد الله بن جبير أعلى الجبل ومعه الخمسون من الرماة لحماية ظهر القوات الإسلامية وهى نكسة عسكرية لعدم الامتثال للأوامر الصادرة من الرسول ﷺ وهى ليست نكسة عسكرية بسبب فساء القيادة العسكرية فقد كان يتولى القيادة العسكرية أشرف قيادة عسكرية عرفها التاريخ.

تاسعًا: غزوة أحد كانت نتيجة طبيعية لما أصاب كفار قريش فى غزوة بدر من قتلى ومصابين، لذلك توجه عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان ابن أمية وتقابلوا مع أبى سفيان بن حرب يحرضونه للثأر لهزيمة كفار قريش فى بدر وإلا فإنه سوف يسوء موقف قريش ووضعهم العسكرى والحربى بين قبائل العرب وسط الجزيرة العربية، هذا بالإضافة إلى أن المسلمين استطاعوا تهديد القوافل التجارية لكفار مكة أثناء سيرها فلابد من الخروج من هذا المأزق بعمل حربى يغزون به المدينة فى عقر دارها ولذلك وعدوا جميعًا أن يساعدوا أبا سفيان بن حرب بكل المال الذى يحتاجه لغزو المدينة.

عاشرًا: خرج أشراف كفار قريش ومعهم زوجاتهم حتى يكونوا عونًا لهم أثناء النصر فى القضاء على المسلمين عند غزوة أحد فخرج أبو سفيان بن حرب ومعه زوجته هند بنت عتبة وخرج عكرمة بن أبى جهل ومعه زوجته أم حكيم بنت الحارث وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة ومعه زوجته فاطمة بنت الوليد بن

المغيرة وخرج صفوان بن أمية ومعه زوجته بيرزة بنت مسعود الثقفية وخرج عمرو بن العاص ومعه زوجته بنت منية بن الحجاج، لقد كان كفار قريش يعدون العدة للقضاء على المسلمين قضاءً لا رجعة فيه للإسلام والمسلمين، لذلك خرجوا مع زوجاتهم وتكاتفوا مع قبائل كنانة وقبائل تهامة حتى يضيفوا لقواتهم قوات أخرى تكون الغلبة لهم فى النهاية.

الحادى عشر: نزلت قوات كفار قريش والقبائل المتحالفة معها بجبل ببطن السبخة فى الوادى أمام المدينة وتشاور الرسول ﷺ مع الصحابة فى وضع الخطة لمواجهة كفار قريش وكان السؤال الذى طرحه الرسول ﷺ.. هل يحاربون كفار قريش من داخل المدينة أم يخرجون خارج المدينة لمقابلتهم بعيدًا عن المدينة؟ وكان رأى الرسول ﷺ وعبد الله بن أبى بن سلول أن يحاربوا كفار قريش من داخل المدينة وسوف يستفيدون من مساندة الشيوخ والنساء والصبيان بإلقاء الحجارة على كفار قريش لأن أعداد كفار قريش أكثر من أربعة أضعاف المسلمين وكان يوم الجمعة وبعد صلاة الجمعة واستشار الناس والصحابة وكان من رأيهم الخروج لملاقاة كفار قريش استجاب الرسول ﷺ لرأى المشورة وخرج ومعه ألف رجل من المدينة إلى أحد لمواجهة كفار قريش ورجع عبد الله بن سلول ومعه ثلاثمائة من المنافقين وأصبحت أعداد المسلمين سبعمائة رجل فقط.

الثانى عشر: بعد انسحاب المنافقين من القتال طلب الأنصار يوم غزوة أحد من الرسول ﷺ الاستعانة بحلفائهم من يهود بنى النضير وبنى قريظة لأنهم ملزمون بالدفاع عن المدينة بموجب عقد الصحيفة ولكن الرسول ﷺ بحنكته وفطنته يخشى من غدر اليهود فقال الرسول ﷺ لا حاجة لنا بهم رغم أن قوات كفار قريش ثلاثة آلاف مقاتل ومائتى فارس وكان يرأس قوات الخيول والفرسان خالد بن الوليد.

الثالث عشر: وأثناء معركة أحد قتل حمزة بن عبد المطلب بمعرفة وحشى غلام جبير بن مطعم بعد أن طعنه بحربته الذى توجه بعد معركة أحد إلى المدينة وأسلم على يد الرسول ﷺ لأنه يعلم أن من يدخل الإسلام لا يقتله أحد.

الرابع عشر: وأثناء المعركة آصاب عتبة بن أبى وقاص الرسول ﷺ وسقط منه سنتين وشج فى وجهه وجرح فى شفته وأخذ الدم يسيل من وجه الرسول ﷺ ودفع الرسول ﷺ فى حفرة من الحفر وكاد الرسول ﷺ أن يقتل ولكن الصحابة التفوا حوله، على بن أبى طالب وبعض الصحابة ورفعه طلحة بن عبد الله من الحفرة وقام مالك بن سنان بمسح دم الرسول ﷺ السائل من وجهه الشريف فقال له الرسول ﷺ «من مس دمى دمه لم تصبه النار» وتوجه خمسة من الأنصار يدافعون عن الرسول ﷺ يقاتلون حتى قتل الخمسة دفاعًا عن الرسول ﷺ وكان آخرهم أبا عمارة بن يزيد بن السكن ومات وخده على قدم الرسول ﷺ.

الخامس عشر: وأثناء المعركة أطلق بعض كفار قريش إشاعة خبيثة بأن الرسول ﷺ قد قتل حتى يحل بهم اليأس وما فائدة القتال فى عدم وجود الرسول ﷺ؟ ولكن الصحابة من المسلمين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام التفوا حول الرسول ﷺ يطمئنون عليه لاستئناف المعركة فقام الرسول ﷺ وغسل عن وجهه الدم وبدأ القتال من جديد.

السادس عشر: قامت هند بنت عتبة والنساء معها بالتمثيل بأجسام القتلى وجثثهم بقطع الأذن والأنف وقد قامت هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان بأخذ كبد حمزة بعد قتله وحاولت أكلها ولكنها لم تستسغها فلاكتها ثم لفظتها من فمها.. آى قسوة من هؤلاء النسوة الكفار بالتمثيل بجثث الموتى.

السابع عشر: وبعد أن التف المسلمون حول الرسول ﷺ فى قمة الجبل لم يستطع كفار قريش مواصلة القتال ونادى أبو سفيان إن موعدنا معكم فى بدر العام القادم وانصرفت قوات كفار قريش فأرسل خلفهم الرسول ﷺ على بن أبى طالب ليراقبهم حتى لا يخدعوا المسلمين ويعيدوا تجميع قواتهم مرة أخرى وينقضوا على القوات الإسلامية وأخذ على بن أبى طالب يراقبهم حتى تأكد أن وجهتهم مكة ولن يعودوا، وعاد الرسول ﷺ إلى جثث الموتى وأمر بدفنها سواء من

كفار قريش أو من المسلمين وأمر الرسول بعدم التمثيل بجثث الموتى، وهذا يبين الفارق بين التصرفات المتحضرة للرسول ﷺ، الرسول يدفن موتى كفار قريش وكفار قريش يمثلون بجثث المسلمين.

الثامن عشر: وقد حزن الرسول ﷺ حزنًا شديدًا على عمه حمزة بن عبد المطلب وخاصة بعد أن شاهد مكان كبده المنزوع وقد جمع الرسول ﷺ القتلى مع عمه حمزة وصلى عليهم ثم قام المسلمون بدفن الشهداء ومازال قبورهم معروفة عند جبل أحد بالمدينة المنورة. وكانوا يضعون الاثنين والثلاثة من الشهداء فى القبر الواحد.

التاسع عشر: وكانت غزوة أحد يوم السبت فى نصف شوال من العام الثالث الهجرى فى عام ٦٢٤م ولكن الرسول ﷺ بعد أن عاد للمدينة خشى مرة أخرى من غدر كفار قريش بأن يهجموا على المدينة فخرج ومعه المسلمون حتى منطقة صحراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة وأبقى بالمدينة ليدير شئونها ابن أم مكتوم وأقام الرسول ﷺ يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء بناحية منطقة صحراء الأسد ثم رجع بعد ذلك للمدينة.

الفصل الرابع

غـــزوة بنى النضير وخيانة العهود

ربيع الأول ٤هـ/ ٦٢٥م

سوف نتناول غزوة بنى النضير فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: غزوة بنى النضير وخيانة اليهود.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى غزوة غزوة بنى النضير وخيانة اليهود.

وسوف نتناول ذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول

غـــزوة بنى النضير وخيانة اليهود

أولاً: بعد أن أجلى الرسول ﷺ يهود بنى قينقاع من المدينة فى ١٥ شوال من العام الثانى من الهجرة فى عام ٦٢٣ نتيجة خيانتهم بنقضهم عقد الصحيفة وتحولهم إلى جواسيس لمناصرة أعداء المسلمين خشى يهود بنى النضير أن يكون الدور عليهم ولذلك أقاموا تحصناتهم على بعد عدة أميال شمال المدينة وكانوا خارج المدينة وقد قام يهود بنى النضير بمناصرة كفار قريش فى موقعة بدر فى العام التالى من الهجرة فى ٦٢٤م وإثر انتهاء موقعة بدر بانتصار المسلمين بعدها جاء أبو سفيان للثأر من المسلمين على الذين قتلوا من كفار قريش فى موقعة بدر.. فماذا فعل؟ خرج ومعه مائتان من كفار قريش من المحاربين المشهود لهم

بقوة الشكيمة وتوجه إلى زعيم قبيلة النضير اليهودى سلام بن مشكم الذى استقبله وسقاه من الخمر واستضاف من معه وخططوا لإيذاء المسلمين، فهجم أبو سفيان على بعض بيوت المسلمين فى المدينة غدرًا وقتل رجلين من الأنصار وعاد هو ورجاله إلى مكة، كل ذلك رغم عقد الصحيفة المبرم بين المسلمين ويهود بنى النضير.

ثانيًا: وفى موقعة أحد فى ١٥ من شوال فى العام الثالث من الهجرة فى عام ٦٢٤ التى كانت يوم سبت وقد أصيب فيها المسلمون بهزيمة مؤقتة فاستهان اليهود وبعض القبائل العربية بأمر المسلمين وقد حدثت بعد ذلك حادثة ومجزرة بئر المعونة وهى منطقة بين أرض بنى عامر وهم حلفاء يهود بنى النضير وبين بنى سليم وقد قتل أربعون مسلمًا وأسر اثنان كعب بن زيد وعمرو بن أمية الضميرى وتوجه الرسول ﷺ إلى بنى النضير ومعه عشرة من كبار الصحابة على رأسهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ليساعدوا فى دفع دية الرجلين المأسورين ولكن الخسة والندالة جزء من سلوكيات يهود بنى النضير رغم عقد الصحيفة فماذا فعل يهود بنى النضير حاولوا قتل الرسول ﷺ بوضع خطة يهودية نجاه منها الله بأن يلقى عمرو بن جحاش صخرة عليه وهو جالس ولكن الله نجاه من هذه المؤامرة بأن قام الرسول ﷺ من جانب الجدار الذى كان يجلس بجواره وقام بالعودة إلى المدينة المنورة وخرج وكأنه يريد أن يقضى حاجة وتبعه أتباعه من الصحابة وبذلك نجا الرسول ﷺ من كيد اليهود بمحاولة قتله بعد أن أخبره جبريل بالمؤامرة.

ثالثًا: وإثر محاولة اليهود قتل الرسول ﷺ واتفاقهم على ذلك رغم عقد الصحيفة المبرم معهم فأنذرهم الرسول ﷺ بالجلاء عن أماكنهم ومزارعهم خلال عشرة أيام لنقضهم عقد الصحيفة ولكن يهود بنى قريظة جيرانهم وعدوهم بمساعدتهم فى مواجهة المسلمين وكذلك زعيم المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول وعدهم بمساعدة المنافقين لهم لذلك تقوى قلب يهود بنى النضير ورفضوا إنذار الرسول ﷺ وأخذوا يعدون العدة للقتال وزيادة تحصيناتهم وزيادة سلاحهم وتخزين المؤن والطعام لمدة عدة شهور فقام الرسول ﷺ بمحاصرتهم لمدة عشرين

يومًا وحاصرهم فأوقف وصول المساعدات من المنافقين ويهود بنى قريظة وأمام ذلك الوضع فى قطع كل سبل المعونة عنهم طلب أشراف بنى النضير حقن الدماء مقابل الاستسلام والجلاء عن ديارهم فوافق الرسول ﷺ أن يحملوا معهم كل ما معهم ماعدا السلاح ورحلوا، بعضهم إلى أزرعات على حدود الشام وبعضهم فى خيبر حيث يوجد قبيلة خيبر من اليهود وقد غنم المسلمون من يهود بنى النضير ٥٠ درعًا و٥٠ خوذة و٣٤ سيفًا وكان ذلك لإخلالهم بعقد الصحيفة وانضمامهم إلى كفار قريش ومناصرتهم ضد المسلمين.

المبحث الثانى:

رأى المؤلف فى غــزوة بنى النضير

أولاً: يرى المؤلف غزوة بنى النضير ليست بغزوة، بل هى جزاء ليهود بنى النضير لعدم وفائهم بتعهدهم الذى وقعوا عليه فى عقد الصحيفة الذى أبرم فى المدينة وهى أول وثيقة فى التاريخ تسمح بقبول الآخر المخالف فى الدين وتسمح له بمباشرة عقائده الدينية على بعد أمتار من مسجد الرسول ﷺ وهى وثيقة تشريعية دستورية وقع عليها الرسول ﷺ واليهود من بنى النضير وبنى قريظة وبنى قينقاع وكانت فى القسم الثانى منها تنظم العلاقة بين اليهود والمسلمين كأمتين وهذه والوثيقة اعترفت باليهود كأمة لها حسن الجوار مع المسلمين هذا ما أكده الرسول ﷺ فى العام الأول من الهجرة فى عام ٦٢٣م بوثيقة وقع عليها، هذه هى سماحة الإسلام مع الآخر منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام يعترف الرسول ﷺ بحسن الجوار لليهود.. أين هذه السماحة التى لا حدود لها فى الإسلام مما يحدث اليوم من الدولة اليهودية وعلى رأسها شارون فالرسول ﷺ أعطاهم وثيقة رسمية يعترف لهم بحسن الجوار وهم اليوم يدكون المنازل كمقابر جماعية للمسلمين والمسيحيين فى فلسطين فى جنين وغيرها من المناطق الفلسطينية.

ثانيًا: كان عقد الصحيفة فى عام ٦٢٢م الذى نقضه يهود بنى النضير ومسحوا توقيعهم عليه بأستيكه كما مسحوا توقيعهم على أوسلو وغيرها من الاتفاقات كما فعلوا مع الرسول ﷺ فى اتفاقية عقد الصحيفة، فقد كانت اتفاقية عقد الصحيفة تنص على أن لليهود حرية العقيدة يباشرون عقائدهم بحرية مطلقة ولهم حسن الجوار مع المسلمين وقيام حلف عسكرى بين المسلمين واليهود لرد أى اعتداء على يثرب وتحمل المسلمون واليهود نفقات الحرب مشتركة بشرط أن تكون الحرب مشروعة لرد الاعتداء عن يثرب التى يقيمون بها وقد اعتبرت قبيلة قريش عدوًا مشتركا لليهود وللمسلمين لذلك لا تجارة معهم ولا مع من ناصرهم من القبائل التى تناصر قريش.

هذه بعض نصوص اتفاقية الصحيفة ولكن ماذا فعل يهود بنى النضير فى موقعة بدر التى وقعت فى الجمعة ١٧ من رمضان من العام الثانى للهجرة فى عام ٦٢٣م، رفض يهود بنى النضير الاشتراك فى الحرب بل ساعدوا كفار قريش بنشر الإشاعات داخل المدينة بهزيمة القوات الإسلامية لإضعاف الجبهة الداخلية وكان يناصرهم فى ذلك المنافقون ولكن الله كان مع القوات الإسلامية وانتصرت وكان ذلك أول خيانة لليهود وفى موقعة أحد التى قامت يوم السبت ١٥ من شوال فى العام الثالث من الهجرة فى ٦٢٤م التى أسفرت عن هزيمة مؤقتة للمسلمين خان يهود بنى النضير اتفاقية عقد الصحيفة ولم يشتركوا مع المسلمين فى الدفاع عن المدينة رغم أنها حرب مشروعة للمسلمين فهى حرب دفاع عن النفس ودفاع عن دولتهم فى المدينة ودفاع عن منع كفار قريش من احتلال المدينة لأن كفار قريش تحركوا من مكة إلى المدينة أكثر من خمسمائة كيلو للهجوم على المسلمين واليهود بالمدينة ولذلك فإن اليهود كانت الخيانة تجرى فى دمهم وكانوا يناصرون كفار قريش بإعطاء أخبار الرسول ﷺ والقوات الإسلامية داخل المدينة إلى أعدائهم كفار قريش رغم أن عقد الصحيفة صريح فى اعتبار كفار قريش أعداء للمسلمين واليهود فغزوة بنى النضير ليست غزوة، بل هى لإخلال اليهود باتفاقهم مع المسلمين فى اتفاقية الصحيفة.

ثالثًا: فى موقعة أحد التى حدثت يوم السبت ١٥ من شوال فى العام الثالث من الهجرة رفض يهود بنى النضير الاشتراك فى الحرب بحجة واهية وتافهة، إن الحرب يوم سبت وإن القتال كان خارج المدينة رغم أن عقد الصحيفة الذى وقعوا عليه ينص فى اشتراكهم مع المسلمين فى حلف عسكرى للدفاع عن المدينة التى يقيمون فيها مع المسلمين فى أى وقت عن أى اعتداء وكفار قريش أتوا لاحتلال المدينة وقرر الرسول ﷺ الخروج لملاقاتهم فى أحد بدلاً من أن يدور القتال داخل منازل المدينة حيث يوجد الأطفال والشيوخ والنساء من المسلمين واليهود ولكن اليهود هم اليهود صندوق الحجج لديهم لا ينضب يأتون بأسباب ملفقة حتى لا ينفذوا وعودهم واتفاقياتهم فلابد من توقيع الجزاء عليهم لأنه ليس من المعقول أن يدافع المسلمون عن المدينة ويدافعوا عن اليهود وأطفالهم ونسائهم وشيوخهم الموجودين بالمدينة دون أن يشترك يهود بنى النضير مع المسلمين فى الدفاع عن المدينة.

رابعًا: كانت قمة الخيانة والغدر هى محاولة يهود بنى النضير قتل الرسول ﷺ داخل المنازل التى يسكن بها اليهود من بنى النضير فقد كان يهود بنى النضير يسكنون فى المدينة فى منطقة تسمى العوالى تبعد حوالى ميلين من المدينة ومنطقتهم تمتاز بكثرة النخيل فقد وضع اليهود الخطة لقتل الرسول ﷺ ذاته رغم اتفاقية الصحيفة فقد قام عمرو بن أمية بقتل رجلين من بنى عامر عن طريق الخطأ فتوجه عمرو بن أمية إلى الرسول ﷺ ليساعده فى دفع الدية لبنى عامر وهم حلفاء يهود بنى النضير فتوجه الرسول ﷺ ومعه عشرة من الصحابة على رأسهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب إلى منطقة العوالى التى يسكن بها يهود بنى النضير والتقوا بزعيم يهود بنى النضير وهو حيى بن أخطب أحد زعماء اليهود البارزين وطلبوا منه أن يساعدهم فى أن يدفع عمرو بن أمية الدية لقبيلة بنى عامر حليفة يهود بنى النضير ولم يتوقع الرسول ﷺ الغدر من يهود بنى النضير، رحب بهم من الظاهر فى قبول الدية وإقناع بنى عامر بذلك وطلب من الرسول ﷺ أن يتوجه إلى قومه للتشاور معهم وهو يبطن غير ذلك فهو يبطن الغدر والخيانة واستراح الرسول ﷺ بجوار حائط أحد منازل اليهود فى منطقة

بنى النضير وإذا بزعيم اليهود يدخل لقومه وبدلاً من أن يتشاور معهم فى قبول الدية يتشاور معهم فى سيناريو قتل الرسول ﷺ والصحابة وهم فى ديارهم حيث قال لأتباعه من اليهود إنه لن يجد فرصة أفضل من هذه الفرصة لقتل الرسول ﷺ وكانت الخطة أن يصعد أحد اليهود إلى المنزل الذى يجلس أسفله الرسول ﷺ ويلقى عليه حجرًا كبيرًا ويموت الرسول ﷺ فى الحال فأوحى الله إلى الرسول ﷺ بما سوف يحدث فقام الرسول ﷺ من مكانه وتوجه عائدًا إلى المدينة وعندما سأله الصحابة لماذا لم ينتظر رد حيى بن أخطب زعيم يهود بنى النضير أخبرهم بما أوحى إليه من الله وعن خطة اليهود لقتله وهنا سؤال أوجهه لكل ذى ضمير حى.. هل أمثال هؤلاء اليهود يمكن الأمان لهم فى أن يعيشوا داخل المدينة أم الأفضل لأهل المدينة إجلاء هؤلاء الغدارين الذين يخططون لقتل الرسول ﷺ رغم أنه وقع لهم على اتفاقيـة حسن الجوار فى عقد الصحيفة ولكنهم نقضوها.

خامسًا: بعد واقعة الخيانة لقتل الرسول ﷺ أرسل لهم الرسول ﷺ محمد بن مسلمة لكى يخبرهم أن يتركوا المدينة بعدما حدث منهم من مساعدة أعداء المسلمين وخطة قتل الرسول ﷺ ولكن عبد الله بن أبى بن سلول زعيم المنافقين بالمدينة أرسل إلى زعماء يهود بنى النضير بأن لا ينفذوا طلبات المسلمين لأنه ومعه ألفان من المنافقين سوف يقفون إلى جانبهم ضد المسلمين وكذلك أرسل حلفاء بنى النضير من يهود بنى قريظة وقبيلة بنى غطفان يطلبون منهم عدم تنفيذ طلبات المسلمين بالجلاء عن المدينة وأنهم سوف يناصرونهم ضد المسلمين ولذلك رفض يهود بنى النضير طلبات المسلمين بالجلاء عن المدينة وتركها بعد أن وجدوا مناصرة المنافقين ويهود بنى قريظة وقبيلة بنى غطفان وقام يهود بنى النضير بزيادة تحصيناتهم وتخزين المؤن والطعام لكى يحاربوا المسلمين فحاصرهم الرسول ﷺ لمدة عشرين يومًا وأوقف عنهم أى مساعدات وكما هى عادة اليهود مع العالم تخلى يهود بنى قريظة عن مساعدتهم لإخوانهم يهود بنى النضير ووجد يهود بنى النضير أنفسهم وحدهم بعد أن تخلى عنهم المنافقون ويهود بنى قريظة وقبيلة غطفان فطلبوا من الرسول ﷺ الخروج من المدينة وحقن الدماء فوافق الرسول ﷺ لأنه لا يرغب فى إسالة الدماء.

سادساً: من كرم الرسول ﷺ مع يهود بنى النضير الذين وضعوا الخطة لقتله بين ديارهم أنه سمح لليهود بالخروج من المدينة ومعهم كل أموالهم وكل إبلهم وأغنامهم دون أن يمس إحدى نساءهم أو أطفالهم أو شيوخهم رغم أن قوات المسلمين من المهاجرين والأنصار كانت أكثر من عشرات أضعاف يهود بنى النضير وكان باستطاعة القوات الإسلامية أن تقضى على كل يهود بنى النضير ولكن الرسول ﷺ اشترط شرطًا واحدًا هو أن يسلموا أسلحتهم وألا يخرجوا بأسلحتهم حتى لا يعاودوا استخدامها فى محاربة المسلمين وليس يقصد أخذ الأسلحة كغنائم.

سابعًا: يقول المستشرقون إن الهدف الرئيسى من غزوات الرسول ﷺ هو حصول الرسول ﷺ والمسلمين على الغنائم.. وأنا أطرح سؤالاً على المستشرقين.. لو كان الغرض هو الغنائم لاشترط الرسول ﷺ عدم خروج يهود بنى النضير من المدينة إلا بعد تسليم أموالهم وأغنامهم وخيولهم وكل متعلقاتهم ولكنه لم يفعل ذلك رغم أن قوات المسلمين عشرات أضعاف قوة يهود بنى النضير ولكن الغنائم لم تكن هى السبب من غزوة بنى النضير بل كان الهدف منها هو طردهم من المدينة جزاء خيانتهم ومحاولتهم قتل الرسول ﷺ وجزاء خيانتهم ونقضهم لاتفاقية الصحيفة وحتى لا يكونوا خنجرًا فى ظهر المسلمين يبلغون كل أخبارهم لأعدائهم من كفار قريش حتى يستطيع أن يتفرغ الرسول ﷺ للدعوة الإسلامية والدفاع عن الدولة الإسلامية الوليدة وإننى أسأل المستشرقين.. ماذا يفعل أى حاكم فى الدنيا فى أى زمان وأى مكان إذا وجد داخل بلاده طابور خامس يبلغ أعداءه عن كل تحركاته وإذا وجد طابورًا خامسًا يبث الإشاعات داخل دولته لهز الاستقرار الداخلى من المؤكد سوف يفعل كما فعل الرسول ﷺ بإقصاء الطابور الخامس والجواسيس عن بلاده.

ثامنًا: يقول المستشرقون إن أحد أسباب غزوات الرسول ﷺ هو فرض الديانة الإسلامية بقوة السيف وهذا القول غير صحيح مع يهود بنى النضير لأن الرسول ﷺ أبرم معهم اتفاقية الصحيفة لكى يباشروا عقيدتهم الدينية داخل المدينة ذاتها رغم أن الشعائر الدينية اليهودية بها شعائر دينية لا يعترف بها الإسلام مثل

أن الله وهو يهوا عند اليهود إله واحد خاص باليهود وحدهم أو أنهم هم شعب الله المختار وأن الجنة خلقت لهم وحدهم ورغم اختلاف الإسلام عن اليهودية فى هذه التعاليم اليهودية إلا أن الرسول ﷺ سمح لهم أن يباشروا عقائدهم التى يختلف فيها الإسلام مع اليهودية على بعد عدة أمتار من مسجد الرسول ﷺ داخل المدينة، إنها سماحة الإسلام مع الآخر وسماحة الإسلام فى قبول الآخر.

تاسعًا: ويرى المؤلف أن واقعة بنى النضير ليست بغزوة، بل هى جزاء للخيانة وخطة قتل الرسول ﷺ داخل ديار يهود بنى النضير وجزاء عدم التزام اليهود بشروط اتفاقية الصحيفة مع الرسول ﷺ وجزاء انضمام يهود بنى النضير إلى أعداء المسلمين وإعطائهم أخبارهم كجواسيس داخل المدينة.

عاشرًا: يرى المؤلف أن واقعة بنى النضير وليست غزوة بنى النضير تؤكد أن موقف الرسول ﷺ هو الموقف السليم الذى يجب أن يتبعه العرب والمسلمون فى كل زمان ومكان بعدم التهاون فى حقوق العرب والمسلمين فى مواجهة اليهود وعدم إظهار الضعف أمامهم ويجب على الحكام العرب والمسلمين أن يعطوهم حسن الجوار كما فعل الرسول ﷺ فى اتفاقية الصحيفة ولكن إذا نقضوا اتفاقهم فلابد من مواجهتهم حتى يحترموا تعهداتهم لأن احترام العهود والاتفاقات هو أحد سمات الدولة المتحضرة ونقض العهود والاتفاقات أحد سمات البلطجة والقرصنة فقد يئست الشعوب العربية والإسلامية من كثرة توقيعات اليهود على الاتفاقيات وعدم تنفيذها ونقضها من أسلو ١ وأسلو ٢، ومدريد وشرم الشيخ وأخيرًا اتفاقية خريطة الطريق.. هل سيلتزم بها اليهود رغم توقيعهم عليها.. سؤال سوف تجيب عليه الأيام القادمة ولكن إحساس المؤلف أنهم سوف ينقضون اتفاقية خريطة الطريق كما نقضوا اتفاقية الصحيفة مع الرسول.

الحادى عشر: وقد نزلت سورة الحشر فى موقعة بنى النضير فقد ورد بالأية ٢ ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾

ومن سورة الحشر الآية ٢ يقول الله عن يهود بنى النضير ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ وفعلاً لقد خرب يهود بنى النضير بيوتهم بأيديهم ولم يخربها أحد غيرهم بأفعالهم السيئة بأن يضعوا خطة لقتل الرسول ﷺ وأن يتفقوا مع كفار قريش أعداء المسلمين رغم توقيعهم على اتفاقية الصحيفة باعتبار كفار قريش أعداء مشتركين للمسلمين واليهود فى دفاعهم عن المدينة التى يقيمون فيها سويًا وبينهم حسن الجوار.

الثانى عشر: خروج اليهود من المدينة وهم يرقصون وقد تزينت نساؤهم ويدقون الطبل والدفوف يغنون لأنهم لم يصدقوا أنفسهم أن تصل سماحة الرسول ﷺ معهم إلى أن يخرجوا سالمين بكل أموالهم وهم يعلمون ماذا فعلوا للرسول ﷺ من غدر وخيانة وخساسة وكل ما أخذه الرسول ﷺ منهم من غنيمة هو أسلحتهم وهى خمسون درعًا وخمسون خوذة وأربعة وثلاثون سيفًا وهى من الناحية المالية لا تساوى الكثير ولكن الرسول ﷺ أخذها حتى لا يعيد اليهود استخدامها ضد المسلمين مرة أخرى فلو كان الرسول ﷺ يريد الغنائم كما يردد المستشرقون من غزواته لكان أخذ كل أموالهم وذهبهم وفضتهم ونقودهم ومعروف أن يهود بنى النضير كانوا يتاجرون فى سوق الصاغة ولديهم من الذهب والفضة الكثير، فهذا الذهب والفضة هو أصل تجارتهم فلو أن القضية بالنسبة للرسول ﷺ الغنائم لكان أخذ كل ما يحملونه من ذهب وفضة وأحجار كريمة ولكنه تركهم يرحلون بكل هذه المصوغات من الذهب والفضة والأحجار الكريمة ويرحلون إلى أذرعات على حدود الشام وإلى خيبر ومعهم كل هذه الأموال لذلك فإنى أسأل المستشرقين.. ألم يكن فى استطاعة الرسول ﷺ أخذ كل هذه المصوغات الذهبية والفضية والأحجار الكريمة التى يتاجرون فيها ولكن حقدكم على الإسلام أعماكم وجعلكم لا ترون الحقيقة.

الثالث عشر: وقد كانت غزوة بنى النضير بعد ستة أشهر من غزوة أحد التى خان فيها يهود بنى النضير المسلمين ولم يشتركوا معهم فيها رغم أنها وقعت يوم الجمعة ١٧ من رمضان فى العام الثانى من الهجرة فى ٦٢٤م وفى ذلك تقول عائشة رضى الله عنها «كانت غزوة بنى النضير وهم طائفة من اليهود على رأس

ستة أشهر من غزوة أحد وكانت منازلهم ونخلهم بناحية المدينة يحاصرهم الرسول ﷺ حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل والأمتعة والأموال إلا الحلقة - يعنى السلاح» ومن قول عائشة فى صحيح البخارى وصحيح مسلم إنهم خرجوا بكل أمتعتهم وكل أموالهم إلا السلاح ولذلك يرى المؤلف أن الرسول ﷺ كان رحيمًا مع يهود بنى النضير يخططون لقتله ويناصرون أعداءه ويتركهم بكل أموالهم رغم قدرته على أخذها، إننا أمام نموذج من البشر لا أستطيع أن أجد من الألفاظ التى تعبر عن رحمة الرسول ﷺ بأعدائه، يخططون لقتله ويتركهم إن المثل العربى الذى يقول «العفو عند المقدرة» يتجلى فى تصرفات الرسول ﷺ مع أعدائه من يهود بنى النضير.

الرابع عشر: كان وجود يهود بنى النضير داخل المدينة خطر على الدعوة الإسلامية فى مهدها لأنهم كانوا دائمًا يثيرون المشاكل والوقيعة بين الأنصار والمهاجرين وكانوا يشككون فى الرسالة المحمدية وتناول سيرة الرسول ﷺ وتصرفاته بالغمز واللمز وكان على رأس المشككين والمتهجمين على الرسالة المحمدية وعلى الرسول ﷺ من يهود بنى النضير حيى بن أخطب وأخوه ياسر بن أخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع وكعب بن أشرف، لذلك يرى المؤلف أن إجلاء يهود بنى النضير عن المدينة كان خطوة موفقة من الرسول ﷺ حتى يتفرغ الرسول ﷺ والمسلمون من المهاجرين والأنصار للدعوة الإسلامية بلا جواسيس داخل مدينتهم وعاصمة الدولة الإسلامية المدينة.

الفصل الخامس
غــــزوة الخندق
فى شوال من العام الخامس من الهجرة عام ٦٢٦م

وسوف نتناول غزوة الخندق وهى من أكبر الغزوات فى التاريخ الإسلامى فى مبحثين على النحو التالى تفصيلاً:

المبحث الأول: غزوة الخندق.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى غزوة الخندق.

وسوف نتناول ذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول
غــــزوة الخندق

أولاً: قبل غزوة الخندق التى حدثت فى شوال من العام الخامس من الهجرة فى ٦٢٦م حدثت بعض الغزوات الصغيرة قبلها، نذكر بعضها كما ترويها كتب السيرة فى عجالة شديدة وهى:

١ ـ غزوة بدر الأخرى: فى شعبان من العام الرابع من الهجرة فى عام ٦٢٥م وقد خرج الرسول ﷺ فى الموعد الذى وعده لأبى سفيان فى موقعة بدر فى العام الماضى بأنهم سوف يلتقون فى بدر وخرج الرسول ﷺ فى شعبان إلى بدر فى انتظار قوات أبى سفيان وجلس الرسول ﷺ وقواته ثمانية أيام فى انتظار أبى

سفيان وكفار قريش لأخذ جزء من حقوق المسلمين لدى كفار قريش ولكن أبا سفيان بعد أن خرج بقواته من مكة متوجهًا لبدر عاد مرة أخرى إلى مكة بحجة أن ذلك العام ليس عامًا خصبًا يترعرع فيه الشجر ويشربون فيه اللبن بل هو عام جدب وانتظر الرسول ﷺ أبا سفيان فى بدر ولكنه لم يأت وبذلك لم يحدث اشتباك فى هذه الغزوة ولا أعرف كيف تسمى غزوة ولم يحدث فيها أى اشتباك عسكرى ولم يحدث فيها أى انتقال لقوات كفار قريش.

٢ ـ غزوة دومة الجندل فى شهر ربيع الأول من السنة الخامسة الهجرية ٦٢٦م تحرك الرسول ﷺ بقواته فى ربيع الأول إلى دومة الجندل ثم رجع قبل أن يصل إليها ولم يحدث اشتباك مع أحد وكيف تسمى غزوة لقد تحرك الرسول ﷺ إلى دومة الجندل وعاد.. أين هو الغزو وأين هو الاشتباك.. لا أدرى كيف تسمى هذه غزوة؟؟..

ثانيًا: بعد أن زادت قوة المسلمين تكاتف يهود بنى قينقاع ويهود بنى قريظة وبنى النضير، لذلك حرض اليهود كفار قريش بالوقوف إلى جانبهم فى المعارك القادمة ووعدوا الأحزاب بأنهم معهم حتى يقضوا على المسلمين، وحرضوا قبائل أخرى بالانضمام إلى كفار قريش على أن يساعدهم اليهود وكانت القبائل التى استجابت لنداء اليهود وتحريضهم بالانضمام إلى كفار قريش هى قبائل غطفان وسليم وأشجع وفزارة وسعد وأسد وتكون من هذه القبائل ما يسمى بالأحزاب على أن يساعدهم اليهود وبلغت قوات الأحزاب ما يقرب من عشرة آلاف مقاتل توجهت تحت قيادة أبى سفيان نحو المدينة للقضاء على الرسول ﷺ والدعوة الإسلامية وكانت قوات المسلمين حوالى ثلاثة آلاف مقاتل وبدأت موقعة الخندق فى شوال العام الخامس من الهجرة ٦٢٦م.

ثالثًا: علم الرسول ﷺ بقدوم قوات الأحزاب عن طريق جهازه الاستخباراتى الذى تعود أن يرسله لمعرفة أخبار قريش وتشاور مع المهاجرين والأنصار فكان رأى الرسول ﷺ أن يدافع عن المدينة من داخلها لاستغلال موقعها الجغرافى حيث إنها محصنة من جميع الجهات ما عدا الشمال غير محصنة ويتوقع أن

تكون الغزوة القادمة من الشمال فهى من ناحية الشرق بها صخور بركانية ومن الجنوب الغربى بها بساتين النخيل وجبل الوبرة ومن ناحية الجنوب يوجد جبل سلع والجهة الوحيدة الممهدة والصالحة للهجوم هى الجهة الشمالية وكان من رأى سلمان الفارسى عمل خندق من جهة الشمال لمنع الخيول والجنود من اجتيازه للدخول فى المدينة وهذا ما أخذ به الرسول ﷺ وتم حفر الخندق ويشارك الرسول ﷺ المهاجرين والأنصار فى حفر الخندق وكان طوله ٤ كيلو متر وعرضه ستة أمتار وعمق خمسة أمتار واتخذ المسلمون مواقع دفاعية خلف تحصينات الخندق.

المبحث الثانى:
رأى المؤلف فى غزوة الخندق

أولاً: وعندما وصلت قوات كفار قريش للمدينة بعد أن ساروا مسافة خمسمائة وعشرين كيلو متر صدموا ودهشوا مما شاهدوه فلم يستطيعوا دخول المدينة وهذه هى أول مرة فى تاريخ الحروب فى شبه الجزيرة تدخل الخنادق فى الخطط العسكرية ويتم عمل خندق بهذا الطول والعرض والعمق فعسكرت قوات الأحزاب خلف الخندق.

ثانيًا: وأظهر اليهود خيانتهم فى عدم التعاون مع المسلمين والدفاع عن المدينة كما ينص عقد الصحيفة فأصبح المسلمون فى فكى كماشة قوات الأحزاب خلف الخندق والمنافقون معهم بقيادة ابن سلول داخل المدينة والجميع اتفقوا على القضاء على المسلمين والرسول ﷺ وخوفًا من غدر اليهود من بنى قريظة على بعد عدة أمتار من المدينة والمنافقين داخل المدينة فى أن يطعنوا المسلمين فى ظهرهم، أقام الرسول ﷺ مجموعتين إحداهما بقيادة سلمة بن أسلم والثانية زيد بن حارثة ومعهم خمسمائة رجل من أجل حماية الجبهة الداخلية بالمدينة وحماية الأطفال والنساء والشيوخ من غدر المنافقين واليهود وعمل نقط حراسة داخل

المدينة لتوقع الغدر من يهود خارج المدينة من بنى قريظة والمنافقين داخل المدينة.

ثالثًا: وكان كفار الأحزاب فى شمال المدينة خلف الخندق يحاولون إيجاد وسيلة لعبور الخندق واقتحام المدينة ليدخلوها ويساعدهم اليهود من خارج المدينة كما وعدوهم بالقضاء على محمد ﷺ ورجاله وكان كل من يحاول عبور الخندق بفرسه يهوى بداخله، فاكتفى أبو سفيان وقواته بالتمركز خلف الخندق لحصار المدينة ومنع الطعام عنها وكان وقت الحصار شتاءًا والبرد قارص وبعث الله بعاصفة شديدة رافقها المطر الغزير لتقتلع خيام قوات الأحزاب ويطير أوتاد خيامهم ويطير فى الهواء قماش خيامهم ويصبح جنود الأحزاب فى العراء وإذا بالهواء الشديد مع المطر الغزير يطفئ قدور جنود الأحزاب فيتعطل طهى طعامهم وإعداد طعامهم مما يدعو جنود الكفار للتذمر ويلقى الرعب فى نفوسهم وقد ورد ذلك فى سورة الأحزاب آية ٩ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

رابعًا: وأمام هذا الوضع المتدهور لكفار قريش ومناصريهم أمر أبو سفيان قائد القوات الكافرة أن ينسحبوا إلى مكة بعد أن تكاتفت الطبيعة وأظهرت أنيابها لهم وهم فى الصحراء والخيام تتطاير والخيول يعلو تذمرها ونفورها وصهيلها من شدة البرد والجنود يتذمرون من عدم إعداد الطعام.

خامسًا: وقد خسر كفار قريش أربعة أشخاص حاولوا عبور الخندق وقبروا فيه مع خيولهم وسقط من المسلمين ستة شهداء أصيبوا بسهام كفار قريش خلف الخندق.

سادسًا: لقد قام اليهود سلام بن أبى الحقيق النضرى وحيى بن أخطب النضرى وكنانة بن الربيع بنى أبى الحقيق النضرى وهوذة بن قيس الوائلى وأبو عمار الوائلى مع بعض اليهود من بنى النضير وبعض اليهود من بنى وائل وهم كما تقول كتب السيرة وخاصة سيرة ابن اسحق وابن هشام هؤلاء اليهود هم الذين حزبوا الأحزاب لكى يتفقوا على محاربة الرسول ﷺ وقد وعدوا كفار قريش

بمساعدتهم على القضاء على محمد ﷺ وأتباعه ومساعدة كل الأحزاب وقد قال كفار قريش لليهود: «يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد.. أفديننا خير أم دينه؟» قال اليهود «بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه» ويرى المؤلف أن اليهود وصلوا فى قضية رغبتهم فى القضاء على محمد ﷺ وأتباعه إلى درجة اللامعقول، فقد حزبوا القبائل وتولوا مساعدتهم والصرف المالى على حملاتهم العسكرية ورغم أنهم أصحاب دين سماوى يؤمن بالله الواحد مثلهم مثل المسلمين إلا أنهم أخبروا كفار قريش أن دين كفار قريش الذى يقوم على عبادة الأصنام والأوثان والحجارة والزلط والحجر الجيرى أفضل من دين محمد ﷺ الذى يقوم على عبادة الله الواحد خالق السماوات والأرض.. فهذا طابع اليهود دائمًا يتلونون فى كل زمان ومكان طبقًا لمصلحتهم الشخصية فقط وطبعًا اليهود قالوا ذلك لكفار قريش لإرضائهم حتى يحفزونهم لقتال المسلمين.

سابعًا: هؤلاء اليهود هم بأنفسهم الذين وقعوا على عقد الصحيفة وعقد الأمان لهم لمباشرة حقوقهم الدينية وشعائرهم الدينية وأن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وأنهم عقدوا تحالفًا عسكريًا مع الرسول ﷺ للدفاع عن المدينة ولكن الغدر طابعهم وجزء من تركيبتهم النفسية والغدر يجرى فى عروقهم مع دمائهم لذلك توجهوا إلى أعداء الرسول ﷺ يناصرون الأحزاب وكفار قريش والسؤال الذى يطرح نفسه هل تغير وضع اليهود وتركيبة اليهود النفسية وهى الجرى خلف مصلحتهم الشخصية والغدر بكل من يحيط بهم فى سبيل مصلحتهم الشخصية وأنهم لا يراعون أى اتفاقيات يوقعون عليها وعند التوقيع على أى اتفاقية يمسحون توقيعهم بعد عدة أيام، إن ما يحدث فى فلسطين اليوم فيه خير دليل للإجابة على ذلك السؤال...

ثامنًا: بعد اتفاقية الغدر، بعد اتفاقية الخيانة، بعد اتفاقية التدنى بين اليهود وكفار قريش عقدوا اتفاقية غدر أخرى بين اليهود وقبيلة غطفان لمحاربة الرسول ﷺ ومساعدة اليهود فى ذلك فخرج أبو سفيان قائد قوات كفار قريش وخرج

عيينة بن حصن قائد قوات قبيلة غطفان من بنى فزارة وخرج كذلك الحارث ابن عوف بن أبى حارثة المرى قائد قوات بنى مرة ومسعرة بن رخيلة قائد قوات بنى أشجع وكانت كل هذه القوات تحت رئاسة أبى سفيان قائد قوات كفار قريش وخرجت وتجمعت هذه الجيوش الجرارة لهدف واحد قتل الرسول ﷺ والمسلمين.

تاسعاً: سارت هذه الجيوش الجرارة مسافة خمسمائة وعشرين كيلو متر حتى وصلوا إلى المدينة فى طرق غاية فى الصعوبة والرسول ﷺ والمسلمون داخل المدينة يدافعون عنها من هذه الجيوش الجرارة.. لذلك سؤال لابد له من إجابة تخاطب العقل السليم.. كيف نطلق على واقعة الخندق غزوة الخندق والمستشرقون فى الغرب يرددون ما يقوله المسلمون غزوة الخندق... من الذى غزا من.. المسلمون داخل المدينة يدافعون عنها كيف نقول إنهم غزاة.. أنهم لم يتحركوا من مدينتهم.. كيف يكونون غزاة فى غزوة الخندق ألا ترى معى أيها القارئ العزيز سواء كنت مسلماً أو مسيحياً أنه من الظلم وجلد للذات أن نطلق على كل الغزوات الكبرى أنها غزوات بل حقيقة الأمر، بلا تعصب أن غزوة بدر كانت لأخذ حقوق المسلمين وغزوة أحد وغزوة الخندق كانت للدفاع عن النفس لأن المسلمين كانوا يدافعون عن المدينة وأتت قوات كفار قريش من مكة إلى المدينة مسافة خمسمائة وعشرين كيلو متراً.

عاشراً: عندما حضرت هذه الجيوش الجرارة ووجدت فى شمال المدينة ذلك الخندق الذى بناه المسلمون للدفاع عن مدينتهم قام حيى بن أخطب النضرى زعيم يهود بنى قريظة الذين يقيمون على بعد ثمانية أميال من المدينة وعاهد أبا سفيان وكفار قريش بالمساعدة رغم أنه يوجد عهد ومناصرة بين يهود بنى قريظة والرسول ﷺ وهو عقد الصحيفة ولكن هذه هى طبيعة اليهود ينقضون العهود ويوقعون على عهود أخرى، المهم مصلحتهم الشخصية فقط وعندما علم الرسول ﷺ بعقد الغدر واتفاقية الخساسة بين يهود بنى قريظة وكفار قريش أرسل لهم سعد بن معاذ بن النعمان سيد الأوس وسعد بن عبادة ابن دليم سيد الخزرج لمقابلة أشراف يهود بنى قريظة لتذكيرهم باتفاقية الصحيفة معهم وأن عليهم

الالتزام بمساندة المسلمين فى مواجهة كفار قريش وخاصة إرسال الطعام للأطفال والمرضى والشيوخ داخل المدينة لأن الحصار قد يطول بسبب وجود الخندق وعندما قابل مندوبى الرسول ﷺ أشراف يهود بنى قريظة قالوا لهم: «من هو رسول الله هذا.. لا عهد بيننا وبين محمد» وأعلنوا تخليهم عن المسلمين وانضمامهم إلى أعداء المسلمين من الأحزاب وكفار قريش وعاد مندوبا الرسول ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان وسعد بن عبادة ابن ديلم فقال الرسول ﷺ «الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين».

سؤال لابد أن يجيب عليه القارئ بنفسه أيًا كانت ملته.. هل يوجد خساسة وغدر أكثر مما فعله يهود بنى قريظة؟؟..

الحادى عشر: وأمام خسة اليهود كان الرسول ﷺ بما له من حنكة سياسية فى التعامل مع اليهود قام الرسول ﷺ بإحضار نعيم بن مسعود وهو يهودى من بنى قريظة وقد أسلم وأهل قبيلته لا يعرفون ذلك وقال له «إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة» ومعنى ذلك أن يتوجه إلى بنى قريظة ليفرق بينهم وبين كفار قريش فى التعاون بينهم وفعلاً توجه نعيم بن مسعود إلى أقاربه أشراف بنى قريظة، وتحدث معهم وأخبرهم أن كفار قريش وغطفان جاءوا لمحاربة محمد ﷺ وأصحابه وقد تعاهدتم معهم على المساعدة وبعد الحرب سوف يعود كفار قريش وغطفان إلى بلادهم ويتركوكم فريسة فى أيدى المسلمين وأنتم لا طائل لكم بالمسلمين.. لذلك لا تحاربوا مع كفار قريش وغطفان إلا إذا أخذتم رهينة من أشرافهم بأنهم سوف يساعدونكم فى أى حرب ضد محمد وأصحابه وفعلاً اقتنع أشراف يهود بنى قريظة بذلك وأرسلوا إلى أبى سفيان بن حرب قائد قوات الأحزاب وطلبوا منه رهينة ولكن أبا سفيان رفض ترك رهينة من أشراف قريش لأن نعيم ذهب إليه وقال له: إن بنى قريظة ندموا على خيانة العهد وسيطلبون عشرة من رجالكم ليسلموهم لمحمد ليرضى عنهم. وبذلك بالخبرة السياسية والحنكة لدى الرسول ﷺ انفض التحالف بين يهود بنى قريظة وكفار قريش بالحيلة، وكذلك رفض يهود بنى قريظة إرسال أى مساعدات

أو طعام للمسلمين طوال فترة حصار الخندق التى استمرت ما يقرب من شهر ورفضوا إ رسال طعام لأطفال ونساء وشيوخ المسلمين إلى أن أتت المعجزة الإلهية بنزول المطر والصقيع والرياح الشديدة وانهدام الخيام وصرير الخيول من شدة البرد ومرضت بعض القوات من قوات كفار قريش حتى اتخذ أبو سفيان قرار الرحيل والعودة إلى مكة بعد أن هزمته القدرة الإلهية ثم ذكاء الرسول ﷺ والمسلمين ببناء الخندق وكان انتصار الخندق واقعة جعلت كل القبائل العربية فى شبه الجزيرة العربية تتحدث بفخر عن هذه القوة الناشئة الإسلامية فى شبه الجزيرة العربية.

الباب الخامس
الغزوات والوقائع قبل صلح الحديبية

سوف نتناول الغزوات والوقائع قبل صلح الحديبية فى الفصول الآتية على النحو التالى تفصيلاً:

الفصل الأول: غزوة يهود بنى قريظة ومصيرهم.

الفصل الثانى: غزوة بنى المصطلق.

الفصل الثالث: خبر الإفك بعد غزوة بنى المصطلق.

الفصل الرابع: صلح الحديبية وأسبابه.

وسوف نتناول ذلك على النحو التالى تفصيلاً..

الفصل الأول
غزوة يهود بنى قريظة ومصيرهم

سوف نتحدث عن غزوة يهود بنى قريظة ومصيرهم فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: غزوة يهود بنى قريظة ومصيرهم.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى غزوة يهود بنى قريظة ومصيرهم وذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول
غزوة يهود بنى قريظة ومصيرهم
ذو القعدة ـ ذو الحجة العام الخامس الهجرى ٦٢٦م

أولاً: فى موقعة الخندق التى حدثت فى شوال من العام الخامس من الهجرة فى عام ٦٢٦م تحالف يهود بنى قريظة مع الأحزاب المتضامنين مع كفار قريش بقيادة أبى سفيان وساعدوا قوات كفار قريش والأحزاب ضد المسلمين داخل المدينة رغم وجود اتفاقية الصحيفة بين المسلمين ويهود بنى قريظة التى تقضى بأن يقف يهود بنى قريظة إلى جانب المسلمين ضد كفار قريش وحلفائهم.

ثانياً: وحتى يحافظ الرسول ﷺ على بنود اتفاقية الصحيفة ويحافظ يهود بنى قريظة على تعهدهم بالوقوف إلى جوار المسلمين فى حربهم ضد كفار قريش وحلفائهم لذلك أرسل الرسول ﷺ إليهم رسولين وهما سعد بن معاذ سيد الأوس

وسعد بن عبادة سيد الخزرج لكى يقابلوا كعب بن أسد سيد يهود بنى قريظة ولكن الذى حدث أن كعب بن أسد زعيم اليهود سخر من الرسولين اللذين أرسلهما الرسول ﷺ واستهان بعقد الصحيفة المبرم بين اليهود والمسلمين.

ثالثًا: وأثناء حصار الأحزاب للمدينة لأكثر من شهر من ذى القعدة إلى ذى الحجة فى العام الخامس للهجرة ٦٢٦م وقف يهود بنى قريظة موقف كله نذالة من المسلمين لأن المدينة كانت محاصرة من كل الجوانب، الخندق ويقف خلفه قوات كفار قريش والأحزاب والجبال حول بقية الجهات وقام يهود بنى قريظة بقطع المؤن وإمدادات الطعام عن الأطفال والشيوخ والنساء من المسلمين داخل المدينة وهم يعلمون أن الحصار سوف يطول حول المدينة لأن الخندق جعل كفار قريش لا يستطيعون دخول المدينة وكان غرض يهود بنى قريظة أن يموت أطفال المسلمين وشيوخهم ونساؤهم ورجالهم جوعًا.

رابعًا: وما فعله يهود بنى قريظة يناقض اتفاق الصحيفة معهم لأنه بموجب هذا الاتفاق كان يجب انضمام يهود بنى قريظة إلى المسلمين فى حربهم ضد كفار قريش والأحزاب ولكنهم فعلوا العكس تمامًا بل قدموا المساعدات والمؤن والطعام لكفار قريش.

خامسًا: بعد انسحاب أبى سفيان وقوات الأحزاب من أمام المدينة كان لابد للرسول ﷺ أن يتخذ موقفًا حاسمًا مع يهود بنى قريظة لمحاولتهم قتل المسلمين جوعًا فتوجه إليهم ومعه ثلاثة آلاف مقاتل وستة وثلاثين فارسًا وحاصرهم لمدة خمسة وعشرين يومًا بعد انتصار المسلمين فى موقعة الخندق ونظرًا لطول فترة حصار يهود بنى قريظة طلبوا أن يرحلوا كما حدث مع يهود بنى قينقاع ويهود بنى النضير ولكن الرسول ﷺ رفض ذلك فاختار اليهود والمسلمون سعد بن معاذ أن يحكم بينهم وهو سيد الأوس وقام بأخذ المواثيق من اليهود والمسلمين أن ينفذوا حكمه وكان حكمه لبشاعة ما فعله اليهود من بنى قريظة بالمسلمين هو أن يقتل كل الرجال وسبى الذرارى والنساء وتقسيم أموالهم.

المبحث الثانى
رأى المؤلف فى غزوة يهود بنى قريظة ومصيرهم

أولاً: غزوة بنى قريظة ليست غزوة بل هى حكم على يهود بنى قريظة، حكم به سعد بن معاذ بعد أن ارتضى حكمه كل من المسلمين واليهود وأخذ المواثيق على الطرفين أن ينفذوا حكمه ونظرًا لبشاعة تصرفات يهود بنى قريظة تجاه المسلمين ومحاولتهم قتل نساء وأطفال وشيوخ المسلمين جوعًا.

ثانياً: كان القضاء على يهود بنى قريظة الذى حكم به الحكم سعد بن معاذ بقتل الرجال وسبى النساء وتقسيم الأموال لأن اليهود خانوا العهد المبرم مع الرسول ﷺ وهو اتفاق الصحيفة وبدلاً من أن يقفوا مع الرسول ﷺ والمسلمين وقفوا مع أعدائه وساعدوا أعدائه من كفار قريش والأحزاب رغم أنهم كانوا على بعد ثمانية أميال من المدينة يستطيعون مدها بالطعام.

ثالثاً: وقام المسلمون بحفر حفرة على مقربة من المدينة تنفيذًا للحكم وقاموا بقتل سبعمائة رجل من يهود بنى قريظة تنفيذًا لحكم سعد بن معاذ وكان على رأس الذين قتلوا كعب بن أسد سيد يهود بنى قريظة.

رابعاً: وقد كان حكم سعد بن معاذ سبى النساء وتقسيم الأموال وقد تم تقسيم النساء ومنع الرسول ﷺ التفرقة بين الأم وولدها فى السبايا وبين الأخوة حتى يبلغوا.

خامساً: توجه الرسول ﷺ لمعاقبة يهود بنى قريظة مباشرة إثر انسحاب قوات الأحزاب وكفار قريش من أمام المدينة لأن موقعة الأحزاب كانت فى شوال من العام الخامس للهجرة فى ٦٢٦م وموقعة بنى قريظة فى الشهر التالى، ذى القعدة من العام الخامس من الهجرة فى ٦٢٦م.

سادساً: كان سعد بن معاذ الذى حكم على يهود بنى قريظة قد أصيب برمح من كفار قريش فى موقعة الخندق وتوفى بعد ذلك بعد موقعة يهود بنى قريظة متأثرًا بجراحه.

سابعًا: غزوة بنى قريظة لم تكن للحصول على الغنائم كما يدعى المستشرقون ولكن كانت نتيجة خيانة اليهود لاتفاق الصحيفة ووقوفهم بجوار أعداء المسلمين ضد المسلمين رغم تعهدهم فى اتفاق الصحيفة بغير ذلك وقد غنم المسلمون ألف وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع وألف رمح وخمسمائة ترس فتم إضافتهم للقوة العسكرية الإسلامية.

ثامنًا: بعد أن تم القضاء على يهود بنى قريظة ومن قبلها ترحيل يهود بنى قينقاع وبنى النضير أصبحت عاصمة الدولة الإسلامية المدينة خالية من الخونة والجواسيس لأول مرة فلم يصبح هناك جواسيس يعطون أخبار المسلمين لأعدائهم من كفار قريش ويخبرونهم عن استعداداتهم وتحركاتهم كما لو كانت تحركات واستعدادات المسلمين كتابًا مفتوحًا أمام كفار قريش بفضل جاسوسية اليهود داخل المدينة وخارجها.

تاسعًا: كان يهود بنى قريظة وعلى رأسهم كعب بن أسد والزبير بن باطا بن وهب يشككون فى الإسلام وفى الرسول ويخلقون الفتن بين الأنصار والمهاجرين فكان جلاؤهم من المدينة وضواحيها المجاورة ضرورة أمن وضرورة استقرار.

عاشرًا: جاء إلى الرسول ﷺ جبريل كما تقول كتب السيرة النبوية بعد انتهاء موقعة الخندق وقال جبريل للرسول ﷺ إن الملائكة لم تضع السلاح - لأنها كانت تحارب مع المسلمين - أخرج إليهم وأشار إلى بنى قريظة لأنهم نقضوا العهد والميثاق وانضموا إلى المشركين من قريش والأحزاب وغيرهم لمحاربة المسلمين، لذلك خرج الرسول ﷺ على الفور وأمر المؤذن أن يؤذن «من كان سامعًا فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة» وخرج الرسول فى موكبه من المهاجرين والأنصار ونزل بجوار بئر من آبار بنى قريظة وهو بئر «أنا» وكان قائد القوات الإسلامية تحت إشراف الرسول عليًا بن أبى طالب وترك الرسول ﷺ بالمدينة ليحكم بها أثناء غيابه ابن أم مكتوم وحاصر الرسول ﷺ وقواته بنى قريظة ما يقرب من شهر من ذى القعدة إلى ذى الحجة العام الخامس للهجرة ٦٢٦م لكى يقطع عنهم الطعام كمل فعلوا معه فى موقعة الخندق قبلها بشهر واحد.

الحادى عشر: كان يمكن للرسول ﷺ أن يدخل بنى قريظة عنوة وبالقتال لأن القوات الإسلامية كان أضعاف أضعاف قوات بنى قريظة ولكن الرسول ﷺ رضى بحكم سعد بن معاذ بعد أن طلب يهود بنى قريظة أبا لبابة بن المنذر وهو من الأنصار من الأوس ليستشيره يهود بنى قريظة فى أمرهم فأرسله الرسول ﷺ لهم فاستشاروه واتفق اليهود والمسلمون على حكم سعد بن معاذ وهو رجل كبير فى السن ومعروف عنه الوقار وأنه لا يتبع إلا ضميره وضميره حى لا يرضى أن يظلم أحدًا لذلك وافق عليه المسلمون واليهود وحملوه على حمار لكبر سنه لكى يتوجه ليحكم بين المسلمين واليهود بالعدل المعروف عنه وأخذ المواثيق من المسلمين واليهود وأصدر حكم العدل بقتل الرجال من يهود بنى قريظة وسبى الذرية والنساء وتقسيم الأموال نظير بشاعة أفعال يهود بنى قريظة ونقضهم عقد واتفاقية الصحيفة وبعد أن حكم سعد بن معاذ بذلك قال الرسول ﷺ له «لقد حكمت فيهم حكم الله يا سعد».

الثانى عشر: لم تكن غزوة بنى قريظة بل كانت حكم جزاء أفعال اليهود الخائنين الذين خانوا المسلمين فى أشد أوقات الضيق والمحنة بمنع الطعام فى موقعة الخندق لقتل الأطفال والنساء ومساعدة أعداء المسلمين ونقض العهود والمواثيق والتخلى عن حلفائهم المسلمين فى أوقات الأزمات.

الثالث عشر: ومن حديث عن أنس بن مالك أن الرسول ﷺ قال «والذى نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا» وهذا يعنى أن سعد بن معاذ أحد الموعودين بالجنة لما صنعه من أجل المسلمين من اتحاد الأوس والخزرج فى جبهة الأنصار ووقوفهم مع المهاجرين من أجل نصرة القضية الإسلامية ضد كل كفار قريش ومناصرة الدعوة الإسلامية فى مهدها.

الرابع عشر: كما سبق أن ذكرنا أن غزوة يهود بنى قريظة لم تكن برغبة الرسول ﷺ بل هى أمر إلهى نزل من عند الله على يد جبريل فقد قال جبريل للرسول ﷺ «إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة» وهل يستطيع الرسول ﷺ أن لا ينفذ أمرًا إلهيًا صادرًا من الله بواسطة جبريل، إن الله العلى هو العالم بكل شىء ومن مصلحة الدعوة الإسلامية إجلاء يهود بنى قريظة الخونة.

الخامس عشر: بعد أن حاصر المسلمون حصون يهود بنى قريظة لمدة خمسة وعشرين ليلة اجتمع بهم حيى بن أخطب وكعب بن أسد وقالوا لهم يا معشر اليهود إننا نعرض عليكم ثلاثة فخذوا ما شئتم قالوا وما هى؟ قال نتبع محمداً ونصدقه أى تقومون باتباع الإسلام فتأمنون دماءكم وأموالكم وأبناءكم ونساءكم قالوا لا نفارق حكم التوراة أبدًا ولا نستبدل بالتوراة غيرها. قالوا فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج لمحمد وأصحابه رجالاً نحمل السيوف ولا نترك خلفنا شيئًا حتى نواجه محمدًا ورجاله، فإما أن نهلك أو نهلكه قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير لعيش بعدهم قالوا إن الليلة ليلة السبت وفى ذلك اليوم سوف يأمن محمد وأصحابه لنا ونخرج عليهم ونصيبهم على غرة قالوا لن نفسد شيئًا واختلفوا جميعًا وبعد مشاورات بين يهود بنى قريظة اتفقوا أن يطلبوا من الرسول ﷺ أن يرسل إليهم أبا لبابة بن عبد المنذر ليستشيروه فى أمرهم فأرسله الرسول ﷺ لهم واستشاروه وكان حكمه أن يوافقوا على حكم الرسول ﷺ وارتضى اليهود والرسول ﷺ بحكم سعد بن معاذ.

الفصل الثانى
غزوة بنى المصطلق
شعبان العام السادس للهجرة ٦٢٧م

سوف نتناول غزوة بنى المصطلق فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: غزوة يهود بنى المصطلق.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى غزوة يهود بنى المصطلق.

وذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول
غزوة بنى المصطلق
شعبان العام السادس للهجرة ٦٢٧م

أولاً: غزوة بنى المصطلق كانت فى شعبان من السنة السادسة للهجرة فى عام ٦٢٧م وقد علم الرسول ﷺ أن قبيلة بنى المصطلق يجمعون ويعدون العدة والعتاد والأسلحة لمهاجمة المسلمين ومحاربة المسلمين، لذلك خرج الرسول ﷺ ومعه الأنصار والمهاجرون وهذه أول مرة يخرج بعض المنافقين مع الرسول ﷺ فى أى غزوة.

ثانياً: وأثناء سير الرسول ﷺ وقواته إلى بنى المصطلق تقابل مع جاسوس أرسلته قبيلة بنى المصطلق للتعرف على تحركات المسلمين وقواتهم واستعداداتهم

فتم قتله لأنه رفض أن يبلغ المسلمين عن استعداد اليهود من بنى المصطلق وبعد ذلك تقابل جيش المسلمين مع جيش يهود بنى المصطلق عند بئر ملك ليهود بنى المصطلق يطلق عليها ماء المريسيع وقد انتصرت القوات الإسلامية على قوات يهود بنى المصطلق وقد بلغ عدد القتلى من اليهود عشرة آلاف والأسرى سبعمائة أسير من الرجال والنساء والأولاد وغنم المسلمون الكثير من السلاح والغنم والخيول.

المبحث الثانى
رأى المؤلف فى غزوة بنى المصطلق

أولاً: إن هذه ليست غزوة بالمعنى المتعارف عليه لغويًا للغزو بل هى موقعة دفاع عن النفس لأن الرسول ﷺ علم باستعدادات يهود بنى المصطلق العسكرية والإعداد لحملة عسكرية لغزو المدينة وقتال المسلمين على غرة وكان من حنكة الرسول ﷺ أن يتوجه لغزوهم لأن الهجوم خير وسيلة للدفاع ولذلك فإن غزوة بنى المصطلق ليست غزوة بل هى دفاع عن النفس قبل أن تأخذ القوات الإسلامية على غرة وفى مفاجأة دون أن تكون القوات الإسلامية مستعدة لذلك.

ثانياً: وقد قامت هذه الواقعة فى شهر شعبان من العام السادس للهجرة أى فى عام ٦٢٧م فقد قام قائد وزعيم بنى المصطلق الحارث بن أبى ضرار بجمع القوات والسلاح والعدة والعتاد للإعداد لقتال المسلمين والقضاء عليهم فعندما علم الرسول ﷺ بذلك توجه لملاقاتهم عند بئر المريسيع وانتصر عليهم.

ثالثًا: بعد انتصار المسلمين على يهود بنى المصطلق أشعل المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبى بن سلول الفتنة بين المهاجرين والأنصار ليضربوا الاستقرار الداخلى فى الدولة الإسلامية فقد وقع خلاف حول بئر ماء لأجير لعمر بن الخطاب وحليف لبنى الخزرج فتشاجر أجير عمر بن الخطاب وواحد من الخزرج فاستعان أجير عمر بن الخطاب بالمهاجرين واستعان الآخر بالأنصار

وغذى هذه النعرة للوقيعة بين المهاجرين والأنصار المنافقون وكاد النزاع والقتال أن يقع بين المهاجرين والأنصار وعندما علم الرسول ﷺ بذلك تدخل بين المهاجرين والأنصار وهدأت الفتنة التى أثارها المنافقون واصطلح الرجلان وتصافوا فيما بينهم.

رابعًا: كان من بين الأسرى التى تم تقسيمهم وقعت جويرية بنت الحارث وهى ابنة زعيم اليهود فى بنى المصطلق فى نصيب ثابت بن قيس بن الشماسى ولكنها أحست بذل الحياء فقد أصبحت أسيرة بعد أن كانت سيدة قومها فقد كانت ابنة الحارث بن أبى ضرار سيد وزعيم قبيلة بنى المصطلق وقد استعانت بالرسول ﷺ ليرفع الذل عنها وتزوجها الرسول ﷺ، فعندما عرف المسلمون أن الرسول ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث زعيم يهود بنى المصطلق أعتقوا جميع الأسرى من نساء القبيلة قائلين لا يجوز أن تبقى أصهار رسول الله ﷺ فى أيدينا وعندما شاهدوا حسن معاملة المسلمين لهم أسلم جميع الأسرى بما فيهم زعيم يهود بنى المصطلق بن الحارث.

خامسًا: بعد أن وقع نصيب جويرية بنت الحارث فى الأسر من نصيب ثابت بن قيس كاتبته على نفسها أى تعهدت بدفع فدية من المال له نظير إخلاء سبيلها من الأسر وكان هذا النظام معمولاً به فى تلك الأيام وهو أن يدفع الأسير مبلغًا من المال وهو الفدية ويتم فك أسره وهى إحدى الطرق المشروعة فى فك الأسر.

سادسًا: ولكن الذى حدث أن ثابت بن قيس رفض أخذ الفدية مقابل فك أسرها لأنه يعلم أنها أميرة بنى المصطلق وابنة سيد قومها وقد صعب عليها حالها فتوجهت إلى الرسول ﷺ وهو فى غرفة عائشة بنت أبى بكر لتقص قصتها على الرسول ﷺ لكى ينصفها من أسر ثابت بن قيس وبعد أن استمع الرسول إلى قصتها حز فى نفس الرسول ﷺ إذلال ابنة سيد قوم بنى المصطلق ففكر الرسول ﷺ فى مصلحة الدعوة الإسلامية أن يتزوج من ابنة سيد بنى المصطلق ويحولهم من أعداء إلى أصدقاء بالمصاهرة وبذلك يأخذهم إلى جانب الدعوة الإسلامية بدلاً من مناصرة كفار قريش فتزوجها الرسول ﷺ وكان الرسول ﷺ فى ذلك بعيد النظر فى مصلحة الدعوة الإسلامية.

الفصل الثالث
خبر الإفك إثر غزوة بنى المصطلق

سوف نتناول خبر الإفك الذى أطلقه المنافقون على السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: خبر الإفك إثر غزوة بنى المصطلق.

المبحث الثاني: رأي المؤلف فى خبر الإفك.

وذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول
خبر الإفك إثر غزوة بنى المصطلق

أولاً: كما سبق أن ذكرنا أن غزوة بنى المصطلق كانت فى العام السادس للهجرة فى عام ٦٢٧م وهى الموقعة التى انتصر فيها المسلمون ونتج عنها إسلام كل قبيلة اليهود من بنى المصطلق بما فيهم زعيمهم الحارث بن ضرار المصطلقى ولكن المنافقين عندما شاهدوا انتصار المسلمين لم يجدوا مجالاً لإثارة الفتن فراحوا يتهمون أشرف شخصية وهى عائشة بنت أبى بكر الصديق واتهموها بجريمة بشعة تمس سمعتها وسمعة الرسول ﷺ وسمعة والدها إثر انتهاء موقعة بنى المصطلق حتى يفرغوا فرحة النصر على اليهود من مضمونها ويفرغوا فرحة إسلام قبيلة بنى المصطلق من مضمونها فقد كان مع الرسول ﷺ فى غزوة بنى

المصطلق زوجته عائشة بنت أبى بكر الصديق وكانت تبلغ من العمر ستة عشر عامًا وبعد انتهاء غزوة بنى المصطلق وانتصار المسلمين وفى طريق العودة للمدينة نزلوا فى مكان قرب المدينة للراحة كل القوات الإسلامية المشاركة فى المعركة تتحرك فى حرية طلبًا للراحة بعد طول عناء المعركة وإجهاد الرحيل.

ثانيًا: فى وسط النهار والشمس ساطعة خرجت عائشة بنت أبى بكر الصديق من المعسكر لقضاء حاجاتها وأثناء قضاء حاجتها فى مكان خارج المعسكر سقط منها عقدها وانفك رباطه وتبعثرت وحداته على الأرض الصحراوية فأخذت تبحث عن وحدات عقدها وتفتش عنها حتى عثرت على كل الوحدات المبعثرة فى الصحراء ومن شدة تعبها غفلت عيناها لتستريح ونامت قليلاً من شدة التعب وعند عودتها للمعسكر كان المسلمون قد رحلوا بعد أن شدوا هودجها إلى ظهر البعير معتقدين أنها نائمة داخل هودجها أى خيمتها فوق البعير والهودج هو الخيمة التى توضع فوق الجمل حتى أيامنا هذه وعندما وجدت المسلمين قد رحلوا بقيت فى مكانها تنتظر قدوم من يبحث عنها عندما يكتشفون بطريقة أو أخرى عدم وجودها داخل الهودج.

ثالثًا: ماذا كانت تفعل عائشة بنت أبى بكر وهى لا تعرف الطرق إلى المدينة سوى أن تنتظر حتى يأتوا للبحث عنها وأثناء تواجدها فى مكانها أتى أحد جنود الرسول ﷺ وهو صفوان بن المعطل السلمى الذى يؤمن برسالة الرسول ﷺ وبأن الرسول ﷺ نبى منزل من عند الله برسالة سماوية لذلك تطوع فى القوات الإسلامية دفاعًا عن الرسول ﷺ وعن الدعوة الإسلامية وكان تخلفه عن المعسكر لقضاء بعض حاجاته، فوجد عائشة تنتظر فأركبها على ظهر بعيره وسار هو بجوار البعير احترامًا للرسول ﷺ وزوجة الرسول ﷺ ودخل بها المدينة فى وضح النهار حتى دخلت بيتها والكل شاهدها وهى تركب بعير صفوان بن المعطل وهو يشد البعير ويقوده سيرًا على الأقدام.

رابعًا: ولكن المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبى بن سلول بدءوا بالغمز واللمز عن تأخر عائشة ووصولها مع أحد جنود الرسول ﷺ صفون بن المعطل ودخلت عائشة منزلها ومرضت من شدة حرارة الشمس ومكثت فى الفراش لمدة

أكثر من عشرين يومًا وهى لا تدرى بحديث الإفك والغمز واللمز الذى يدور حولها من المنافقين داخل المدينة لجرحها فى كرامتها وجرح زوجها لحقد المنافقين على الرسول ﷺ وبعد شفائها بعد عشرين يومًا أخبرتها امرأة من المهاجرين بما يتردد من الغمز واللمز عن تأخرها يوم موقعة بنى المصطلق ودخولها المدينة متأخرة مع صفوان ابن المعطل.

خامسًا: بعد أن زَاد الغمز واللمز داخل المدينة حول تأخر عائشة يوم غزوة بنى المصطلق والقيل والقال فى أسباب تأخرها اضطر الرسول ﷺ إلى التشاور مع الصحابة فى بيت أبى بكر الصديق وقد نفى أسامة بن زيد كل ما يتردد وأنه كذب وتلفيق من المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن سلول وأن ذلك حقد على الرسول ﷺ ومكيدة لعائشة ولكن عليًا بن أبى طالب أشار إلى تطليقها وضرب جاريتها لكى تبوح بالحقيقة.

المبحث الثانى

رأي المؤلف فى خبر الإفك إثر غزوة بنى المصطلق

أولاً: لقد روج المستشرقون فى كل كتبهم بالغمز واللمز الذى روج له عبد الله بن أبى سلول زعيم المنافقين عن عائشة بنت أبى بكر وفى شرفها وأنها كانت على علاقة بصفوان بن المعطل السلمى وذلك لهز صورة الرسول ﷺ وبالتالى هز صورة الإسلام.

ثانيًا: بعد شفاء عائشة من مرضها بعد عشرين يومًا دخل عليها الرسول ﷺ ومعه والدها أبو بكر الصديق يسألونها عن الحقيقة فأنكرت الأمر وهى تبكى وقد أحضروا جاريتها فأنكرت أى شىء يمس سمعة سيدتها عائشة وهى اللصيقة لها فى كل حركاتها وتصرفاتها وبررت رحيل القافلة والقوات العسكرية بدون عائشة بأنها كانت معتقدة أنها داخل الهودج. ويرى المؤلف بالعقل... هل يعقل أن

تقوم زوجة زعيم الأمة الإسلامية الدينى والسياسى بإقامة علاقة آثمة مع جندى صغير وهى تعلم أنها زوجة زعيم هذه الأمة وأن أى تصرف يشين زعيم هذه الأمة.

ثالثًا: من الطبيعى جدًا أنه إثر موقعة غزوة بنى المصطلق وعند توقف القوات للراحة أن تتوجه عائشة بنت أبى بكر خارج المعسكر لقضاء حاجتها لأنه من غير المعقول أن تقضى حاجتها الإنسانية داخل المعسكر وكل القوات العسكرية موجودة ومن الطبيعى أن يغلب عليها النعاس بعد أن فرط عقدها وتعبت فى البحث عن حباته، لذلك كان ذلك السبب الجوهرى فى تأخرها ورحيل القوات العسكرية عن المعسكر.

رابعًا: إن المسلمين رحلوا وكذلك جاريتها رحلت والكل يعلم أنها داخل الهودج كما قالت جاريتها لأنها نحيفة الجسم لأن المسلمين أو جاريتها لو كانوا يعلمون أنها غير موجودة داخل الهودج لأبلغوا الرسول ﷺ ولا يمكن للرسول ﷺ أو والدها أبى بكر الصديق أن يتحركوا مترًا واحدًا من المعسكر دون أن يرسلوا الرجال للبحث عن عائشة أحب زوجات الرسول ﷺ والأقرب للعقل أن المسلمين والجارية التى لا عمل لها إلا خدمة سيدتها عائشة يعلمون أن عائشة داخل الهودج وأنها راحلة معهم.

خامسًا: إن جارية عائشة بنت أبى بكر لا يمكن أن تسكت على عدم وجود عائشة فى الهودج لأنها تخشى أن يصيبها أذى إن لم تكن عائشة موجودة داخل الهودج وأى أذى لعائشة سوف تعاقب عليه الجارية المسئولة عن خدمتها وهى تعلم أن الرسول ﷺ وأبا بكر الصديق لن يتركوها فى أمان إذا أصيبت عائشة بأذى والأقرب للعقل أن جارية عائشة تعلم أنها داخل الهودج وليست خارج الهودج.

سادسًا: إن عائشة بنت أبى بكر لا يمكن أن تخطط لغيابها لأى سبب لأن فى المعسكر يوجد زوجها رسول الله ﷺ ووالدها أبو بكر الصديق ومحمد أبو بكر الصديق أخيها وإذا لم يكتشفوا غيابها أثناء رحيل القوات من المعسكر فسوف

يكتشفون غيابها عند وصولهم للمدينة وفى جميع الحالات لن يقبلوا إلا أسبابًا مقنعة للعقل وغير ملفقة لذلك فإن غيابها عن المعسكر لم يكن بإرادتها.

سابعًا: لو أردت عائشة أن تفعل أى شىء مع صفوان بن المعطل السلمى.. هل يكون ذلك فى زمن راحة القوات الإسلامية وجميع القوات الإسلامية والصحابة يتحركون ولا يوجد واحد من كل القوات الإسلامية والصحابة لا يعرف عائشة بنت أبى بكر.. هل يمكن أن تفعل شىء مشين والكل يعرفها؟؟

ثامنًا: هل يمكن أن يحدث أى شىء بين عائشة وصفوان ويدخل معها المدينة وسط النهار والشمس ساطعة والكل يراهما وبعد ذلك تمرض وهى تركب على ظهر البعير وصفوان يشد حبل البعير ويسير على قدمه ويدخلها منزلها وينتظر أمام كل الناس فى المدينة حتى تدخل منزلها وهو منزل الرسول ﷺ ثم بعد ذلك ينصرف صفوان بن المعطل إلى منزله.. أم أن الأقرب للعقل لو حدث شىء ما بين عائشة وصفوان لكانت عائشة تدخل المدينة لوحدها وصفوان يدخل المدينة من مكان آخر وبعد مدة من دخول عائشة للمدينة أما أن يوصلها صفوان بنفسه إلى منزل الرسول ﷺ فذلك أكبر دليل على براءة عائشة لأنهما دخلا معًا فى وضح النهار أمام كل أهالى المدينة.

تاسعًا: إن المنافقين الذين آمنوا بالإسلام عن غير قناعة وعلى رأسهم عبد الله بن أبى سلول لا يريدون للإسلام خيرًا ولا يريدون للرسول ﷺ خيرًا لذلك من مصلحتهم ترويج الإشاعات ضد الرسول ﷺ وأول شىء يصيب الرسول ﷺ فى موجع هو زوجته عائشة.. لذلك روجوا لحديث الإفك حقدًا على الرسول ﷺ وحديث الإفك سوف يجد له رواجًا لكل القسوة الذين يحقدون على عائشة أو يغيرون من عائشة.

عاشرًا: من أحد الأسباب التى روجت للإشاعة وخبر الإفك فى المدينة هو مرض عائشة بنت أبى بكر لمدة عشرين يومًا فلم تدافع عن نفسها وزاد الغمز واللمز داخل المدينة حتى اجتمع الرسول ﷺ مع الصحابة داخل منزل أبى بكر الصديق ليبحث ماذا يفعل فى خبر الإفك؟

الحادى عشر: عندما اجتمع الرسول ﷺ مع الصحابة داخل منزل أبى بكر الصديق نفى أسامة بن زيد أى علاقة شائنة بين صفوان بن المعطل وعائشة لأن صفوان بن المعطل أحد جنود أسامة بن زيد القائد العسكرى الإسلامى ويعرف مدى أخلاقه ورجولته وكذلك يعرف مدى أخلاق عائشة بنت أبى بكر الصديق التى تربت فى بيت والدها أبى بكر الصديق حتى سن التاسعة ثم بعد ذلك تربت فى بيت الرسول ﷺ ذاته، إن الشيطان فى بيت الرسول ﷺ يتحول إلى ملاك.

الثانى عشر: عندما دخل الرسول ﷺ وأبو بكر على عائشة بعد شفائها بعد عشرين يومًا ذكرت واقعة قضاء حاجتها خارج المعسكر وفقدها للعقد وأنكرت وجود علاقة مع صفوان بدليل دخولها المدينة فى وضح النهار وأنه أوصلها حتى بيت الرسول ﷺ ذاته وكانت تسرد هذه الوقائع وهى تبكى لإحساسها بالظلم الذى وقع عليها.

الثالث عشر: إن عائشة بنت أبى بكر لا يمكن أن تفعل شيئًا يغضب الرسول ﷺ ويلوث سمعة زوجها ووالدها ولو كانت تريد فعل شىء من ذلك لفعلته والرسول ﷺ غائب وما أكثر مدد غيابه خارج المدينة فى حماية الدعوة الإسلامية وحماية الدولة الإسلامية ولكن أن تفعل شيئًا يلوث سمعتها وسط القوات الإسلامية جميعها إنه شىء لا يصدقه عقل إلا إذا كان عقلاً مريضًا مثل عقل المستشرقين أو عقل المنافقين.

الرابع عشر: بعد أن سألهاالرسول ﷺ ووالدها وبكت بحرقة فى أن يشك فيها أحد نزلت سورة النور الآية ١١ تؤكد براءة عائشة «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْأَفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْأَثْمِ» وبعد نزول سورة النور الآية ١١ ببراءة عائشة من خبر الإفك لابد أن تخرس كل الألسنة من المستشرقين أمثال المستشرق أيوت الذى قال إن الرسول وجد فى الوحى ملجأ يأوى إليه فى هذه الكارثة ولكن المؤلف يرى، لأن الله خالق السموات والأرض عليم بما يحدث فى الغيب ولا اجتهاد مع صراحة النص والنص القرآنى

يثبت بكل التأكيد براءة السيدة عائشة والرسول ﷺ ذاته يعرف نقاء زوجته عائشة وأنه لم يشك فيها لأنه لو شك فيها لكان طلقها كما طلب على بن أبى طالب ولكن الرسول ﷺ يعرف مدى طهارة زوجته الذى كان ينزل عليه الوحى وهو فى بيتها دون بقية زوجاته وذلك لطهارتها ونقاء سيرتها.

الخامس عشر: من المعروف أن زعيم المنافقين عبد الله بن أبى سلول أول من روج لخبر الإفك معروف عنه ومشهور عنه بين أصحابه الكذب والنفاق وبغض الرسول ﷺ وقد كان عبد الله بن سلول يتوجه إلى أعداء الإسلام ويؤلبهم على المسلمين كما تقول كتب السيرة النبوية وكان يدعوهم لقتل الرسول ﷺ.. فهل يمكن أن نصدق مثل هذا الرجل الكذاب؟ لذلك تمسك المستشرقون بأقوال ذلك الرجل الكذاب وتحليلاته للواقعة على أنها مسلمات دون فحص وتحليل بحثى علمى منطقى والمستشرقون بحقدهم الأسود على الرسول ﷺ والإسلام لا يبعدون كثيرًا عن المنافقين وحقدهم الأسود على الرسول ﷺ والإسلام وقد عاشت عائشة مع الرسول ﷺ حتى توفى فى عام ٦٣٢م وعاشت بعده خمسين عامًا والرسول ﷺ غير موجود ولو أنها امرأة فى خلقها أى عيب لظهر ذلك بعد وفاة الرسول ﷺ ولكنها أطهر من أن ترتكب معصية وقد عاشت عائشة فى بيتها فى المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ واعتكفت للعبادة وتوفيت فى ١٧ من رمضان يوم الثلاثاء فى سنة ثمان وخمسين هجرية أى فى عام ٦٧٩م وتوفيت وعمرها سبعة وخمسون عامًا ودفنت فى البقيع فى المدينة فى عهد معاوية بن أبى سفيان وكانت عائشة بنت أبى بكر من رواة الحديث لقربها من الرسول ﷺ وقد اتفق البخارى ومسلم فى صحيحهما على مائة وأربعة وسبعين حديثًا تم روايتهم عن عائشة بنت أبى بكر الصديق وهنا أسأل كل صاحب عقل... هل هذه الزوجة يأتى من تصرفاتها أى عيب؟... بالتأكيد لا لذلك أقول للمستشرقين والمنافقين لقد ظلمتم عائشة بنت أبى بكر ولكن الله أنصفها فى حياتها.

الفصــــل الرابــع
صلح الحديبية وأسبابه
ذو القعدة العام ٦هـ ٦٢٧م

سوف نتحدث فى صلح الحديبية وأسبابه فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: صلح الحديبية وأسبابه.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى صلح الحديبية وأسبابه.

وذلك تفصيلاً على النجو التالى..

المبحث الأول

صلح الحديبية واسبابه

أولاً: توجه الرسول ﷺ فى ذى القعدة فى العام السادس من الهجرة من ٦٢٧م لقضاء العمرة فى مكة وكان معه ألف وأربعمائة من المسلمين لا يحملون أى أسلحة سوى السيوف فى أغمادها كما هى عادة العرب ولم تكن معهم أى أسلحة لأن غرضهم دينى وهو قضاء العمرة بمكة حول المسجد الحرام فكان معهم الإبل التى سوف يتم ذبحها وتهدى للحرم كما هى عادة العرب.

ثانياً: وقد كان قرار كفار قريش وأشراف قريش منع المسلمين من دخول مكة لأداء العمرة وصد المسلمين لذلك خرج المسلمون خارج مكة وعسكروا فى منطقة تسمى وادى بلدح لصد المسلمين من دخول مكة وإذا دار أى قتال يكون ذلك خارج مكة.

ثالثًا: وقد علم الرسول ﷺ أن كفار قريش يعسكرون بوادى بلدح لمنع المسلمين من أداء العمرة وحيث إنه لم يأت للقتال هو والمسلمون فسلك بالمسلمين طريقًا آخر وعرًا وغير ممهد وصعب من أسفل مكة حتى وصل إلى منطقة الحديبية بعد طول عناء ومشقة كبيرة وجهد كبير وكان ذلك مفاجأة كبرى لكفار قريش وظنوا أن الرسول ﷺ والمسلمين سوف يدخلون مكة لأداء العمرة عنوة لذلك رجع خالد بن الوليد قائد قوات كفار قريش ومعه قواته من منطقة وادى بلدح إلى مكة للدفاع عنها ومنع المسلمين من دخولها وكان موقف كفار قريش حرجًا لسببين:

السبب الأول: أنه إذا دار أى قتال بين كفار قريش والمسلمين سوف يكون ذلك القتال داخل أراضى ومنازل وبيوت مكة حيث يوجد النساء والشيوخ والأطفال.

السبب الثانى: إن كفار قريش أعلنوا علانية عدم دخول المسلمين لمكة لأداء العمرة وكل قبائل شبه الجزيرة العربية تعلم ذلك.

رابعًا: ولذلك اجتمع أشراف كفار قريش لإنقاذ ذلك الموقف المحرج لهم وقرروا التفاوض مع المسلمين لذلك أرسلوا للمفاوضات مع الرسول ﷺ والمسلمين كل من مكرز بن حفص بن الأخيف وبعدها أرسلوا الحليس بن علقمة وبعدها أرسلوا عروة بن مسعود الثقفى وكانوا جميعًا لم يصلوا إلى حل يرضى المسلمين وكفار قريش وأرسل المسلمون للمفاوضات مع كفار قريش خراس بن أمية الخزاعى ولم يوفق فى المفاوضات وبعده أرسل المسلمون عثمان بن عفان.

خامسًا: عندما أرسل المسلمون عثمان بن عفان للتفاوض مع كفار قريش لم يعد لمدة ثلاثة أيام كاملة وقد توجه عثمان بن عفان لكفار قريش للتفاوض معهم لأن الرسول ﷺ والمسلمين لا يريدون إلا زيارة البيت الحرام ولم يأتوا للقتال ولكنهم حجزوه لمدة ثلاثة أيام لذلك ظهرت إشاعة غير مؤكدة بين المسلمين أن كفار قريش قتلوا عثمان بن عفان فى الأشهر الحرم، لذلك قرر الرسول ﷺ والمسلمون مقاتلة كفار قريش لقتلهم عثمان بن عفان ولم تكن قريش قد قتلت عثمان بن عفان وخوفًا من قتال المسلمين داخل أرضهم بمكة أرسلوا بسهيل بن عمرو العامرى ليتفاوض مع الرسول ﷺ والمسلمين ولكن الرسول رفض المفاوضة

إلا بعد إطلاق سراح عثمان بن عفان وفعلاً أطلق كفار قريش سراح عثمان بن عفان بعد ثلاثة أيام.

سادساً: وانتهت المفاوضات بعقد صلح الحديبية بعدم الاعتداء بين كفار قريش والمسلمين لمدة عشر سنوات.

المبحث الثانى
رأى المؤلف فى صلح الحديبية وأسبابه

أولاً: العرب قديمًا أعرف بالألفاظ ومدلولاتها منا الآن؟!

ثانياً: كتب صلح الحديبية على بن أبى طالب بالصيغة التى اقترحها سهيل بن عمرو العامرى أحد خطباء قريش وقد شهد هدنة الحديبية واشترك فى المفاوضات من الجانب الإسلامى الرسول ﷺ وأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعلى بن أبى طالب الذى كتب هدنة الحديبية واشترك فى المفاوضات من جانب قريش سهيل بن عمرو ومكرز بن حفص وبديل ابن ورقاء.

ثالثاً: يبدأ صلح الحديبية بـ باسمك اللهم ولم يبدأ باسم الله الرحمن الرحيم كما أراد الرسول ﷺ والرسول ﷺ بحنكته السياسية وافق على مطلب سهيل بن عمر ولأن قوة المسلمين غير مستعدة للدخول فى حرب وهم أساسًا لم يأتوا للحرب بل أتوا لأداء العمرة.

رابعاً: تبدأ هدنة الحديبية «هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو» وقد رفض سهيل بن عمرو ذكر «محمد رسول الله» بل طلب كتابة محمد بن عبد الله ولحنكة الرسول ﷺ السياسية وافقه على ذلك لأنه عندما تكتمل القوة العسكرية للمسلمين سوف يفرضون ما يريدون ويكتبون فى عقودهم ما يريدون وليس من مصلحة المسلمين أن يدفعوا إلى حرب لم يستعدوا لها وقد كتب كذلك «هذا ما صالح عليه».

خامساً: وجاء فى البند الثانى من هدنة الحديبية «بوضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن منهن الناس ويكف بعضهم عن بعض» أى عدم القتال بين المسلمين وكفار قريش لمدة عشر سنين وهذا ما يؤكد أنه هدنة بحيث يحل السلام بين الطرفين لمدة عشر سنين فقط.

سادساً: وجاء بالبند الثالث من الصلح «أنه إذا دخل أحد فى الإسلام من قريش لابد من موافقة وليه وإذا لم يكن معه إذن وليه يرده المسلمون مرة أخرى لقريش وإذا أراد أحد من المسلمين أن يدخل فى قبيلة قريش ـ أى يعود للكفر ـ لا يلزم إذن وليه» وهذا الشرط فيه عدم مساواة وفيه استفزاز ولكن لحنكة الرسول ﷺ السياسية وافق وهو يعلم أن الأيام سوف تتغير لصالح الإسلام والمسلمين.

سابعاً: وجاء فى البند الأخير من صلح الحديبية «إن المسلمين لا يؤدون العمرة هذا العام ويعودون العام القادم لمكة لأداء العمرة ويخرج كفار قريش لمدة ثلاثة أيام خارج مكة حتى ينتهى المسلمون من أداء العمرة ولا يأتى المسلمون إلا بالسيوف فى أغمادها» ولحنكة الرسول ﷺ السياسية وافق على عدم أداء العمرة فى ذلك العام على أن يعود فى العام القادم لأداء العمرة لكى يظهر للعرب فى كل شبه الجزيرة العربية كرم المسلمين مع أهل قريش ومدى تسامح المسلمين وإساءة استغلال كفار قريش لتواجد البيت الحرام داخل مكة لدرجة منع المسلمين من أداء العمرة وهذا خطأ كبير فى نظر قبائل العرب لا يتناسب مع تقاليد العرب فى الكرم والضيافة وخاصة أن البيت الحرام لكل قبائل شبه الجزيرة واليوم إذا منعوا المسلمين فقد يمنع كفار قريش قبائل أخرى من حج البيت الحرام لذلك كان الرسول ﷺ شديد الذكاء فى كشف كفار قريش أمام كل القبائل العربية بحنكته السياسية.

ثامناً: لقد أراد الرسول ﷺ بصلح الحديبية أن يظهر كفار قريش بمظهر بالمعتدى لما به من شروط مجحفة بحق المسلمين وفعلاً أظهر الرسول ﷺ كفار قريش بالمعتدى فى منع زيارة البيت الحرام التى هى حق لكل المواطنين لشبه الجزيرة العربية وخارجها وليس من حق قبيلة قريش منع زيارة البيت الحرام

تعظيمًا للعمرة والحج وهى من عادات العرب وتقاليديهم المتواترة منذ أن بنى هذا البيت العتيق إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

تاسعًا: بعد أن تغيب عثمان بن عفان ثلاثة أيام فى مكة وظن لمسلمون أن كفار قريش قتلوه فى الشهر الحرام دعا الرسول ﷺ إلى مبايعته لقتال كفار قريش وبايعه المسلمون على قتال كفار قريش حتى الموت تحت شجرة فى الوادى فسميت بيعة الرضوان وهذا يؤكد أن الرسول ﷺ كان يتخذ القرارات المصيرية بالمشورة والمبايعة ولا ينفرد باتخاذ القرارات المصيرية وفى بيعة الرضوان نزل القرآن بسورة الفتح آية ١٨ «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا».

عاشرًا: الرسول ﷺ حينما خرج للعمرة فى مكة لم يترك المدينة بلا حاكم بل ترك بها غيلة الليثى يدير شئونها أثناء وجود الرسول ﷺ والصحابة والمسلمين من الأنصار والمهاجرين فى مكة وعندما خرج الرسول ﷺ والمسلمون للعمرة أحرم للعمرة وارتدوا ملابس العمرة ليعلم كفار قريش أنه جاءوا ومعه المسلمون زائرًا للبيت الحرام ولم يأت لحرب كفار قريش ولم يحضر المسلمون معهم أى أسلحة سوى السيوف فى أغمادها.

الحادى عشر: عندما توجه الرسول ﷺ والمسلمون إلى مكة لأداء العمرة أرسل عينًا استخباراتية له من خزاعة قبل أن يصل ليخبره أحوال قريش فأخبره كعب بن لؤى أن كفار قريش خرجوا لحربه فى وادى بلدح ولذلك اتخذ الرسول ﷺ القرار الصائب بأن يسلك طريقًا آخر وعرًا حتى وصل إلى الحديبية على مسافة قليلة من مكة وكان فى مقدور الرسول ﷺ والمسلمين دخول مكة عنوة وأداء العمرة حيث إن قوات كفار قريش خارج مكة بقيادة خالد بن الوليد ولكن الرسول ﷺ لم تكن لديه نية الحرب بل كانت نيته زيارة البيت الحرام وتقول كتب السيرة النبوية إن القصواء وهى ناقة الرسول ﷺ عندما وصلت إلى الحديبية حاول الصحابة دفعها لتترك الحديبية ولكنها لم تستجب لهم بل ظلت جاثمة بالحديبية.

الثانى عشر: وقد اعتبر الرسول ﷺ صلح الحديبية نصرًا للمسلمين لأن العرب فى شبه الجزيرة العربية عرفوا أن المسلمين أصبحوا قوة يحسب حسابها من كفار قريش ثم حلق الرسول ﷺ رأسه وأمر المسلمين أن يحلقوا رءوسهم ونحروا الإبل كما لو كانوا أدوا العمرة فعلاً ثم عادوا للمدينة ونزل القرآن فى سورة الفتح الآية ٢٧ يؤكد آن المسلمين سيدخلون المسجد الحرام بمكة «لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا».

الثالث عشر: بعض كتب السيرة النبوية تقول عن وقائع صلح الحديبية إنها غزوة صلح الحديبية ويرى المؤلف أن فى ذلك قسوة للسيرة النبوية فهذه ليست غزوة بالمعنى المتعارف عليه فى كلمة غزوة حسب المعاجم العربية والأجنبية لأن الرسول ﷺ أخذ معه المسلمين بدون أى سلاح أو عتاد للحرب وأخذ معه الإبل لنحرها أمام البيت الحرام فهو خرج والمسلمون لأداء العمرة وليس للغزو أو الحرب ولو كان يقصد الحرب والغزو فعندما وصل الحديبية كان في مقدوره أن يدخل مكة عنوة بدون أى مقاومة وخاصة أن كل جيوش كفار قريش في وادى بلدح بقيادة خالد بن الوليد ولكنها ليست غزوة بأي معني بل هي أداء العمرة في الأشهر الحرم وترتب علي تداعياتها صلح الحديبية.

الرابع عشر: أن الرسول ﷺ خرج في ذي القعدة للعمرة وهو من الأشهر الحرم التي لا يجوز للعرب القتال فيها لذلك فهو خرج للعمرة في العام السادس من الهجرة في ذي القعدة في عام ٦٢٧م وقد خرج معه المسلمون من الصحابة والأنصار والمهاجرين ومن لحق به من العرب وهم يرتدون إحرام العمرة لكي يثبت بالدليل القاطع لكفار قريش وقبائل شبه الجزيرة العربية أنه توجه للعمرة وليس للقتال حتي يمكنهم كفار قريش من دخول مكة وأداء العمرة والحديبية التى استقروا بها على بعد ميل من مكة.

الباب السادس
غزوة خيبر حتى فتح مكة

سوف نتناول فى هذا الباب غزوة خيبر حتى فتح مكة فى عدة فصول على النحو التالى:

الفصل الأول: غزوة خيبر والقضاء على شوكة اليهود.

الفصل الثانى: عمرة القضاء.

الفصل الثالث: غزوة مؤتة.

الفصل الرابع: وقائع فتح مكة.

وذلك تفصيلاً على النحو التالى..

الفصل الأول
غزوة خيبر والقضاء على شوكة اليهود

وسوف نتحدث عن غزوة خيبر والقضاء على شوكة اليهود فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: غزوة خيبر وأسبابها.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى غزوة خيبر.

وذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول
غزوة خيبر وأسبابها

أولاً: بعد أن عقد الرسول ﷺ صلح الحديبية فى العام السادس من الهجرة فى ذى القعدة عام ٦٢٧م حيث عقد الهدنة مع قريش لمدة عشر سنوات وأمن غدر كفار قريش كان على الرسول ﷺ أن يحمى الدولة الإسلامية من غدر اليهود وأهم أعداء الإسلام فى شبه الجزيرة العربية بعد أن أمن غدر أعدائه من كفار قريش هم اليهود يتجمعون أغلبهم فى خيبر.

ثانياً: بدأ دخول اليهود إلى شبه الجزيرة العربية فى زمن نبوخذ نصر ملك اليهود فى عام ٥٧٦ ق.م ونزل بعضهم فى يثرب وبعضهم فى خيبر وتيما ووادى القرى وفدك وزادت هجرة اليهود إلى شبه الجزيرة العربية بعد أن قام

الإمبراطور تيطس إمبراطور الدولة الرومانية فى عام ٧٠م بتدمير القدس بعد أن يئس من إصلاح حال اليهود لكثرة ثوراتهم إلى أن جاء الإمبراطور هارديان وطردهم جميعًا فى عام ١٣٢م وبدءوا يلجأون إلى شبه الجزيرة العربية.

ثالثًا: كما سبق أن أوضحنا أن الرسول ﷺ فى موقعة بنى قينقاع فى ١٥ شوال من العام الثانى من الهجرة فى ٦٢٣م تم إجلاؤهم عن المدينة بعد حكم الوسيط بين اليهود والمسلمين عبد الله بن أبى بن سلول وقد رحلوا إلى أذرعات على حدود الشام وإلى قبيلة خيبر ليجتمعوا بها بعد أن خانوا العهد مع المسلمين بعد اتفاقية الصحيفة وكذلك الحال مع يهود بنى النضير فقد تم جلاؤهم عن المدينة وضواحيها فى ربيع الأول من العام الرابع للهجرة فى ٦٢٥م بعد أن حاولوا قتل الرسول ﷺ وهو بين ديارهم فى منطقة الغوالى وتبعد ميلين عن المدينة ونتيجة خيانتهم لاتفاقية الصحيفة وقد رحلوا إلى قبيلة خيبر ليحتموا بها، لذلك تجمع اليهود الذين أجلاهم الرسول ﷺ عن المدينة فى قبيلة خيبر وأخذوا يعدون الخطط للنيل من المسلمين بالاشتراك مع قبيلة خيبر اليهودية مضافًا إليها قبيلة بنى قينقاع وقبيلة بنى النضير لذلك أصبحت خيبر أكبر المناطق عداوة للمسلمين والرسول ﷺ.

رابعًا: وبعد موقعة بنى قريظة التى حدثت فى ذى القعدة من العام الخامس للهجرة فى ٦٢٦م وما حكم به سعد بن معاذ والذى ارتضى بحكمه المسلمون واليهود والذى حكم بقتل الرجال من اليهود وقد تم تنفيذ حكم سعد بن معاذ زادت عداوة يهود خيبر وبنى قينقاع وبنى النضير للمسلمين والرسول ﷺ.

خامسًا: واتفقت مصلحة يهود خيبر ويهود بنى النضير ويهود بنى قينقاع على قتل الرسول ﷺ ومحاربة المسلمين فقام أسير بن رازم سيد يهود خيبر بتحريض القبائل العربية لقتل الرسول على أن يساعدهم فى ذلك لذلك قرر الرسول ﷺ مهاجمة خيبر لوضع حد لتجاوزاتهم وحماية الدولةالإسلامية.

سادسًا: كون يهود خيبر ويهود بنى النضير ويهود بنى قينقاع حلفًا ضد المسلمين وتحالفوا وتعاونوا مع قبائل غير يهودية للنيل من المسلمين حيث تحالفوا مع قبائل غطفان.

سابعًا: وفى محرم من العام السابع للهجرة ٦٢٨م انطلق الرسول ﷺ ومعه ألف وستمائة مقاتل ومائة فارس وصلوا خيبر بعد ثلاثة أيام ونزل الرسول ﷺ بقواته أمام خيبر التى حصنت منطقتها بالحصون وكان الحصن الأول هو حصن يسمى حصن نطاه والحصن الثانى يسمى حصن الكتيبة والحصن الثالث يسمى حصن الشق وبدأ القتال واستمر حصار المسلمين لهم عشرين يومًا وعندما أدرك اليهود أن هزيمتهم مؤكدة طلبوا حقن الدماء وأن يقوموا برعاية أرضهم وزراعتها مقابل نصف مردودها للمسلمين فوافق الرسول ﷺ على ذلك.

المبحث الثانى
رأى المؤلف فى غزوة خيبر

أولاً: من المبادئ المتعارف عليها عسكريًا فى كل دول العالم فى كل زمان ومكان أن من أهم مبادئ العسكرية فى الحروب هو أن الهجوم خير وسيلة للدفاع لذلك كان قرار الرسول ﷺ الهجوم على يهود خيبر لأنهم يعدون العدة للهجوم عليه والانتقام منه ومن المسلمين ومعهم يهود بنى النضير ويهود بنى قينقاع وقد ظهرت نيتهم فى الهجوم على المسلمين بتحالفهم من قبيلة غطفان المجاورة لهم للهجوم على المسلمين.

ثانيًا: غزوة خيبر ليست غزوة بالمعنى المتعارف عليه فى معاجم اللغة بل هى دفاع عن الدولة الإسلامية بعد أن تبين نية يهود خيبر بالنيل من المسلمين بتحالفهم مع قبيلة غطفان ضد المسلمين والدفاع عن الدولة الإسلامية حق مشروع فى كل زمان ومكان حتى لا يؤخذ المسلمون على غرة ويفاجأ المسلمون بأن قوات اليهود وقوات غطفان على حدودهم فى المدينة.

ثالثًا: كان من حنكة الرسول ﷺ العسكرية أنه عندما توجه بقواته إلى مكان قبيلة خيبر التى تبعد ثمانين ميلاً شمال المدينة توجه إليهم وفاجأهم لدرجة أن المزارعين من اليهود كانوا يزرعون أرضهم الزراعية وقد نزل الرسول ﷺ بقواته

فى منطقة وادى الرجيع وهى منطقة وسط بين منطقة يهود خيبر وقبيلة غطفان المتحالفة معهم لمنع وصول أى إمدادات عسكرية أو مؤن من قبيلة غطفان إلى يهود خيبر وهذه حنكة عسكرية من الرسول ﷺ.

رابعًا: قبل أن يتوجه الرسول ﷺ إلى منطقة خيبر بعد أن علم بتحالفهم مع قبيلة غطفان أرسل الرسول ﷺ إليهم إنذارًا لكى يحذرهم من عواقب تحالفهم مع قبيلة غطفان ضد المسلمين ولكنهم مضوا فى طريقهم لمعاداة المسلمين ورفضوا نفى تحالفهم مع غطفان ضد المسلمين.

خامسًا: كان يهود خيبر بزعامة سلام بن مشكم قد تحصنوا داخل تحصناتهم وعندما بدأ القتال توفى زعيمهم سلام بن مشكم لأنه كان مريضًا وتولى الزعامة بدلاً منه الحارث بن أبى زينب وبعد أن اشتد القتال حول هذه الحصون أمر الرسول ﷺ بقطع المياه عن هذه الحصون ومحاصرة حصون خيبر لمدة عشرين يومًا وبعد هذه الخطوة طلب يهود خيبر ومن يناصرهم من اليهود الاستسلام فى مقابل أن يزرعوا أرضهم ويسلموا نصف غلتها إلى المسلمين وأن يكفوا عن معاداة المسلمين.

سادسًا: يقول المستشرقون إن الغرض من غزوة بنى النضير هو أخذ الغنائم ولو قصد الرسول ﷺ ذلك لاستمر حصار حصون بنى النضير وبنى قينقاع وبنى خيبر حتى يموت اليهود عطشًا بعد أن قطع الرسول ﷺ عنهم إمدادات المياه وبدلاً من أن يستمر الحصار عشرين يومًا يستمر شهرين ويقضى عليهم نهائيًا وبذلك يأخذ الرسول ﷺ كل ما يملكون ولكن غرض الرسول ﷺ فقط هو تأديب اليهود لعدم محاولتهم التكتل ضد المسلمين وعقد التحالفات مع القبائل الأخرى لمهاجمة المسلمين فالغرض هو الدفاع عن الدولة الإسلامية بمهاجمة أعدائها قبل أن يثبتوا عليها ويتمكنوا منها وقد طلب يهود خيبر الاستسلام الكامل وقد وافقهم الرسول ﷺ على زراعة أرضهم مقابل دفع نصف غلتها تأديبًا لهم وعقابًا لهم.

سابعًا: يقول المستشرقون إن غرض غزوات الرسول ﷺ عمومًا هو فرض الإسلام بقوة السلاح ولكنى أقول للمستشرقين أين فرض الإسلام بقوة السلاح؟

وها هم يهود بنى النضير وبنى قينقاع وبنى خيبر يطلبون الاستسلام الكامل بعد أن تأكدوا من هزيمتهم لم يجبرهم أحد على ترك دينهم ولم يجبرهم المسلمون على ترك شعائرهم الدينية بل تركوهم يمارسون شعائرهم الدينية بحرية مطلقة فى بلادهم وتركوهم على دينهم رغم قدرة المسلمين على فرض الإسلام عليهم بالقوة إذا أرادوا ذلك ولكن تعاليم الإسلام تمنعهم من ذلك لأن النص فى سورة البقرة ٢٥٦ صريح «لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ».

ثامنًا: قام الرسول ﷺ بتوزيع الغنائم حسب تشريع الخمس وكان من بين الغنائم التى غنمها المسلمون صحائف من التوراة طلبها اليهود فأمر الرسول ﷺ بتسليمها إليهم وأعاد كتب التوراة إليهم لأن الإسلام يؤمن بأن جميع الديانات السماوية منزلة من عند الله ولكن الإمبراطور تيطس إمبراطور الدولة الرومانية حينما قام بهدم وتدمير القدس قام بحرق كل كتب التوراة الموجودة بالقدس وهنا أسأل المستشرقين الذين يشوهون الإسلام لماذا لم تعلقوا على حرق كتب التوراة فى عام ٧٠م.

تاسعًا: بعد انتهاء الحصار حاولت زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم قتل الرسول ﷺ بأن أهدته شاة مسمومة بتحريض من بعض اليهود وقد لاك منها الرسول ﷺ قطعة فلم يستسغها ولفظها وأخبر عن طريق الوحى بأنها مسمومة وكان يجلس معه من المسلمين البشر ابن البراء وأكل من هذه الشاة المسمومة ومات مسمومًا واعترفت زينب بفعلتها وقد قيل إن الرسول ﷺ عفا عنها لظروفها النفسية الصعبة لوفاة زوجها زعيم يهود خيبر نتيجة مرضه وللحالة التى وصل إليها اليهود من خيبر قومها من المهانة نتيجة تكبرهم واستعدائهم للمسلمين.. إننى لن أعلق على هذه الواقعة بالنسبة للرسول ﷺ وأترك للقارئ التعليق.. تريد قتل الرسول ﷺ مسمومًا ويتركها لظروفها التى تمر بها[1].

---

(١) لكنه عندما تحقق من موت الصحابي البشر ابن الزبير بسبب السم قتلها قصاصًا، فكان القتل مقابل قتلها للرجل وليس انتقامًا لشخصه ﷺ.

عاشراً: وقد تعامل الرسول ﷺ مع بقية اليهود فى شبه الجزيرة بعد انتصاره على يهود خيبر فقام يهود فدك ويهود وادى القرى ويهود تيماء بدفع الجزية وهى نصف ما تغله أرضهم ونخلهم مقابل الدفاع عنهم من المسلمين ضد أى اعتداء خارجى وأن يمارسوا شعائرهم الدينية بحرية مطلقة وبذلك تلاشى النفوذ السياسى والاقتصادى لليهود فى شبه الجزيرة العربية ولم يعد يستطيعون جمع القبائل والأحزاب ضد الإسلام والمسلمين كما كانوا يفعلون فى الماضى مثلما حدث فى غزوة الخندق.

الحادى عشر: بعد صلح الحبيبة مع كفار قريش ترك يهود خيبر التعاون مع كفار قريش وبدأ سلام بن مشكم زعيم اليهود فى البحث عن حلفاء آخرين من القبائل العربية لمحاربة المسلمين والقضاء على الرسول ﷺ والدعوة الإسلامية فى مهدها فاتفق مع يهود وادى القرى وتيماء ويهود بنى النضير وبنى قنيقاع بأن يكونوا جيشًا كبيرًا من اليهود لغزو أرض المسلمين فى المدينة وإبادتهم من على ظهر الأرض وقد علم ذلك الرسول ﷺ كما تقول كتب السيرة عن طريق الوحى عن طريق جبريل عليه السلام لذلك كان قرار الرسول ﷺ بإرشاد جبريل أن يتوجه إليهم قبل أن يتوجهوا إليه دفاعًا عن الدولة الإسلامية فى المدينة قبل أن تهاجمه جيوش اليهود المتحدة وخاصة بعد تحالفها مع قبيلة غطفان.

الثانى عشر: كان عدد الحصون التى يتحصن فيها اليهود ثلاثة حصون كبيرة وخمسة حصون أخرى وكان مجموع الحصون ثمانية حصون وبدأ القتال إلى أن وجد عمر بن الخطاب يهوديًا فى الليل فأمسك به وذهب به إلى الرسول ﷺ فخاف اليهودى وأرشد المسلمين عن كيفية قطع المياه عن حصون اليهود وقطع المسلمون المياه وحاصرهم المسلمون حتى سقطت حصونهم وعندما لم يجد اليهود مفرًا من الهزيمة طلبوا الصلح على أن يخرجوا آمنين وتم الصلح بأن يدفعوا الجزية مقابل حماية المسلمين لهم وإقامتهم فى بيوتهم يمارسون شعائرهم الدينية بحرية مطلقة وقد استشهد من المسلمين خمسة عشر شهيدًا وقتل من اليهود ثلاثة وتسعين قتيلاً.

الثالث عشر: والقول الراجح فى كتب السيرة أن موقعة خيبر حدثت فى آخر شهر محرم فى العام السادس من الهجرة السابع من الهجرة فى ٦٢٨ وهذا القول قاله ابن إسحاق فى المغازى والرسول ﷺ قبل أن يتوجه إلى موقعة خيبر ترك حاكمًا للمدينة عاصمة الدولة الإسلامية سباع بن عرفطة وتوجه الرسول ﷺ بقواته إلى الصهباء وهى قريبة من خيبر وصلى بها وبعدها واصل السير إلى خيبر وقد أعطى الرسول ﷺ الراية لقيادة القوات الإسلامية لعلى بن أبى طالب تحت إشراف الرسول ﷺ وقد كان على بن أبى طالب مصابًا بمرض فى عينيه وتقول كتب السيرة إن الرسول ﷺ دعا له فشفيت عيناه قبل أن يسلمه الراية.

الرابع عشر: وكان من السبايا بعد معركة خيبر صفية بنت حيى نظرًا للظروف القاسية التى تمر بها صفية بنت حيى من أميرة قومها إلى أسيرة ذليلة وخاصة بعد وفاة زوجها تجمعت فى قلب الرسول ﷺ كل معانى الرحمة وقال لها «أعتقك وأتزوجك وإن شئت أن ترجعى إلى أهلك فارجعى» فزال ما بها من هم وغم وكرب ورفضت أن ترجع إلى أهلها وهذا يبين أن الرسول ﷺ قد أعطاها مطلق الحرية فى أن تعود إلى أهلها ولكنها لما وجدت رقة قلب الرسول ﷺ ورحمته فى التعامل معها رفضت الرجوع إلى أهلها ووافقت بكامل إرادتها على الزواج من الرسول ﷺ والرسول ﷺ عرض عليها الزواج كموقف إنسانى بحت الذى دفعه إليه ظروفها الإنسانية القاسية وكان الرسول ﷺ فى ذلك الوقت وهو ٦٢٨م يبلغ من العمر ثمانية وخمسين عامًا وعلى أبواب الستين من عمره ولديه من الزوجات ثمانية حيث إن صفية بنت حيى هى الزوجة التاسعة، ماتت زوجتان فيكون مع الرسول ﷺ ست زوجات فلا يمكن أن يكون الغرض من الزواج الشهوة الجسدية فى ذلك العمر بل كان الغرض من الزواج هو المواساة والرحمة طبقًا للمثل العربى «ارحموا عزيز قوم ذل».

الخامس عشر: ويرى المؤلف أن سبب الزواج من صفية بنت حيى ليس كما يقول المستشرقون الشهوة الجنسية بل إن السبب الحقيقى هو نصرة الدعوة

الإسلامية بزواجه من بنات زعماء أعدائه من يهود بنى خيبر وقبلها بنى النضير لكى يتجنب عداوة اليهود بهذه المصاهرة ولكى يخفف من الحالة النفسية لبنات زعماء أعدائه ويحفظ لهن كرامتهن فالمصاهرة عزوة يستعان بها فى الشدائد وبمصاهرة يهود بنى خيبر يضمن التحالف مع المسلمين بالمصاهرة كما حدث مع يهود بنى النضير.

الفصل الثانى
عمرة القضاء
ذو القعدة العام ٧هـ عام ٦٢٨م

وسوف نتحدث عن عمرة القضاء فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: وقائع عمرة القضاء.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى وقائع عمرة القضاء.

وذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول
وقائع عمرة القضاء

أولاً: بعد أن وقع الرسول ﷺ على هدنة الحديبية فى ذى القعدة من العام السادس للهجرة ٦٢٧ كان أحد شروط الهدنة أو الصلح كما تسميها كتب السيرة النبوية أن يعود الرسول ﷺ والمسلمون إلى المدينة فى ذلك العام ولا يدخلوا مكة ولا يؤدوا العمرة هذا العام على أن يأتوا فى العام القادم فى ذى القعدة فى ٦٢٨م ليؤدوا العمرة ويدخلوا مكة لمدة ثلاثة أيام على أن يخرج كفار قريش لمدة ثلاثة أيام خارج مكة حتى يتمكن المسلمون من أداء العمرة، هذه بنود ونصوص صلح الحديبية التى سبق أن ذكرناها.

ثانياً: وفى ذى القعدة من العام السابع للهجرة ٦٢٨م خرج الرسول ﷺ ومعه ألفان من المسلمين لأداء العمرة كما تم الاتفاق عليه فى صلح الحديبية وتوجه المسلمون إلى مكة.

ثالثاً: ودخل المسلمون مكة بعد أن خرج كفار قريش لمدة ثلاثة أيام وأدوا العمرة لمدة ثلاثة أيام وبعدها عادوا للمدينة.

المبحث الثانى
رأى المؤلف فى عمرة القضاء

أولاً: الرسول ﷺ التزم بالوفاء بعهده فى صلح الحديبية فقد خرج مع المسلمين وعددهم ألفا مسلم لا يحملون أى سلاح أو عتاد حربى بل كل ما يحملونه سلاحهم الشخصى وهو السيوف ومعهم الإبل لنحرها.

ثانياً: حينما خشى الرسول ﷺ من غدر كفار قريش بمهاجمة المسلمين غدراً أرسل الرسول ﷺ للاستطلاع مائة فارس وأمرهم بعدم دخول مكة حتى لا ينقض بنود صلح الحديبية التى وقع عليها رغم قسوة شروطها على المسلمين ولكن الرسول ﷺ وقع عليها وعليه الوفاء بتعهده فالإسلام أحد مبادئه الوفاء بالعهود.

ثالثاً: عندما دخل المسلمون مكة لأداء العمرة طاف المسلمون بالكعبة وهم يقولون فى صوت واحد «**لبيك لبيك لا إله إلا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وخذل الأحزاب وحده**» ثم انتقل بعد ذلك إلى الصفا والمروة وفى اليوم التالى صعد بلال فوق سقف الكعبة وأذن لصلاة الظهر فصلى الرسول ﷺ والمسلمون فى مكة حول الكعبة لأول مرة فى تاريخ الدعوة الإسلامية جهاراً نهاراً وكان إمامهم الرسول ﷺ وخلفه ألفان من المسلمين وبذلك وضع الرسول ﷺ سنة أداء العمرة من الطواف إلى الانتقال إلى الصفا والمروة وغيرها من الخطوات والإجراءات.

رابعاً: خرج كفار قريش خارج مكة لمدة ثلاثة أيام وهم يشاهدون خطوات إجراء العمرة الإسلامية وصلاة المسلمين ويستمعون إلى القرآن الكريم والتزم

المسلمون بالوفاء بعهودهم لذلك دخل الإسلام أشد أعداء الإسلام قسوة تجاه الإسلام فإثر عمرة القضاء توجه خالد بن الوليد قائد قوات كفار قريش من مكة إلى المدينة ليعلن إسلامه بحرية تامة وعن اقتناع تام دون أن يجبره أحد ثم تبعه بعد ذلك وتوجه إلى المدينة عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة وكل هؤلاء كان لهم دورهم الريادى فى تقويه الدعوة الإسلامية ونصرة المسلمين وقد توجه خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة مسافة خمسمائة وعشرين كيلو مترًا ليعلنوا إسلامهم باختيارهم الحر ليتحولوا من أعداء للإسلام إلى نصرة الإسلام ويعلنوا إسلامهم أمام الرسول ﷺ فى المدينة.

خامساً: عندما خرج الرسول ومعه ألفان من المسلمين والصحابة لأداء عمرة القضاء فى العام السابع للهجرة فى ٦٢٨م ترك بالمدينة عريف بن الأخبط ليدير شئونها فى غيبة الرسول ﷺ.

سادساً: لقد سميت العمرة التى قام بها المسلمون فى العام التالى لصلح الحديبية بعمرة القضاء لأنها قضاء عن عمرة الحديبية فى العام السابق أو لأنها وقعت حسب المقاضاة أى المصالحة التى وقعت فى الحديبية.

الفصــل الثالــث
غزوة مؤتة

سوف نبحث غزوة مؤتة فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: غزوة مؤتة.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى غزوة مؤتة.

وذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول
غزوة مؤتة
فى جمادى الأول ٨هـ ٦٢٩م

أولاً: أثناء نشأة الدولة الإسلامية الأولى كان يوجد حولها دولتان من أكبر إمبراطوريات العالم الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية البيزنطية وكان القتال بينهم لا يهدأ والحروب متواصلة بينهم وقد كانت العملات السائدة فى مكة وشبه الجزيرة العربية والمدينة عامة هى الدينار والدرهم وهما عملتان أجنبيتان، الدينار أصله يونانى وهو وحدة ذهبية أما الدرهم فقد استعاره العرب من الدولة الفارسية وهو وحده فضية وقد كان العرب وخاصة أهل قريش همزة الوصل فى

التجارة وكانت القبائل العربية تقوم برحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة ورحلة الصيف إلى الشام ومن هنا نشأت علاقة العرب بغيرها من الدول المجاورة عن طريق القوافل التجارية بين القبائل العربية والولايات البيزنطية والفارسية.

ثانيًا: وقد أرسل الرسول ﷺ فى العام الثامن من الهجرة فى ٦٢٩م رسولاً له هو الحارث بن عمير الأزدى إلى ملك بصرى ضمن الرسل التى كان يرسلهم الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء فى العام السابع والثامن من الهجرة فى عام ٦٢٨م، ٦٢٩م فقام الرسول ﷺ كما تذكر كتب السيرة ببعث رسول بكتاب ممهور بختمه إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام بالحسنى فى الدول المجاورة لشبه الجزيرة العربية ولكن الرسول الذى أرسله الرسول ﷺ إلى ملك بصرى قابله عمرو بن شرحبيل الغسانى فى مؤتة وقتله، ومؤتة هى عبارة عن قرية صغيرة جنوب بلاد الشام التابعة للدولة البيزنطية.

ثالثًا: عندما قام أمير مؤتة عمرو بن شرحبيل بقتل مندوب الرسول ﷺ الحارث بن عمير الأزدى وهو يحمل رسالة إلى ملك بصرى كان أمام الرسول ﷺ طريقتان إما أن يسكت على قتل رسوله أو يتوجه إلى مقاتلة القاتل أمير مؤتة عمرو بن شرحبيل والرسول ﷺ يعلم مقدمًا أن مؤتة ولاية تابعة للدولة البيزنطية وهى من أكبر إمبراطوريات العالم فى ذلك الوقت واختار الرسول ﷺ الطريق الثانى.

رابعًا: أرسل الرسول ﷺ حملة تضم ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة زيد بن حارثة وما أن وصلت القوات الإسلامية إلى منطقة معان بالقرب من مؤتة كان هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية قد حشد مائة ألف مقاتل من الدولة الرومانية بقيادة أخى الإمبراطور واسمه تيودور وقد انضمت قبائل أخرى تابعة للدولة الرومانية البيزنطية إلى الجيوش البيزنطية من قبائل لخم وجذام وبهراء وغيرها واشتبكت القوات البيزنطية مع القوات الإسلامية فى مؤتة ونظرًا للفرق فى العدة والعتاد كانت المعركة لصالح القوات البيزنطية.

المبحث الثانى

رأى المؤلف فى غزوة مؤتة

أولاً: هذه ليست غزوة بالمعنى المتعارف عليه فى الغزوات فى معاجم اللغة بل هى واقعة دفاع عن النفس فقد قام عمرو بن شرحبيل الغسانى أمير مؤتة التابعة للدولة البيزنطية بقتل أحد المسلمين بدون وجه حق فقد كان يحمل رسالة ممهورة بختم الرسول ﷺ إلى ملك بصرى يدعوه فيها للإسلام.

ثانياً: القوات الإسلامية بقيادة زيد بن حارثة كانت تضم ثلاثة آلاف مقاتل فقط لتأديب عمرو بن شرحبيل ومواجهة القوات المحلية الموجودة فى مؤتة فلم تكن لغزو مؤتة بل لتأديب أميرها لأنه قتل أحد المسلمين بدون وجه حق وهذه ليست غزوة كما يقول المستشرقون للحصول على الغنائم لأن الرسول ﷺ والمسلمين يعلمون مقدماً أن مؤتة تابعة للدولة البيزنطية ولديها جيوش جرارة من العدة والعتاد ولا يستطيع أن يقف أمامها إلا جيوش جرارة مثل الإمبراطورية الفارسية.

ثالثاً: المسلمون وجدوا أنفسهم فى وضع حرج بقيادة زيد بن حارثة فلم يجدوا أمامهم القوات المحلية لمؤتة بل وجدوا فى مؤتة قوات الإمبراطورية البيزنطية بقيادة أخى الإمبراطور هرقل وتعدادها يزيد عن مائة ألف مقاتل أى أكثر من خمسة وثلاثين ضعف القوات الإسلامية فلم يكن أمام القوات الإسلامية إلا خيار واحد هو القتال.

رابعاً: استشهد فى المعركة قائد القوات الإسلامية زيد بن حارثة ثم خلفه فى قيادة القوات جعفر بن أبى طالب واستشهد ثم خلفه فى قيادة القوات الإسلامية عبد الله بن رواحة واستشهد ثم خلفه فى قيادة القوات الإسلامية خالد بن الوليد ونظراً لمهارة خالد بن الوليد العسكرية وضع خطة عسكرية فيها خداع وتمويه بحيث أوهم القوات البيزنطية بأن إمدادات كبيرة قد وصلته من شبه الجزيرة العربية فانتظرت القوات البيزنطية وفى هذه الأثناء استطاع خالد بن

الوليد أن ينسحب بالقوات الإسلامية المتبقية لينجو بها من هذه الأعداد الكبيرة من القوات البيزنطية وقد أثنى الرسول ﷺ على خالد بن الوليد برجوعه للمدينة بعد خطة انسحابه لأن معنى استمراره فى المعركة فناء القوات الإسلامية كلها.

خامساً: ويرى المؤلف أن خالد بن الوليد أنقذ جيش المسلمين من موت مؤكد، لأن الذين استشهدوا فى هذه المعركة بفضل ذكاء وخطة خالد بن الوليد هم اثنا عشر مسلمًا فقط من ثلاثة آلاف مقاتل على رأسهم كما ذكرنا جعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحه رغم أن جيوش القوات البيزنطية أكثر من مائة ألف مقاتل مجهزة عسكريًا بأحداث الآلات الحربية فى ذلك الوقت وكانت هذه أول مواجهة بين القوات الإسلامية والقوات البيزنطية جنوب بلاد الشام.

الفصل الرابع
وقائع فتح مكة

سوف نتناول وقائع فتح مكة في رمضان العام الثامن للهجرة ٦٢٩ فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: وقائع فتح مكة.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى وقائع فتح مكة.

وذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول
وقائع فتح مكة

أولاً: بعد أن عرفت القبائل العربية قوة المسلمين فى شبه الجزيرة العربية ومبادئ الإسلام السمحة وخاصة بعد صلح الحديبية فى العام السادس للهجرة فى عام ٦٢٧م بدأت القبائل العربية تنضم إلى المدينة فى تحالفات وكان من ضمن هذه القبائل قبيلة خزاعة.

ثانياً: كان بين قبيلة خزاعة الحليف للمسلمين نزاع قديم وثأر قديم مع قبيلة بنى بكر حليف كفار قريش وبعد أن علم كفار قريش بهزيمة القوات الإسلامية فى موقعة مؤتة فى جمادى الأول فى العام الثامن من الهجرة فى ٦٢٩م تجاسروا على المسلمين ونقضوا صلح الحديبية وخانوا العهد المبرم معهم حيث قاموا

بتحريض جماعة بنى بكر حليفهم على جماعة خزاعة حليفة المسلمين بأن يهجموا عليهم ليلاً ويقتلوهم وقام كفار قريش بإمداد جماعة بنى بكر بالسلاح والعتاد للقيام بهذه المهمة منتهزين فرصة حالة الإحباط التى أصابت المسلمين بهزيمتهم فى موقعة مؤتة ضد القوات الرومانية البيزنطية وأنهم لن يناصروا حلفائهم من جماعة خزاعة فى هذه الظروف النفسية القاسية التى يمر بها المسلمون.

ثالثًا: وفى الليل قامت جماعة بنى بكر حلفاء كفار قريش بالهجوم على جماعة خزاعة حليفة المسلمين وقتلوا منهم الكثيرين وقام أفراد جماعة خزاعة بالاحتماء بالحرم ودخلوا الكعبة ولكن جماعة بنى بكر قاموا بمناصرة كفار قريش ودخلوا وراءهم الكعبة دون أى مبالاة بحرمة الكعبة وقتلوا الكثيرين من جماعة خزاعة.

رابعًا: إثر ذلك خرج عمرو بن سالم الخزاعى أحد أشراف خزاعة من مكة إلى المدينة مستنجداً بالرسول ﷺ والمسلمين حلفاء جماعة خزاعة لما فعله كفار قريش وحلفاؤهم بنو بكر بهم داخل البيت الحرام وعندما تأكد الرسول ﷺ من أن قريشًا قد أهدرت بنود صلح الحديبية الذى يقضى بعدم القتال بين المسلمين وحلفائهم وكفار قريش وحلفائهم لمدة عشر سنوات قام الرسول ﷺ والمسلمون بمناصرة حلفائهم من جماعة خزاعة بمكة.

خامساً: أدرك أشراف قريش أنهم نقضوا اتفاقية الحديبية وأن عواقب ذلك معناها الحرب فأرسلوا أبا سفيان إلى المدينة ليصلح الأمور مع المسلمين حتى لا تتدهور العلاقات بين المسلمين وكفار قريش ولكنه فشل فى مهمته لأن حلفاء الرسول ﷺ استنجدوا به من بنى خزاعة ووعدهم بالوقوف إلى جانب الحق وفى سرية تامة أعد القوات الإسلامية للوقوف إلى جانب بنى خزاعة وتوجه الرسول ﷺ إلى مكة ومعه ثلاثة آلاف وتسعمائة مقاتل وأثناء توجهه فى سرية تامة من المدينة إلى مكة انضمت إليه الكثير من القبائل التى اعتنقت الإسلام وهى قبائل تميم وقيس وأسد وجهينة ومزينة وسليم وأسلم وغفار وقد بلغ عدد القوات الإسلامية عشرة آلاف مقاتل وقيل اثنى عشر ألف مقاتل ودخل الرسول ﷺ مكة دون سفك دماء.

المبحث الثانى
رأى المؤلف فى وقائع فتح مكة

أولاً: كتب السيرة تسمى وقائع فتح مكة و بغزوة مكة فى حقيقة الأمر هذه ليست غزوة كما تقول معاجم اللغة، بل هى تأديب لكفار قريش لأنهم نقضوا اتفاقية الحديبية التى تلزمهم بعدم الاعتداء على المسلمين وحلفاء المسلمين لمدة عشر سنوات ولكنهم نقضوا العقد باعتدائهم ومعهم حلفاؤهم من بنى بكر على حلفاء الرسول ﷺ من بنى خزاعة وحلفاء المسلمين وخاصة أنه ورد بالقرآن فى سورة المائدة الآية ١ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» والقرآن كما نعرف دستور المسلمين.

ثانيًا: يرى المؤلف أن فتح مكة لم يكن غزوًا بل كان حق دفاع شرعى لأنه باعتداء كفار قريش وحلفاؤهم من بنى بكر على حلفاء المسلمين من بنى خزاعة تولد فى هذه اللحظة حق الدفاع الشرعى المعترف به دوليًا فى كل زمان ومكان بأن المعتدى عليه من حقه الشرعى الدفاع عن النفس ولا يمكن للحالة القانونية للدفاع عن النفس أن تسمى غزوة لأن الوضع القانونى للمسلمين أنهم كانوا موجودين فى المدينة وليست لديهم نية غزو مكة للاستيلاء عليها جبرًا ولكن الذى حدث أن كفار قريش وحلفائهم اعتدوا على حلفاء الرسول ﷺ وحلفاء المسلمين استنجدوا بالرسول ﷺ والمسلمين فمن حق المسلمين إغاثة حلفائهم والدفاع عنهم من اعتداء أعداء المسلمين وهى حالة دفاع شرعى لا يختلف عليها اثنان وكان يمكن أن تسمى وقائع فتح مكة غزوة لو لم يحدث اعتداء من كفار قريش وحلفائهم على حلفاء المسلمين ولكن هذا الاعتداء الذى يخالف اتفاقية الحديبية خلق مركزًا قانونيًا للمسلمين وحلفائهم برد ذلك الاعتداء وهو ما يطلق عليه قانونًا وشرعًا حق الدفاع عن النفس.

ثالثًا: اختلفت كتب السيرة فى تعداد القوات الإسلامية البعض قال عشرة آلاف والبعض قال اثنى عشر ألفًا وهذه القوات من المسلمين من القبائل التى أسلمت بحر إرادتها وهى قبائل تميم وقيس وأسد وجهينة ومزينة وسليم وأسلم

وغفار وهذا يؤكد للمستشرقين أن الإسلام انتشر بالإرادة الحرة والاختيار الحر لأن كل كتب التاريخ الإسلامى وكتب السيرة النبوية لم تذكر أى وقائع حربية بين المسلمين وهذه القبائل التى ذكرتها وانضمت قواتها طواعية وبإرادتها الحرة للقوات الإسلامية أثناء توجهها إلى مكة.

رابعاً: من الحنكة العسكرية للرسول ﷺ أثناء وقائع فتح مكة أنه أثناء الإعداد لفتح مكة أرسل جيش من قوات المسلمين بقيادة أبى قتادة الأنصارى إلى منطقة أخرى عكس مكة إلى منطقة بطن أضم فى رمضان من العام الثامن للهجرة فى ٦٢٩م ليخدع كفار قريش حتى لا يتولد بهم إحساس بأن المسلمين سوف يردون على كفار قريش بسبب نقضهم لاتفاقية الحديبية وبالتالى لن يعرفوا موعد حضور القوات الإسلامية إلى مكة لأنه ليس من المعقول أن تشترك القوات الإسلامية فى حربين فى زمن واحد فى مكة وفى بطن أضم.

خامساً: أثناء توجه القوات الإسلامية فى طريقها إلى مكة حضر الكثير من أشراف قريش إلى الرسول ﷺ قبل دخوله مكة يعلنون إسلامهم وعلى رأسهم عم الرسول ﷺ العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبى أمية المخونى:

سادساً: عند دخول القوات الإسلامية الجرارة فى مضيق الوادى عند مدخل الجبل إلى مكة لم يصدق كفار قريش أن المسلمين استطاعوا تجميع هذه القوات كلها لذلك توجه للرسول ﷺ أبو سفيان بن حرب عند مضيق الوادى وأعلن إسلامه دون علم قريش ورغم أن أبا سفيان هو ألد أعداء المسلمين وهو الذى كان يقود قوات كفار قريش وحلفاءهم لقتل الرسول ﷺ إلا أن الرسول ﷺ من رحمة قلبه بأعدائه وخاصة أبا سفيان وكفار قريش قال الرسول ﷺ عند إسلام أبى سفيان «إن من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن» ومعنى ذلك أن الرسول ﷺ لن يقاتل عند دخوله مكة إلا من يخرج لمقاتلة قوات المسلمين وانطلق أبو سفيان مسرعاً إلى قريش ونادى فيهم «يا معشر قريش قد جاءكم محمد بما لا قبل لكم به ومن أغلق بابه فهو آمن وقد

وعد الرسول بذلك» ورغم قدرة القوات الإسلامية على قتل كل كفار قريش إلا أن الرسول ﷺ أعلن أن من يدخل داره فهو آمن.

سابعاً: وقرر الرسول ﷺ بهذا الأمان الذى أعطاه لأبى سفيان من دخول مكة دون سفك دماء ولكن الرسول ﷺ زيادة فى الحيطة العسكرية وخوفًا من غدر كفار قريش بالمسلمين وضع الرسول ﷺ خطة عسكرية لدخول مكة بدخول مكة من الأربع جهات فى وقت واحد، فقسم الجيش الإسلامى إلى أربعة جيوش أولها بقيادة قيس بن سعد بن أبى عبادة من جهة الغرب والزبير بن العوام ودخل بقواته من ناحية الشمال الشرقى والقوات بقيادة أبى عبيدة بن الجراح دخلت من ناحية الشمال الغربى وقوات خالد بن الوليد من ناحية الجنوب وكما توقع الرسول ﷺ الغدر من قوات كفار قريش فقد دخلت كل الجيوش الإسلامية بأمان إلا جيش خالد بن الوليد الذى دخل من ناحية الجنوب ففوجئ بقوات من كفار قريش بقيادة عكرمة بن أبى جهل تهاجم قوات خالد بن الوليد ودارت بينهم معركة قتل فيها من كفار قريش ثلاثة عشر مقاتلاً واستشهد من جيش المسلمين ثلاثة وبعد انتهاء المعركة قد أعطى الرسول ﷺ الأمان لعكرمة بن أبى جهل فأسلم وقبل الرسول ﷺ إسلامه رغم أن الرسول ﷺ كان يستطيع قتله لغدره ونقض الاتفاق الذى كان مع أبى سفيان فى أن يدخل الرسول وقواته دون سفك دماء.

ثامناً: وبعد ذلك وصل الرسول ﷺ إلى الكعبة وهو على ناقته التى تسمى القصواء وهو يرتدى عمامة سوداء ومعه الصحابة وطاف بالكعبة سبع مرات وبعد ذلك وجه الرسول ﷺ كلامه إلى أهالى قريش قائلاً لهم «يا معشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم» قالوا «خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم» قال «اذهبوا فأنتم الطلقاء» وفى هذه الوقعة أقول للمستشرقين.. ألم يكن فى استطاعة الرسول ﷺ قتل كفار قريش والاستيلاء على أموالهم كما فعلوا بالمسلمين وهذا يؤكد أن المستشرقين حينما قالوا إن غزوات الرسول ﷺ كانت طمعًا فى المال فإنهم فى قولهم هذا مغرضون لأنه ﷺ دخل مكة وأصدر عفوًا عامًا عن كل أهالى مكة ولم يحصل على أية غنائم رغم غنى أهالى قريش والأموال الطائلة التى كان يستطيع المسلمون الحصول عليها فالقضية ليست قضية غنائم بل القضية أنه أعطى

القدوة لشبه الجزيرة العربية بالعفو عند المقدرة بالأمس القريب كان كفار قريش يريدون قتل الرسول ﷺ واليوم الرسول ﷺ يقول لهم بكل التسامح «اذهبوا فأنتم الطلقاء».

تاسعًا: وبعد ذلك طاف الرسول ﷺ بالكعبة وهو يردد ما ورد فى سورة الإسراء الآية ٨١ «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» ومعه المسلمون ثم أمر الرسول ﷺ بإزالة الأصنام داخل وخارج الكعبة وأذن بلال للصلاة فوق الكعبة ليصلى الرسول ﷺ إمامًا بالمسلمين لأول مرة علنًا داخل مكة المكرمة وأقام الرسول ﷺ فى مكة لمدة خمسة عشر يومًا وعاد إلى المدينة عاصمة الدولة الإسلامية الأولى.

عاشرًا: عندما قام المسلمون بتحطيم الأصنام وتكسيرها كان عدد هذه الأصنام ثلاثمائة وستين صنمًا حول الكعبة وبذلك ارتفعت راية التوحيد ودخل أهالى قريش للإسلام بكامل حريتهم بعد أن قال لهم الرسول ﷺ «اذهبوا فأنتم الطلقاء» فقد أصدر الرسول عفوًا شاملاً لهم جميعًا ولم يقل لهم الرسول ﷺ من يدخل الإسلام فهو طليق بل قال لهم اذهبوا جميعًا فأنتم الطلقاء لأن الإسلام ينطلق من قاعدة صريحة لا إكراه فى الدين، لذا فإن كفار قريش أسلموا بكامل حريتهم وبكامل إرادتهم.

الحادى عشر: يرى المؤلف أن من أهم أسباب إسلام كفار قريش أن كفار قريش يعرفون ماذا فعلوا بالرسول ﷺ وبالمسلمين أثناء الدعوة السرية للإسلام وأثناء الدعوة العلنية للإسلام وماذا فعلوا بالمسلمين قبل الهجرة إلى المدينة من التنكيل بالمسلمين وإيذائهم وقتلهم وضربهم واضطهادهم وكفار قريش يعرفون ماذا فعلوا بالمسلمين والرسول ﷺ فى الغزوات حيث كانوا يتوجهون ومعهم الجيوش الجرارة والعدة والأسلحة الحربية ويسيرون فى طرق وعرة لمسافة خمسمائة وعشرين كيلو متر لا هدف لهم إلا هدف واحد هو قتل الرسول ﷺ وفعلاً استطاعوا أن يتمكنوا من الرسول ﷺ فى موقعة أحد وشقوا جبينه الكريم

وأسقطوا سنتين من فمه الشريف وكادوا أن يقتلوه بالسيف ورغم كل ذلك يقول لهم الرسول ﷺ «اذهبوا فأنتم الطلقاء» إنها سماحة لم يروها طوال حياتهم ولم يسمعوا عنها لذلك كان إسلام كفار قريش عن قناعة بما رءوه على الطبيعة وأمام أعينهم.

الثانى عشر: وقد ذكرت كتب السيرة أن كفار قريش أثناء اعتداء بنى بكر على بنى خزاعة اشتركوا فى القتال مع بنى بكر متخفين فى الليل وهذا فيه نقض واضح لهدنة الحديبية حتى أن بنى خزاعة أنصار المسلمين لم يحموا أنفسهم من هذه الأعداد الكبيرة التى تعتدى عليهم من بنى بكر وأنصارهم كفار قريش تذكر كتب السيرة أنهم دخلوا المسجد الحرام ليحتموا به ولكن بنى بكر لم يراعوا حرمة البيت الحرام ودخلوا خلف بنى خزاعة ليقتلوهم فهرب أبناء بنى خزاعة واحتموا بدار بديل بن ورقاء ودار رافع ولكن بنى بكر وكفار قريش تظاهروا خارج الدارين يريدون قتل كل أبناء خزاعة أنصار الرسول ﷺ، كل ذلك رغم وجود عقد الحديبية الذى يمنع القتال لمدة عشر سنوات ووقعوا عليه العام الماضى فقط بمنع القتال بين كفار قريش وحلفائهم والمسلمين وحلفائهم، رغم كل ذلك يقول الرسول فى سماحة الإسلام اذهبوا فأنتم الطلقاء ولا يعاقبهم من جراء تصرفهم.

الثالث عشر: يقول المستشرق بندلى جوزى أن سبب العفو العام الذى أعلنه الرسول ﷺ عن أهالى مكة سببه استسلام قريش وليس سماحة الرسول ﷺ ويرى المؤلف غير ذلك لأن الرسول ﷺ حينما دخل مكة كان فى مقدوره أن ينتقم من كفار قريش وخاصة أبا سفيان لما فعلوه مع المسلمين طوال ثلاثة عشر عامًا قضاها الرسول ﷺ فى مكة بعد الوحى وهجرة الرسول ﷺ والمسلمين من مكة إلى المدينة واستيلاء كفار قريش على كل شىء للمسلمين وهذه الحروب المتكررة لقتل الرسول ﷺ وخاصة غزوة أحد التى كاد أن يقتل فيها الرسول ﷺ وكان فى مقدور الرسول ﷺ أن يقتل كل أبناء قريش ويستولى على كل أموالهم إذا كانت القضية غنائم كما يردد المستشرقون ولكن الرسول ﷺ بسماحته وسماحة

الإسلام أعطاهم العفو العام وكان ذلك أكبر مشجع لكفار قريش لاعتناق الإسلام عندما شاهدوا بأعينهم مبدأ العفو عند المقدرة يتحقق أمام أعينهم ليعلن سماحة الإسلام وأن الإسلام ليس دين دم وقتل لذلك اعتنقوا الإسلام عن قناعة وإرادة حرة وكانوا يكسرون الأصنام التى يعبدونها بأيديهم لعبادة الله الواحد لدرجة أن النساء والرجال من كفار قريش كان يكسرون الأصنام داخل منازلهم ويحطمونها بأيديهم وهم يقولون «لقد غررنا منكم حينًا من الدهر» لذلك أقول للمستشرق بندلى جوزى إن تشويهك للرسول ﷺ ليس له إلا معنى واحد هو أن حقدك الأسود على الإسلام والرسول ﷺ جعلك تقلب الحقائق رأسًا على عقب.

الباب السابع

دعوة الحكام للإسلام

حتى انتصار المسلمين على الدولة البيزنطية

وسوف نتناول في هذا الباب دعوة الحكام للإسلام حتى انتصار المسلمين على الدولة البيزنطية فى عدة فصول على النّحو التالى تفصيلاً.

الفصل الأول: رسائل الرسول ﷺ للحكام يدعوهم للإسلام.

الفصل الثانى: غزوة حنين وحصار الطائف.

الفصل الثالث: غزوة تبوك.

الفصل الرابع: زوجات الرسول ﷺ الإحدى عشر.

وذلك على النحو التالى تفصيلاً..

الفصل الأول

رسائل الرسول ﷺ للحكام يدعوهم للإسلام

سوف نتحدث عن الرسائل التى أرسلها الرسول ﷺ للحكام والملوك والأمراء يدعوهم للإسلام بالحسنى فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول: رسائل الرسول ﷺ للحكام يدعوهم للإسلام.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى رسائل الرسول ﷺ للحكام يدعوهم للإسلام.

وذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول

رسائل الرسول ﷺ للحكام يدعوهم للإسلام

أولاً : بعث الرسول ﷺ فى يوم واحد من محرم من السنة السابعة من الهجرة فى عام ٦٢٨م برسائل للحكام يدعوهم للدخول إلى الإسلام وكان كل رسول من قبل الرسول ﷺ مبعوث برسائله مكتوبة وعليها ختم الرسول ﷺ الذى كان فى ثلاثة سطور فى سطر مكتوب محمد وفى السطر الثانى مكتوب رسول والسطر الثالث مكتوب الله وكانت تقرأ كلها «محمد رسول الله» وكان المبعوثون الذين أرسلهم للحكام والأمراء والملوك يدعوهم للإسلام هم ورعاياهم على النحو التالى:

١ - أرسل عمرو بن أمية الضميرى برسالة إلى النجاشى حاكم الحبشة.

٢ - وأرسل دحية بن خليفة الكلبى برسالة إلى هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية على أن يقابل حاكم ولاية بصرى التابعة للدولة البيزنطية الرومانية وهو بدوره يرسله إلى هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية.

٣ - وأرسل الرسول ﷺ حاطب بن أبى بلتعة اللخمى برسالة إلى المقوقس حاكم مصر التابعة للدولة البيزنطيية.

٤ - وأرسل عبدالله بن حذافة السهمى برسالة إلى كسرى حاكم الدولة الفارسية.

٥ - وأرسل شجاع بن وهب الأسدى برسالة إلى الحارث الغسانى حاكم غسان التابعة للدولة البيزنطية.

٦ - وسليط بن عمرو العامرى برسالة إلى هوذه بن على الحنفى حاكم اليمامة.

ثانياً : وفى العام التالى الثامن من الهجرة فى عام ٦٢٩م أرسل الرسول ﷺ مبعوثين إلى حكام آخرين يدعوهم للإسلام ورعاياهم مواطنى دولتهم وذلك على النحو التالى :

١ - أرسل الرسول ﷺ العلاء بن الحضرمى برسالة إلى المنذر بن ساوى العبدى أمير البحرين.

٢ - وأرسل الرسول ﷺ مبعوثين برسائل إلى معظم القبائل العربية فى شبه الجزيرة العربية، أرسل إلى قبائل كنده وحمير وطىء وخزام وسليم وجهينة.

المبحث الثانى

رأى المؤلف فى الرسائل التى أرسلها الرسول ﷺ للحكام

أولاً : الرسول ﷺ كان ينشد نشر الإسلام خارج الجزيرة العربية وإدخالها بالحسنى لذلك أرسل الرسائل إلى الحكام والأمراء والملوك بلغة متواضعة تحتوى على الفقرات الآتية :

١ - بدأ الرسالة باسم الله الرحمن الرحيم.

٢ - وكان يذكر اسمه محمد بن عبدالله ورسوله.

٣ - يذكر للحاكم أنه إذا أسلم يسلم.

٤ - إن لغة الخطابة ليس فيها أى تهديد أو وعيد بل يدعوهم إلى الإسلام باختيارهم الحر.

٥ - وفى حالة عدم الإسلام عليهم دفع الجزية.

٦ - يختم الرسالة بختم «محمد رسول الله».

ثانيًا : كان رد الحكام والأمراء متباين بعضهم به لباقة وذوق وكان بعض الحكام يرسل الرد بدون لياقة أو ذوق فمن الحكام الذين أرسلوا الرد على رسائل الرسول ﷺ بأدب وذوق وهم :

١ - قيصر إمبراطور الدولة الرومانية رد أنه يعلم أنه رسول من عند الله ولكنه عرض الإسلام على الروم ولكنهم رفضوا.

٢ - المقوقس حاكم مصر من قبل الدولة الرومانية رد بأن أكرم مبعوث الرسول ﷺ ولكنه رفض الإسلام وأرسل مع مبعوث الرسول ﷺ بهدية للرسول ﷺ عبارة عن جاريتين هما مارية التى اصطفاها لنفسه أما الجارية الأخرى وهى شيرين فقد أهداها لحسان بن ثابت وأرسل المقوقس للرسول ﷺ كذلك بغلة بيضاء أطلق عليها اسم دلدل وحمارًا أطلق عليه اسم يعفور.

ثالثًا : بعض الحكام والأمراء كان ردهم على رسالة الرسول ﷺ بدون أى ذوق ولباقة وهم :

١ - رد كسرى ملك الفرس بأن مزق الرسالة.

٢ - رد أمير غسان بأن رمى الرسالة وقال لمبعوث الرسول ﷺ شجاع بن وهب الأسدى «إن من ينتزع ملكى إنى سأسير إليه».

٣ - رد أمير اليمامة على مبعوث الرسول ﷺ بأن طلب تعيينه حاكمًا مقابل إسلامه.

رابعًا : بعض الحكام أسلم بعدوصول الرسالة إليه :

١ - رد أمير البحرين المنذر بن ساوى العبدى بأن أسلم وبعض رعاياه وهو الذى أرسل له الرسول ﷺ العلاء بن الحضرمى فى العام الثامن من الهجرة فى ٦٢٩م.

٢ - وكان الرسول ﷺ قد أرسل رسائل إلى بعض القبائل العربية بعضهم أسلم بوصول الرسائل إليه وبعضهم تأخر إسلامه إلى ما بعد فتح مكة.

خامسًا : يردد بعض المستشرقين أن الرسائل التى أرسلها الرسول ﷺ إلى ملك الفرس وملك الروم وعظيم مصر مزورة وذلك لأن المسلمين كانوا فى حالة ضعف فكيف يجرءون على مخاطبة ملكى الفرس والروم وعظيم القبط فى مصر ولكن المؤلف يرى غير ذلك لأن هذه الرسائل موجودة فى كتب السيرة النبوية لابن إسحاق وابن هشام وفى صحيح البخارى وصحيح مسلم، هذا بالإضافة إلى أنى أنا شخصيًا زرت دير سانت كاترين بسيناء وبه مكتبة أثرية بها عشرات الآلاف من الكتب الأثرية والمخطوطات الأثرية منها رسالة الرسول ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط.. فكيف تكون مزورة وهى لها أصول ثابتة وقد تم إرسال هذه الرسائل فى العام الثامن والسابع للهجرة فى عام ٦٢٨، ٦٢٩م وذلك قبل عام واحد فقط من غزوة تبوك التى حدثت فى رجب ورمضان العام التاسع من الهجرة ٦٣٠م وفيها انسحب هرقل إمبراطور الدولة الرومانية من أمام قوات الرسول ﷺ ولم يجرؤ على مواجهة القوات الإسلامية فكيف يقول المستشرقون إن الرسول ﷺ والدولة الإسلامية كانت ضعيفة ولا يجرؤ الرسول ﷺ على مخاطبة إمبراطور الدولة البيزنطية ولذلك فالرسائل مزورة أى عقل هذا الذى يتصور أن الرسول يذهب بقواته إلى تبوك لمواجهة هرقل وينسحب هرقل وبعد ذلك يقول المستشرقون إن الرسول لا يجرؤ أن يرسل له رسالة.. إنه تحليل فاسد من عقل فاسد.

الفصل الثانى
غزوة حنين وحصار الطائف

سوف نتحدث عن غزوة حنين وحصار الطائف فى مبحثين على النحو التالى:

المبحث الأول : وقائع غزوة حنين وحصار الطائف.

المبحث الثانى : رأى المؤلف فى وقائع غزوة حنين وحصار الطائف وذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول
وقائع غزوة حنين وحصار الطائف
فى شوال من العام الثامن من الهجرة فى عام ٦٢٩م

أولاً : بعد فتح مكة خشى كثير من القبائل العربية أن يحدث بهم ماحدث لقبيلة قريش فى مكة لذلك اجتمع زعماء بعض القبائل العربية وهى قبائل هوازن وثقيف فى الطائف ونصر وجشم وسعد وغيرها من القبائل وقرروا تكوين جيش واحد منهم ومهاجمة الرسول ﷺ والمسلمين وتم تكوين الجيش بقيادة مالك بن عوف النصرى سيد قبيلة هوازن وتجمعت الجيوش وتحركت وتوجهت إلى منطقة حنين.

ثانياً : ما أن علم الرسول ﷺ بذلك حتى كون جيشًا من المسلمين والقبائل التى أسلمت مكونًا من اثنى عشر ألف مقاتل وتوجه بهم إلى وادى حنين واستقر

بهم فى وادى حنين ولكن مالك بن عوف النصرى أخذ الجيوش الإسلامية على غرة وهى تستريح من عناء الطريق ولم يتركهم يستريحون وفاجأهم على غدر فحدثت بلبلة فى صفوف القوات الإسلامية وأوشكت الهزيمة أن تحل بالقوات الإسلامية ولكنهم انتصروا فى معركة حنين وحاصروا الطائف وهى مركز قيادتهم وقد هرب إليها الكثيرون من الفارين من معركة حنين.

المبحث الثانى

رأى المؤلف فى وقائع غزوة حنين وحصار الطائف

أولاً : كتب السيرة تقول إن وقائع حنين غزوة، ولكن فى حقيقة الأمر إنها ليست غزوة لأن قبائل هوازن وثقيف ونصر وجشم وسعد أعدوا الجيوش والأسلحة بقيادة مالك بن عوف النصرى لمهاجمة القوات الإسلامية وتوجهت هذه الجيوش فعلاً إلى حنين لمهاجمة القوات الإسلامية فالقوات الإسلامية كانت فى حالة دفاع شرعى وعندما استراحت القوات الإسلامية فى وادى حنين أخذتها قوات مالك بن عوف النصرى على غرة لتنال منها وقتلت الكثير من القوات الإسلامية فالقوات الإسلامية فى حالة دفاع شرعى وليست بغازية.

ثانياً : لم يكن فى نية الرسول ﷺ والمسلمين مقاتلة هذه القبائل ولكن خوفها أن يحدث بها ماحدث مع كفار قريش جعلها تتكتل وتتكاتف لمهاجمة المسلمين فهى البادية بالعداوة والمبدأ العربى المعروف يقول «البادئ أظلم».

ثالثاً : بعد أن أخذت قوات مالك بن عوف النصرى القوات الإسلامية على غرة ومن هول المفاجئة كادت القوات الإسلامية أن تهزم لأنه تم مهاجمتهم أثناء استراحتهم بوادى حنين ولكن الرسول ﷺ ثبت فى أرض المعركة وأثبت حنكته العسكرية والقيادية فقام بتجميع فلول القوات الإسلامية المهزومة والهاربة وبعد تجميعها مرة أخرى وهم يقولون جميعًا «لبيك لبيك» وبعد تنظيم صفوفهم شنوا هجومًا كاسحًا على القبائل الكافرة وكان النصر للقوات الإسلامية وسبى منهم

ستة آلاف وغنم المسلمون أربعة وعشرين ألف بعير وأربعين ألف شاه وأربعة آلاف أوقية فضة.

رابعًا : وأخذ الرسول ﷺ يطارد الفلول الهاربة من قوات القبائل الكافرة ولكن أغلبها هرب إلى الطائف وعلى رأسهم قائد القوات الهاربة مالك بن عوف النصرى وكان لزامًا على القوات الإسلامية أن تستمر فى مطاردة القبائل الكافرة عند دخولها الطائف لأن بها أكبر القبائل التى قررت مهاجمة الرسول ﷺ فى غزوة حنين وهى قبيلة ثقييف من الطائف.

خامسًا : وتوجه الرسول ﷺ بعد موقعة حنين إلى الطائف لحصارها وكانت حصنًا منيعًا وقد حاصرها الرسول ﷺ وقوات المسلمين لمدة شهر حاول المسلمون دخول الطائف وهى حصن كبير عن طريق المنجنيق والدبابات الخشبية دون جدوى لأن أهالى ثقيف كانوا يرمون من أعلى الحصون على القوات الإسلامية الحديد المحمى بالنار وبالنبال واستشهد فى ذلك الحصار اثنا عشر مقاتلاً على رأسهم سعد بن سعيد ابن العاص.

سادسًا : وحتى لا يهدر الرسول ﷺ طاقات المسلمين فى حصار الطائف عاد الرسول ﷺ إلى منطقة الجعرانة وأثناء ذلك أتاه وفد من هوازن وهى إحدى القبائل التى اشتركت فى غزوة حنين وقد قررت قبيلة هوازن الدخول فى الإسلام فرد لهم الرسول نساءهم وأولادهم ومالهم وطلب منهم إبلاغ سيدهم مالك بن عوف النصرى الهارب إلى الطائف إذا أسلم فإنه يرد له أمواله وأهله فهرب مالك بن عوف النصرى الهارب إلى الطائف إذا أسلم فإنه يرد له أمواله وأهله، فهرب مالك بن عوف النصرى من الطائف وأسلم على يد الرسول ﷺ وعينه قائدًا للقوات التى أسلمت من هوازن.

سابعًا : عندما علم الرسول ﷺ بتحرك القبائل بقيادة مالك بن عوف النصرى سيد قبائل هوازن وجمع الرسول ﷺ القوات الإسلامية لملاقاة القوات الكافرة من القبائل المختلفة كانت القوات الإسلامية عبارة عن اثنى عشر ألف مقاتل منهم ألفان من أهل مكة يشتركون لأول مرة فى حياتهم دفاعًا عن الدعوة الإسلامية بعد إسلامهم بعد فتح مكة كما ذكرنا وعشرة آلاف من الأنصار والمهاجرين والمسلمين من بعض القبائل المناصرة للمسلمين وقد ترك الرسول ﷺ

عتاب بن أسيد بن أبى العيص بمكة ليديرها أثناء حملة حنين وفى بداية غزوة حنين انتصر الكفار على القوات الإسلامية لأنهم أخذوهم عل غرة ولكن الغلبة كانت للقوات الإسلامية بفضل حنكة الرسول ﷺ العسكرية فى إعادة تجميع قواته وبعد انتصار المسلمين بدأ تقسيم الغنائم واستخدمها الرسول كوسيلة لجذب المؤلفة قلوبهم للاندماج مع المسلمين. وعند تقسيم الغنائم فى موقعة حنين أعطى الرسول ﷺ الحصة الكبرى للمؤلفة قلوبهم وهم قادة قريش وأشرافها الذين أسلموا فأعطى مائة من الإبل لأبى سفيان بن حرب ومائة لابنه معاوية والحارث بن الحارث والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وغيرهم وأعطى خمسين من الإبل للذين أسلموا من قريش وأقل شأنا من زعماء قريش وكانت رغبة الرسول فى إعطاء مسلمى قريش أكثر من غيرهم لكى تكون هذه الوسيلة لتأليف القلوب بين المسلمين من قبيلة قريش والمسلمين من الأنصار والمهاجرين وكادت الفتنة أن تقع لأن هذا الأمر أزعج الأنصار لأنهم اعتقدوا عن طريق الخطأ أن الرسول ﷺ وجد أحبائه فى مسلمى قريش وأنه سوف يتركهم ولكن الرسول ﷺ تدارك ذلك وأفهم الأنصار حقيقة مقصده من تأليف القلوب.

ثامنًا : كان الرسول ﷺ قبل أن يجمع الجيوش الإسلامية إلى منطقة وادى حنين قد أرسل عبدالله بن حدر الأسلمى ليعرف أخبار قبائل هوازن وثقيف ومن ناصرهم بعد أن علم بأنهم يجيشون الجيوش لمهاجمة المسلمين فالرسول ﷺ لم يتحرك بجيوشه ولم يجمعها إلا بعد أن تأكد من تحرك الجيوش الكافرة ضده بقيادة مالك بن عوف البصرى سيد قبيلة هوازن فالجيوش الإسلامية والرسول ﷺ فى حالة دفاع شرعى وليس فى حالة غزو.

تاسعًا : وكانت الجيوش الإسلامية المتوجهة إلى وادى حنين قد قسمها الرسول ﷺ بحيث يكون قائد قوات المهاجرين على بن أبى طالب وقائد قوات الخزرج الحباب بن المنذر وقائد قوات الأوس أسيد بن حضير وكانت القوات كلها تحت قيادة الرسول ﷺ وهنا تبين ذكاء الرسول ﷺ العسكرى أن كل فريق من المسلمين قائدهم من نوعهم وطائفتهم حتى لايحدث شقاق فالمهاجرون قائدهم واحد منهم والخزرج قائدهم واحد منهم والأوس قائدهم واحد منهم والجميع تحت قيادة

الرسول ﷺ وحكمته وحنكته فى الإدارة وبعد انتصار المسلمين فى المعركة تفرق وهرب الكفار إلى ثلاث فرق بعضهم لجأ إلى الطائف كما ذكرنا بقيادة مالك بن عوف النصرى سيد هوازن وبعض الكفار لجأ إلى نخلة وبعضهم لجأ إلى أوطاس وقام أبو موسى الأشعرى بمتابعة المهزومين من الكفار حتى أوطاس ويبدد شملهم وقد أصدر الرسول ﷺ أوامره فى موقعة حنين وفى متابعة المهزومين ألا يقتلوا وليدًا أو امرأة أو أجيرًا أو عبدًا مستعانًا وهذه أوامر الرسول ﷺ فى كل الحروب.

عاشرًا : كتب السيرة النبوية وخاصة سيرة ابن هشام وابن اسحاق تسمى حصار الطائف بغزوة الطائف التى وقعت فى العام الثامن من الهجرة فى عام ٦٢٩م وكيف يكون حصار الطائف غزوة وهى لا تتعدى متابعة الكفار الذين هربوا إلى الطائف بعد موقعة حنين وموقعة حنين أساسًا هى موقعة دفاع عن النفس ودفاع شرعى وبالتالى متابعة المهزومين بعد المعركة ليست غزوة بل امتداد لمعركة الدفاع عن النفس وحصار الطائف على ذلك ليس غزوة تحت أى مسمى كما تقول كتب السيرة النبوية لأن الطائف التى لجأ إليها الكفار بعد هزيمتهم عبارة عن موقع جبلى عالى وأسوار قوية وحصون دفاعية وهى حصن كبير لا يوجد له منفذ إلا من خلال الأبواب التى أغلقها أهالى ثقيف لذلك لم تنفع معها فى فتحها الدبابات الخشبية التى أعدها المسلمون وقد وجه الرسول ﷺ نداء إلى عبيد الطائف الموجودين داخل الحصن أن من يخرج من العبيد من حصن الطائف فهو حر ولما كان العبيد يسمعون عن الرسول ﷺ وأخلاقه وأخلاق المسلمين ترك ثلاثة وعشرين عبدًا حصن الطائف وخرجوا رغم إرادة أسيادهم وتوجهوا إلى الرسول ﷺ خارج الحصن فأعتقهم وأسلموا وانضموا إلى القوات الإسلامية وبعد عودة الرسول ﷺ وانصرافه عن حصار الطائف تشاور أهل الطائف وهم قبيلة ثقيف وقرروا أن يسلموا بحر إرادتهم وأرسلوا وفدًا إلى الرسول ﷺ ليطلبوا من الرسول إسلامهم وبذلك أسلم أهل الطائف كلهم عندما وجدوا أن الرسول ﷺ يتعامل مع أعدائه بالرحمة واللين ويطلب عدم قتل الأطفال والنساء وفى ذلك أبلغ الرد على المستشرقين الذين يقولون إن الإسلام انتشر بحد السيف وأهالى الطائف يردون على المستشرقين أين هو حد السيف وقد أرسل أهل الطائف وفدًا للرسول ﷺ يطلبون منه أن يدخلوا الإسلام بكامل حر إرادتهم.

اللفصل الثالث

غـــــزوة تـــــبوك

رجب - رمضان العام التاسع من الهجرة ٦٣٠م

سوف نتحدث عن غزوة تبوك فى مبحثين عل النحو التالى :

المبحث الأول : وقائع غزوة تبوك.

المبحث الثانى : رأى المؤلف فى وقائع غزوة تبوك.

وذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول

غــزوة تبــوك

أولاً : بعد فتح مكة والانتصار فى موقعة حنين وحصار الطائف بدأ الإسلام يذاع صيطه فى خارج الجزيرة العربية وبدأ الكثير من قبائل العرب يدخلون فى الإسلام بكامل حرية إرادتهم وعن قناعة بمبادئه وهذا الأمر أزعج الإمبراطورية الرومانية البيزنطية بقيادة قيصرها هرقل الذى كان له ولايات كثيرة فى شمال شبه الجزيرة العربية فى الشام والولايات المجاورة لها تابعة للدولة البيزنطية فخشى إمبراطور الدولة البيزنطية هرقل أن يمتد الإسلام من شبه الجزيرة العربية إلى الولايات التابعة للدولة الرومانية البيزنطية.

ثانياً : لذلك قرر هرقل التحرك العسكرى لمواجهة قوة المسلمين المتزايدة لأنها خطر يهدد دولته وخاصة فى الولايات التابعة له لذلك جيش الجيوش البيزنطية

فى بلاد الشام واشترك معه من القبائل العربية التى لم تسلم بعد ولها مصلحة فى القضاء على الدولة الإسلامية وهى قبائل لخم وجذام وعاملة وغسان وتمركزت الجيوش البيزنطية فى الشام أساسًا للتوجه لمهاجمة القوات الإسلامية وتوجهت إلى تبوك.

ثالثًا : وما أن علم الرسول ﷺ بذلك اضطر لتجهيز جيش من المسلمين قوته ثلاثون ألف مقاتل منهم عشرة آلاف فارس وخرج من المدينة فى رجب من العام التاسع للهجرة فى ٦٣٠ وذلك لملاقاة الجيوش البيزنطية خارج المدينة حتى لايحدث قتال داخل المدينة ووصلت جيوش المسلمين إلى تبوك فوجدوا أن الجيوش البيزنطية قد انسحبت من تبوك ليجتمعوا داخل الحصون الموجودة فى بلاد الشام وأقام الرسول ﷺ فى تبوك عشرين يومًا ولم يتقدم إلى بلاد الشام بل بدأ فى نشر الإسلام فى البلاد المجاورة لبلاد الشام ولم يحاول الرسول ﷺ مهاجمة القوات البيزنطية فى بلاد الشام لأنه لم يأت للغزو بل للدفاع عن الدولة الإسلامية لمواجهة الجيوش البيزنطية التى أعدت العدة لمحاربة القوات الإسلامية.

المبحث الثانى
رأى المؤلف فى وقائع غزوة تبوك

أولاً : غزوة تبوك ليست غزوة بل هى حق دفاع شرعى معترف به فالقوات البزنطية بقيادة هرقل بعد أن علمت بفتح مكة وانتصار المسلمين فى موقعة حنين ودخول كثير من القبائل فى شبه الجزيرة العربية فى الإسلام خشيت من قوة المسلمين على الولايات التابعة لها فى الشام وما حولها لذلك قرر هرقل مهاجمة القوات الإسلامية وأعد لذلك الجيوش وعندما علم الرسول ﷺ والمسلمون بذلك تحركت القوات الإسلامية لمواجهة القوات البيزنطية خارج المدينة وقد تحركت فعلاً القوات الإسلامية إلى تبوك فهذا ليس غزوًا بل هو حق دفاع شرعى.

ثانيًا : من الصعب أن يفكر الرسول ﷺ فى غزو بلاد الشام لأنه سبق أن اشتركت القوات الإسلامية فى موقعة مؤتة فى جمادى الأولى فى العام الثامن من الهجرة فى عام ٦٢٩م أى منذ عام واحد فقط وكانت القوات البيزنطية التى أعدها هرقل فى موقعة مؤتة اكثر من مائة ألف مقاتل مع العتاد الحربى والعسكرى المتطور وهذه القوات أعدت خصيصًا لمواجهة قوات الإمبراطورية الفارسية بعتادها العسكرى المعروف والرسول ﷺ يعرف قدراته العسكرية مهما جمع من قوات فى بداية الدولة الإسلامية لن يجمع أكثر من ربع القوات البيزنطية لذلك لا يمكن تصديق أى مقولة بأن الرسول ﷺ هو الذى تقدم لضرب القوات البيزنطية بل هو فى حالة دفاع شرعى فرضه عليه هرقل بإعداده لجيوشه وتوجه بها إلى تبوك ورغم أن الرسول ﷺ يعرف أن قواته لن تزيد عن ربع قوات هرقل لكن العقيدة والتوكل على الله فرضا عليه أن يتوجه لملاقاة القوات البيزنطية قبل أن تهجم عليه فى المدينة داخل عقر داره حيث النساء والأطفال والبيزنطيون معروف عنهم فى حروبهم مع الفرس يأتون على اليابس والأخضر ويقتلون الأطفال والنساء والشيوخ.

ثالثًا : كان جيش المسلمين ثلاثين ألفًا منهم عشرة آلاف فارس أى أقل من ثلث جيوش قوات هرقل ومع ذلك اتخذ الرسول ﷺ قرار المواجهة وهو يعلم صعوبتها لأنها فرضت عليه وقد كان تجمع القوات الإسلامية فى شهر رجب من العام التاسع للهجرة فى ٦٣٠م فى أيام شديدة الحرارة ومناخ المدينة وشبه الجزيرة العربية فى الصيف درجة حرارته فوق طاقة البشر ولا يمكن للرسول ﷺ أن يتخذ قرار الحرب إلا إذا فرض عليه العدو قرار الحرب فليس أمام الرسول ﷺ إلا الدفاع عن الدولة الإسلامية الوليدة والدعوة الإسلامية الوليدة فى عز الحر فى جو لا يعلم قسوته إلا من عاش فيه وقد زرت الرياض منذ عام تقريبًا بدعوة من الأمير عبدالله ولى عهد السعودية لحضور مؤتمر الجنادرية الثقافى وذات يوم سرت فى شوارع الرياض فى فترة الظهيرة فأصبت بضربة شمس

أقعدتنى الفراش لمدة أسبوع ومن المعروف أن مناخ الرياض مقارب لمناخ شبه الجزيرة العربية فقرار الحرب لايمكن اتخاذه فى حرارة الصيف.

رابعًا : عندما وصل المسلمون إلى تبوك حيث كانت القوات البيزنطية موجودة وجدوا أن القوات البيزنطية عندما علمت بهذا العدد الكبير من الجيوش التى أعدتها القوات الإسلامية وقد سمعوا وعلموا على مدى صلابة المقاتل الإسلامى لأنه يحارب عن عقيدة يتمنى أن يموت ويستشهد من أجلها لأنه يعرف مقدمًا أن مصيره الجنة لذلك ينطبق على المقاتل الإسلامى الذى يدافع عن العقيدة الإسلامية والمثل العربى «قلبه ميت» أى لايعرف الخوف لذلك اتخذ هرقل قراره بعدم مواجهة القوات الإسلامية فى تبوك والانسحاب إلى حصون بلاد الشام ليحتمى بها والمسلمون يتمنون الموت فى سبيل الإسلام طبقًا لما ورد فى القرآن سورة التوبة آيه ١١١ ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

خامسًا : عندما وصل الرسول ﷺ والمسلمون إلى تبوك ووجدوا القوات البيزنطية انسحبت إلى حصون بلاد الشام خوفًا من المواجهة بعد أن سمع هرقل عن صلابة المقاتل الإسلامى وانتصاره فى كل المعارك وأقاموا فى تبوك لمدة عشرين يومًا ولم يتوجهوا إلى حصون الشام خلف القوات البيزنطية لمقاتلة قوات هرقل لأنهم عندما خرجوا من المدينة لم يكن فى نيتهم غزو بلاد الشام التابعة للدولة البيزنطية بل كان غرضهم الدفاع عن النفس عندما قرر هرقل مهاجمة القوات الإسلامية وما أن قرر هرقل الانسحاب زال الخطر عن مهاجمة القوات الإسلامية وهذا يؤكد أن غزوة تبوك لم تكن غزوة بل كانت دفاعًا عن النفس وخاصة أنه لم يدر فيها أى قتال بين القوات الإسلامية والقوات البيزنطية لانسحاب هرقل بقواته داخل حصون الشام ليحميهم من القوات الإسلامية المؤمنة بالشهادة ودخول الجنة.

سادسًا : أثناء وجود الرسول ﷺ والقوات الإسلامية فى تبوك بدأ نشر الإسلام بالاختيار الحر فكان المسلمون يعرضون على القبائل المجاورة لتبوك ثلاثة خيارات حتى يتخذوا القرار الذى يريدونه فكان المسلمون يعرضون على القبائل إما الإسلام أو الجزية فكانت القبائل غير المسلمة تجد أن دفع الجزية يحقق لها من المصالح الكثير وقد دفعت الكثير من القبائل الجزية وهو ماسوف نعرض لها فصلاً خاصًا وقد دفع الجزية أهالى أيلة وجرياء واذرح.

سابعًا : كانت غزوة تبوك آخر الغزوات فى السيرة النبوية وبعدها دخلت الكثير من القبائل المجاورة لبلاد الشام الإسلام بإرادتها وبعض القبائل دفعت الجزية وفى هذه الموقعة وهى موقعة تبوك للدفاع عن النفس والدفاع عن الدولة الإسلامية والدفاع عن الدعوة الإسلامية تحكى كتب السيرة النبوية أن أبا بكر الصديق فى موقعة تبوك جاء بكل ثروته وماله وأعطاه للرسول ﷺ وسأله الرسول ﷺ هل أبقيت لأهلك شيًا كانت إجابة أبى بكر «أبقيت لهم الله ورسوله» ثم جاء عمر بن الخطاب بنصف ماله وجاء عثمان بن عفان بعشرة آلاف دينار وثلاثمائة بعير وخمسين فرسًا وكل نساء المسلمين فى المدينة تبرعوا بحليهم، الكل كان يتسابق بالتبرع للدفاع عن الدولة الإسلامية، وهنا أطرح سؤلاً لا أجد له إجابة.. هكذا كان يتصرف المسلمون الأوائل بالتبرع بكل ما لديهم للدفاع عن الدولة الإسلامية والسؤال هو لماذا يتقاعس المسلمون الآن فى الدفاع عن مقدساتهم الإسلامية؟؟ وها هو المسجد الأقصى الذى صلى به الرسول ﷺ فى رحلة الإسراء يتعرض للغطرسة اليهودية ولايجد أحدًا يدافع عنه إلا بالشجب والأقوال الجوفاء متى يظهر بين المسلمين أبو بكر الصديق آخر يتبرع بكل مايملك من أجل المقدسات الإسلامية والدولة الإسلامية؟؟ متى يظهر بين المسلمين صلاح الدين الأيوبى آخر ينقذ المقدسات الإسلامية؟... أسئلة لا أستطيع الإجابة عليها ولكن قد تجيب عليها الأيام القادمة...

ثامنًا : كانت قيادة القوات الإسلامية فى موقعة تبوك لأبى بكر الصديق تحت إشراف الرسول ﷺ وأثناء تواجد القوات الإسلامية فى تبوك وعظ فيهم خطيبًا

ليرفع معنوياتهم كما يفعل كل قائد محنك حتى يعوض الفرق فى قلة الزاد والمئونة والعدد والعتاد والأسلحة بين القوات الإسلامية والقوات البيزنطية.

تاسعًا : بعد انسحاب القوات البييزنطية من أمام القوات الإسلامية التى كان شعارها فى عهد الرسول ﷺ إما النصر أو الاستشهاد طبقًا لوعدهم بالجنة من قبل الله تعالى فى سورة التوبة الآية ١١١.. زادت سمعة المسلمين العسكرية داخل الجزيرة العربية مما كان له أحسن الأثر فى مستقبل الدولة الإسلامية وخاصة فى عام الوفود التى دخلت الدولة الإسلامية والعقيدة الإسلامية فى نفس العام لموقعة تبوك فى العام التاسع الهجرى عام ٦٣٠م وبذلك حصل المسلمون على مكاسب سياسية كبيرة وعسكرية من موقعة تبوك.

عاشرًا : كانت موقعة تبوك أو غزوة تبوك وهى ليست بغزوة آخر المواقع العسكرية التى خرج فيها الرسول ﷺ محاربًا وبعد هذه الموقعة بدأ دخول القبائل فى شبه الجزيرة العربية الإسلام طواعية وعن اختيار.

الفصل الرابع
زوجات الرسول ﷺ الإحدى عشر

لقد قمنا بتأليف كتاب عن زوجات الرسول ﷺ وهو كتاب «زوجات الرسول ﷺ بين الحقيقة والافتراء» وقد تناولت فيه زوجات الرسول ﷺ الإحدى عشر بالتفصيل والتحليل المستفيض فيما يقرب من مائتى صفحة موضحًا أسباب كل زيجة على حدة ردًا على افتراءات المستشرقين بأن الرسول ﷺ كان يجرى خلف شهواته الجسدية فى كل زوجاته وقد أوضحنا أسباب كل زيجة على حدى ورأى المؤلف فى كل زيجة، وهل هى للشهوة الجسدية أم فى سبيل مصلحة الدعوة الإسلامية..

وسوف نسرد فى هذا الفصل سرد سريع عن زوجات الرسول ﷺ فى عدة صفحات حتى نكون أكملنا السيرة النبوية منذ ميلاد الرسول ﷺ حتى وفاته فلا يمكن سرد سيرة الرسول ﷺ دون أن نذكر فصلاً عن زوجاته وسوف نبحث فى هذا الفصل فى مبحثين، كل على حدة على النحو التالى :

المبحث الأول : زوجات الرسول ﷺ الإحدى عشر.

المبحث الثانى : رأى المؤلف فى زوجات الرسول ﷺ الإحدى عشر.

وذلك تفصيلاً على النحو التالى...

المبحث الأول

زوجات الرسول ﷺ الإحدى عشر

أولاً : الزوجة الأولى هى خديجة بنت خولد بعد أن ذاع صيت الرسول ﷺ عن صدقه وأمانته، أرسلت خديجة بنت خويلد صديقتها نفيسة بنت أمية للرسول ﷺ تعرض عليه الزواج منه، فوافق الرسول ﷺ وتزوجها وعمره خمسة وعشرون عامًا وعمرها أربعون عامًا وأنجبت له من الذكور اثنين القاسم والطاهر وأربع بنات زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وقد قضى معها حوالى خمسة وعشرين عامًا وهى أول امرأة دخلت الإسلام وقد كانت من أغنياء قريش وكانت متزوجة قبل الرسول ﷺ من زوجين، الأول هو عتيق بن عابد بن عبدالله وبعد وفاته تزوجت من مالك بن بنباش وبعد وفاته تزوجت الرسول ﷺ وقد توفيت خديجة بنت خويلد فى عام ٦١٩م.

ثانيًا : الزوجة الثانية سودة بنت زمعة وقد خطبتها له خولة بنت حكيم بعد وفاة زوجته الأولى خديجة بنت خويلد وكان عمر سودة بنت زمعة وقت زواجها من الرسول ﷺ خمسة وخمسين عامًا من العمر وكانت أكبر من الرسول ﷺ بخمسة سنوات وتزوجها لرعاية أولاده من زوجته الأولى وقد تزوجها الرسول ﷺ فى رمضان من عام ٦٢٠م.

ثالثاً : الزوجة الثالثة عائشة بنت أبى بكر الصديق وقد تزوجها فى مكة ودخل بها فى المدينة فى شوال عام ٦٢٣م ودخل بها وهى ابنة تسع سنوات وقامت بخطبتها له خولة بنت حكيم السلمية وقد كانت قبل زواجها من الرسول ﷺ مخطوبة لجبير بن المطعم بن عدى وتم فسخ خطوبتها بمعرفة والدها أبى بكر لتزويجها من الرسول ﷺ.

رابعًا : الزوجة الرابعة حفصة بنت عمر بن الخطاب وكانت زوجة لخنيس بن حذافة بن قيس وتوفى زوجها بعد الهجرة إلى المدينة وقد عرضها عمر بن

الخطاب على صديقيه أبى بكر الصديق وعثمان بن عفان ولكنهما رفضا الزواج منها وقد تزوجها الرسول ﷺ وكان عمره فى ذلك الوقت أربعة وخمسون عامًا وكان زواج الرسول ﷺ من حفصة فى العام الثالث من الهجرة فى عام ٦٢٤م بعد موقعة أحد.

خامسًا : الزوجة الخامسة زينب بنت خزيمة وكانت قبل الرسول ﷺ زوجة للطفيل بن الحارث وطلقها ثم تزوجت عبيدة بن الحارث الذى استشهد فى موقعة أحد فى عام ٦٢٤م وتزوجها الرسول ﷺ فى شهر رمضان من عام ٦٢٤م وقد ماتت فى حياة الرسول ﷺ ولم تمكث معه أكثر من ثمانية شهور.

سادسًا : الزوجة السادسة هند بنت أبى أمية أم سلمة وكانت قبل زواجها من الرسول ﷺ متزوجة من أبى سلمة عبدالله بن عبدالأسد ولدت له ثلاثة أبناء وقد تزوجها فى شوال فى السنة الرابعة للهجرة فى عام ٦٢٥م وقد خطبها للرسول ﷺ حاطب ابن أبى بلتعة وكان زوجها قد استشهد فى معركة أحد وهو يدافع عن الرسول ﷺ وهى المعركة التى أصيب فيها الرسول ﷺ بشج فى جبينه وسقط منه سنتان.

سابعًا : الزوجة السابعة زينب بنت جحش وهى ابنة عمة الرسول ﷺ أميمة بنت عبدالمطلب وقد خطبها الرسول ﷺ لزيد بن حارثة وكان عبدًا للرسول ﷺ وأعتقه وأصبح حرًا وأصبح ابن الرسول بالتبنى وخطبها الرسول لابنه بالتبنى وتزوجها ابنه بالتبنى وكانت المشاكل بينهم كثيرة فطلقها زيد بن حارثة وكانت من عادات العرب اعتبار الابن بالتبنى مثل الابن الشرعى لهم نفس الحقوق للابن الشرعى ومنها الميراث فى كل أموال الأبوين وحرمة النسب وتحريم الزواج من زوجات الأبناء بالتبنى وبعد طلاق زينب بنت جحش من زوجها تزوجها الرسول ﷺ ليضع تشريعًا جديدًا للعرب بعدم المساواة بين الابن بالتبنى والابن الشرعى.

ثامنًا : الزوجة الثامنة جويرية بنت الحارث بعد انتصار المسلمين فى غزوة بنى المصطلق على اليهود التى حدثت فى العام السادس للهجرة فى عام ٦٢٧م

كانت من الغنائم جويرية بنت الحارث ابنة زعيم يهود بنى المصطلق وقد توفى زوجها فى غزوة بنى المصطلق وقد عرض الرسول ﷺ عليها إما أن يدفع فديتها ويطلق سراحها أو يتزوجها وقد وافقت على الزواج من الرسول ﷺ بإرادتها الحرة وقد أسلمت وأسلم والدها وكل قبيلة بنى المصطلق.

تاسعاً : الزوجة التاسعة صفية بنت حيى بعد انتصار المسلمين فى غزوة بنى خيبر فى العام السابع للهجرة عام ٦٢٨م كان من ضمن الأسرى صفية بنت حيى بن أخطب زعيم يهود بنى خيبر وقد تزوجت مرتين زوجها الأول توفى وزوجها الثانى قتل فى غزوة بنى خيبر وقد خيرها الرسول ﷺ بين أن يعتقها وتعود لأهلها أو يتزوجها ولكنها قررت الزواج من الرسول ﷺ.

عاشراً : الزوجة العاشرة رملة بنت أبى سفيان أم حبيبة وهى ابنة أبى سفيان أكبر أعداء الرسول ﷺ من كفار قريش وكانت قد أسلمت ورحلت مع زوجها عبدالله بن جحش وولدت له حبيبة وهاجروا إلى الحبشة وفى الحبشة ترك زوجها الإسلام إلى النصرانية ولكنها رفضت ترك الإسلام وعاشت مع حبيبة ابنتها لا عائل لها فى الغربة فى ظروف قاسية وعندما علم الرسول ﷺ بظروفها القاسية أرسل فى خطبتها دون أن يراها، فقد أرسل لها الصحابى عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة ليخطب أم حبيبة وتزوجها عندما عادت من الحبشة إلى مكة وتزوجها فى الحبشة فى العام الخامس من الهجرة فى عام ٦٢٦م ودخل عليها عندما عادت للمدينة فى العام السابع للهجرة ٦٢٨م.

الحادى عشر : الزوجة الحادية عشر ميمونة بنت الحارث وكانت قبل الرسول ﷺ زوجة لزوجين سابقين، الأول مسعود بن عمرو بن عمير الثقى وتوفى ثم تزوجت من أبى رهم بن العزى بن أبى قيس وتوفى زوجها الثانى وتزوجها الرسول ﷺ فى العام السابع للهجرة فى عام ٦٢٨م وقد تزوجها الرسول ﷺ وهو يبلغ من العمر ثمانية وخمسين عاماً وقد طلبت ميمونة بنت الحارث بنفسها أن يتزوجها الرسول ﷺ وعرضت ذلك على زوج أختها عم الرسول ﷺ العباس بن عبدالمطلب فوافق الرسول ﷺ وكان ذلك قبل انتهاء عمرة القضاء.

المبحث الثانى

رأى المؤلف فى أسباب زيجات الرسول ﷺ الإحدى عشر

أولاً : بالنسبة للزوجة الأولى خديجة بنت خويلد فقد قال المستشرق لورا هلين سويريدج الإنجليزى الجنسية فى كتابه «أحلام المرأة ورسالتها» أن السبب الرئيسى من زواج الرسول ﷺ أنه كان يجرى خلف شهواته الجسدية وبالنسبة لزوجته خديجة بنت خويلد أن الرسول ﷺ لم يكن يجرى خلف شهواته الجسدية لأنه قضى مع خديجة حوالى ربع قرن من الزمن أى حوالى خمسة وعشرين عامًا فى الفترة ما بين ٥٩٥م حتى ٦١٩م، فقد قضى معها فترة شبابه وشيخوخته لم يتزوج غيرها وظل مخلصًا لها فى هذه الفترة حتى وصل سنه إلى الخمسين من عمره وهى الفترة التى يكون الرجل قادرًا على تعدد الزوجات ولكنه لم يتزوج غيرها وظل مخلصًا لها لمدة خمسة وعشرين عامًا رغم أن من العادات والتقاليد للعرب فى كل القبائل تعدد الزوجات لخلق العزوة ورغم ذلك فإن الرسول ﷺ لم يجار عادات العرب بتعدد الزوجات واقتصر على زوجة واحدة فقط لمدة ربع قرن، إن الرسول ﷺ لم يكن يجرى خلف شهواته فى زواجه من خديجة بنت خويلد فقد كانت تكبره بخمسة عشر عامًا ولكن كان السبب الرئيسى فى زواجه من خديجة البحث عن الاستقرار والأمان فى الحياة الزوجية حتى يتفرغ للمهمة التى تنتظره وهى الدعوة الإسلامية لأن زوجته كانت رزينة ذات عقل راجح.

ثانيًا : بالنسبة للزوجة الثانية سودة بنت زمعة، لا يمكن أن تكون الشهوة الجسدية سببًا للزواج منها لأنها كانت تبلغ من العمر خمسة وخمسين عامًا وكانت تكبر عن الرسول ﷺ بخمس سنوات وهى ليست فى حاجة إلى الرجال والرجال كذلك ليسوا فى حاجة إليها فقد بلغت سن اليأس والرسول ﷺ بلغ الخمسين من عمره وأعباء ومهام الدعوة الإسلامية تشغل كل وقته وكان زواجه منها لأسباب إنسانية لأنها هاجرت إلى الحبشة فى عام ٦١٥م فى الهجرة الأولى مع زوجها السكران بن عمرو وعند عودتهم إلى مكة توفى زوجها وأصبحت بلا

عائل لها وهى فقيرة جداً فتزوجها الرسول ﷺ ليرحمها من قسوة الزمن فالزواج كان لأسباب إنسانية ورحمة بظروف سودة بنت زمعة وسبب ثان هو أن تعتنى سودة بنت زمعة ببنات الرسول ﷺ بعد وفاة والدتهم خديجة بنت خويلد.

ثالثًا : بالنسبة للزوجة الثالثة عائشة بنت أبو بكر، لم يكن الزواج للشهوة الجنسية، فأى شهوة جنسية مع فتاة عمرها تسع سنوات، ولكن السبب الحقيقى هو مكافأة والدها أبى بكر الصديق صديق عمر الرسول ﷺ أول من آمن بالإسلام وأنفق كل ثروته فى سبيل الدعوة الإسلامية وأراد الرسول ﷺ أن ينصر الدعوة الإسلامية بالمصاهرة مع أبى بكر الصديق وكان الرسول ﷺ يبلغ من العمر أثناء زواجه من بنت أبى بكر الصديق حوالى ثلاثة وخمسين عامًا وكل مايشغله هموم الدعوة الإسلامية ولا يمكن أن يكون سبب الزواج الشهوة الجسدية بل السبب الحقيقى فى الزواج هو الوفاء والإخلاص وتكريم صديق عمره أبى بكر الصديق ومصاهرة أبى بكر الصديق لنصرة الدعوة الإسلامية وكما لو كان الرسول ﷺ يقرأ الغيب فكان فى المستقبل أحد أسباب ازدهار الدولة الإسلامية بعد الرسول ﷺ هو وجود أبى بكر الصديق الذى قاد حروب الردة وأرسل إحدى عشر جيشًا لتخوض حروب الردة ولولا ذلك لانتهت الدولة الإسلامية بعد حركات الانفصال عن الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ وكان وجود أبى بكر الصديق من الأسباب الرئيسية فى ازدهار الدولة الإسلامية بعد الرسول ﷺ.

رابعًا : بالنسبة للزوجة الرابعة حفصة بنت عمر بن الخطاب كانت متزوجة قبل الرسول ﷺ خنس بن حذاقة وتوفى زوجها وتزوجها الرسول ﷺ لرغبته فى مصاهرة عمر بن الخطاب كمكافأة له لأن الرسول ﷺ كما لو كان يعرف الغيب فى ازدهار الدولة الإسلامية فى العشر سنوات التى تولاها عمر بن الخطاب فى الفترة مابين ٦٣٤م إلى ٦٤٤م، فقد أصبحت الدولة الإسلامية أول دولة فى العالم بعد أن استطاع عمر بن الخطاب هزيمة الدولة الرومانية البيزنطية والدولة الفارسية وهو نفس السبب فى المصاهرة لمصلحة الدولة الإسلامية كما فعل مع أبى بكر الصديق.

خامساً : بالنسبة للزوجة الخامسة زينب بنت خزيمة فقد توفى زوجها عبيدة بن الحارث فى موقعة أحد شهيداً وكان يدافع عن الرسول ﷺ وأصبحت لا عائل لها وتزوجها الرسول ﷺ للمواساة والرحمة ولرعايتها وإنقاذها من ظروفها الإنسانية الصعبة وتزوجها لكى يعطى الأمان للمسلمين بأنه لاخوف على نسائهم وأطفالهم إذا ما استشهدوا فى الجهاد فى سبيل الإسلام لأنهم سيجدون من يقف بجوار نسائهم وأطفالهم ولن يتركوا نساءهم وأطفالهم للضياع والجوع.

سادساً : بالنسبة للزوجة السادسة هند بنت أمية أم سلمة تزوجها الرسول ﷺ فى شوال من العام الرابع للهجرة ٦٢٥م وكانت متزوجة قبل الرسول ﷺ من أبى سلمة عبدالله بن عبدالأسد، ولدت له ثلاثة أبناء واستشهد زوجها وقد اعتبر الرسول ﷺ الثلاثة أبناء مثل أبنائه وكفلهم فى عيشتهم ولا يمكن أن يكون الرسول ﷺ تزوجها لشهوة جسدية لأنها كانت امرأة مسنة وكبيرة فى السن ولديها ثلاثة اولاد وقد استشهد زوجها وهو يدافع عن الرسول ﷺ فى موقعة أحد فى العام الثالث للهجرة فى عام ٦٢٤م وقد تزوجها الرسول لأسباب إنسانية بحتة حتى يعطى الأمان لكل شهداء المعارك أن نسائهم وأطفالهم فى حماية المسلمين بعد استشهادهم وكان الرسول ﷺ تزوجها وعمره خمسة وخمسون عاماً ولا يمكن أن يكون الرسول تزوجها لشهوة جسدية فقد كانت فى مثل عمر الرسول وعندما تقدم حاطب بن بلتعة ليخطبها للرسول ﷺ قالت له «إنى إمرأة مسنة وأم أيتام» أى ماذا يفعل بى الرسول؟.

سابعاً : بالنسبة للزوجة السابعة زينب بنت جحش وهى ابنة عم الرسول ﷺ وقد زوجها الرسول ﷺ لابنه بالتبنى زيد بن حارثة بعد أن أعتقه وأصبح حراً ولكن كانت العادات والتقاليد فى الجاهلية قبل الإسلام لدى كل العرب اعتبار الابن بالتبنى مثل الابن الشرعى من ناحية الميراث فى كل أموال الأبوين وحرمة النسب وتحريم الزواج من زوجات الأبناء بالتبنى وهذا الوضع لا يستقيم مع الفكر الصحيح ووضع لا تقره أى ديانة سماوية أو غير سماوية وأراد الرسول ﷺ وضع تشريع جديد بعدم المساواة بين الابن بالتبنى والابن الشرعى، لذلك أقدم الرسول ﷺ على زواجه من زينب بنت جحش بعد طلاقها من ابنه بالتبنى فسبب هذا

الزواج هو وضع تشريع جديد يحقق الصالح العام وليس هدفه الشهوة الجسدية وبذلك وضع الإسلام شرعًا جديدًا مخالفًا للشرع المستقر فى الجاهلية.

ثامنًا : بالنسبة للزوجة الثامنة جويرية بنت الحارث، فبعد انتصار المسلمين فى غزوة بنى المصطلق فى العام السادس للهجرة فى عام ٦٢٧م وقعت فى الأسر جويرية بنت الحارث ابنة زعيم بنى المصطلق وقتل زوجها مسافع بن صفوان فى غزوة بنى المصطلق وأصبحت أسيرة وبلا زوج بعد أن كانت أميرة ابنة زعيم بنى المصطلق لذلك توجهت إلى الرسول ﷺ فى غرفة عائشة زوجة الرسول ﷺ لتقص قصتها على الرسول ﷺ لكى ينصفها، ولكن الرسول ﷺ فكر فى مصلحة الدعوة الإسلامية أن يتزوج من ابنة زعيم يهود بنى المصطلق ويحولهم بالمصاهرة من أعداء إلى أصدقاء وبذلك يأخذهم بجانب الدعوة الإسلامية وعرض عليها الرسول ﷺ إما أن يدفع فديتها ويطلق سراحها أو يتزوجها الرسول ﷺ ولكنها قررت بحر إرادتها الزواج من الرسول ﷺ وعلى ذلك ليس فى هذا الزواج كما يقول المستشرقون... أية شهوة جسدية لأن الرسول ﷺ على أبواب الستين من عمره ومهموم بالدعوة الإسلامية وغرضه خدمة الدعوة الإسلامية بمصاهرة أعدائه وتحويلهم إلى أصدقاء وهذا ماحدث فقد أسلم كل يهود بنى المصطلق وزعيمهم وتحولوا إلى مناصرين للإسلام بدلاً من مناصرة كفار قريش وتحولوا إلى الإسلام بإرادتهم الحرة بعد أن رءوا أخلاقيات الإسلام مع الأسرى.

تاسعًا : بالنسبة للزوجة التاسعة صفية بنت حيى، فقد تزوجها الرسول ﷺ فى العام السابع للهجرة فى عام ٦٢٨م بعد انتصار المسلمين فى غزوة بنى خيبر .وبعد انتهاء الحرب وقعت فى الأسر صفية بنت حيى ابنة زعيم يهود بنى خيبر وقتل زوجها الثانى فى غزوة بنى خيبر ونظرًا للظروف القاسية التى تمر بها صفية بنت حيى فعرض عليها الرسول ﷺ إما أن يعتقها وتعود لأهلها لابنة زعيم اليهود أو يتزوجها وقد وافقت بإرادتها الحرة على الزواج من الرسول ﷺ وليس غرض الرسول ﷺ كما يقول المستشرقون من زواجه الشهوة الجسدية ولكن غرض الرسول ﷺ هو مصلحة الدعوة بالمصاهرة مع أعداء الدولة الإسلامية ليحولهم من أعداء إلى حلفاء لكى يتجنب عداوة اليهود بهذه المصاهرة لكن لا

يمكن أن يكون غرض الرسول ﷺ من زواجه من صفية هو الشهوة الجسدية لأنه على أعتاب الستين من عمره ومهموم بالدعوة الإسلامية لا يهدأ من الحروب دفاعًا عن الأرض الإسلامية والدعوة الإسلامية.

عاشرًا : بالنسبة للزوجة العاشرة رملة بنت أبى سفيان أم حبيبة وهى بنت أشد أعداء الرسول ﷺ أبى سفيان بن حرب الذى قاد كفار قريش فى كل الغزوات لقتل الرسول ﷺ وكانت رملة بنت أبى سفيان أسلمت وتزوجت عبدالله بن جحش وولدت له حبيبة فى الحبشة بعد أن هاجروا للحبشة خوفًا من بطش والدها ولكن زوجها اعتنق النصرانية ولكن رملة بنت أبى سفيان رفضت ترك الإسلام وهجرها زوجها وعاشت فى الغربة فى حالة وظروف إنسانية صعبة لا تجد قوت يومها مع طفلتها حبيبة رغم أنها ابنة أغنى أغنياء مكة ولكنها فضلت الإسلام والرسول ﷺ فى أن تعيش فى الحبشة تقرأ القرآن ولا تجد قوت يومها، وعندما علم الرسول ﷺ بهذه المأساة الإنسانية التى تعيشها أم حبيبة أرسل لها الصحابى عمرو بن أمية الضمرى ليقابل نجاشى الحبشة ليخطبها وتزوجها دون أن يراها ولا يعرف شكلها ولكن عرف ظروفها الإنسانية فقط وتزوجها فى العام الخامس للهجرة فى عام ٦٢٦ م ودخل عليها عندما عادت إلى مكة فى العام السابع للهجرة فى ٦٢٨م، تزوجها الرسول ﷺ دون أن يراها لتمسكها بالإسلام.. لذلك أقول للمستشرقين.. أين هذه الشهوة الجسدية فى زواجه من أم حبيبة وقد تزوجها ولم يرها مرة واحدة فى حياته ولا يعرف شكلها أو وزنها أو جمالها أو صحتها.. كل ما يعرفه مأساتها الإنسانية فزواجه من أم حبيبة زواج الأخلاق والمبادئ والقيم والمثل العليا.. أن يتزوج من امرأة ضحت فى سبيل الإسلام وكان هناك سبب آخر لزواجه من أم حبيبة هو خدمة الدعوة الإسلامية بمصاهرة أكبر أشراف قريش أبى سفيان ليجعل من العدو صديق وفعلاً أسلم أبو سفيان بن حرب بعد فتح مكة وأصبح داعية إسلامى وناصر الدعوة الإسلامية وأقنع كفار قريش بعدم قتال القوات الإسلامية أثناء فتح مكة وتم فتح مكة سلميًا بفضل مجهود أبى سفيان بن حرب.

الحادى عشر : بالنسبة للزوجة الحادية عشر والأخيرة، وهى ميمونة بنت الحارث وهى من قبيلة كنانة أحد أكبر القبائل بقريش وأختها الكبرى كانت متروجة عم الرسول ﷺ العباس بن عبدالمطلب وقد تزوجت قبل الرسول ﷺ من زوجها الأول مسعود بن عمرو بن عمير الثقى وتوفى زوجها وتزوجت مرة ثانية من أبى رهم بن عبدالعزى بن أبى قيس وتوفى زوجها الثانى وكان زوجها الثالث هو الرسول ﷺ وقد أبدت ميمونة بنت الحارث رغبتها فى الزواج من الرسول ﷺ فعرضت ذلك على أختها وزوجها عم الرسول ﷺ وعرضوا الأمر على الرسول ﷺ الذى وافق ولم يتزوجها الرسول ﷺ لشهوة جنسية لأنه بلغ من العمر أعتاب الستين وكل همه هو الدعوة الإسلامية وكان ذكاء من الرسول ﷺ فى مصاهرة القبائل الكبرى لتناصر الدعوة الإسلامية وتحميها من أعدائها وبمصاهرة الرسول ﷺ لقبيلة كنانة أعطى قوة للدعوة الإسلامية وذلك بعد أن أظهرت ميمونة بنت الحارث مشاعرها نحو الرسول ﷺ لإعجابها بمبادئه وتصرفاته ويدعى المستشرقون أن الرسول ﷺ جمع فى زواجه من ميمونة بنت الحارث بين الأختين لأن ميمونة بنت الحارث هى أخت من الأم لزينب بنت خزيمة الزوجة الخامسة للرسول ﷺ المعروفة بأم المساكين وهى التى قضت مع الرسول ﷺ ثمانية شهور وتوفيت ولكن المؤلف يرى أن المستشرقين فى حقدهم الأعمى ضد الرسول جعلهم لا يقرءون التاريخ فالرسول ﷺ لم يجمع بين الأختين لأن الزوجة الخامسة للرسول ﷺ زينب بنت خزيمة تزوجها فى العام الثالث للهجرة فى عام ٦٢٤م ومكثت معه ثمانية شهور ثم توفيت، أما أختها للأم ميمونة بنت الحارث تزوجها بعد عمرة القضاء فى ذى القعدة فى العام السابع للهجرة فى عام ٦٢٨م أى الفرق بين الزوجتين أربع سنوات، وقد تزوج من ميمونة بنت الحارثة لمناصرة الدعوة الإسلامية بمصاهرة قبيلة كنانة بعد أن وهبت نفسها للرسول ﷺ قد نزل فى ذلك القرآن فى سورة الأحزاب آية ٥٠ ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الباب الثامن
الجزية على غير المسلمين
فى عهد الرسول ﷺ ومابعده

سوف نتناول الجزية على غير المسلمين فى عهد الرسول ﷺ وما بعده فى عدة فصول على النحو التالى :

الفصل الأول : القبائل التى قبلت دفع الجزية بإرادتها الحرة فى عهد الرسول ﷺ

الفصل الثانى : الضرائب فى الدولة البيزنطية.

الفصل الثالث : الضرائب فى الدولة الفارسية.

الفصل الرابع : الضرائب فى الدولة الإسلامية.

الفصل الخامس : حرية العقيدة فى الدولة الإسلامية.

الفصل السادس : حرية العقيدة فى الدولة البيزنطية والدولة الفارسية.

وذلك تفصيلاً على النحو التالى..

الفصل الأول
القبائل التى قبلت دفع الجزية
بإرادتها الحرة فى عهد الرسول ﷺ

أولاً : بعد انتصار المسلمين فى غزوة تبوك فى رجب ورمضان من العام التاسع الهجرى فى عام ٦٣٠م رغم أن قوات المسلمين لم تكن إلا ثلاثين ألفًا منهم عشرة آلاف فارس وكانت قوات الدولة الرومانية البيزنطية بقيادة الإمبراطور هرقل تزيد عن مائة ألف مقاتل وعندما وصل المسلمون إلى تبوك وجدوا القوات البيزنطية قد انسحبت داخل الحصون فى بلاد الشام خوفًا من بأس الجيوش الإسلامية التى تحارب عن عقيدة وهى الاستشهاد فى سبيل الدعوة وسام على صدر كل شهيد وأقام الرسول ﷺ وقواته عشرين يومًا فى تبوك يعمل على نشر الإسلام فى البلاد المجاورة للشام ودخل فى حماية الدولة الإسلامية بعض البلاد المجاورة للشام بحرية كاملة بعد دفع الجزية ليمارسوا شعائرهم الدينية بحرية مطلقة مقابل دفع الجزية للدولة الإسلامية التى تدافع عنهم.

ثانيًا : أول القبائل التى أتت للرسول ﷺ باختيارها الحر التابعة للدولة البيزنطية والدخول فى حماية الدولة الإسلامية هى أهالى أيلة فقد أتى يوحنا ابن رؤية زعيم أيلة وتقابل مع الرسول ﷺ بإرادته الحرة للدخول فى فلك الدولة الإسلامية وترك الدولة البيزنطية وتم الاتفاق على جزية قدرها ثلاثمائة دينار يدفعها أهل أيلة كل عام وقد تم توقيع الاتفاق بذلك وقد ورد نص الاتفاق فى السيرة النبوية لابن هشام الجزء الثانى ص ٥٢٦ ونصه كالآتى : «بسم الله

الرحمن الرحيم هذه أمنة من الله ومحمد النبى رسول الله ليوحنا بن رؤية وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم فى البحر والبر لهم ذمة الله ومحمد النبى ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثًا فإنه لايحول ماله دون نفسه وأنه طيب لمن أخذه من الناس وأنه لايحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقًا يردونه من بر أو بحر».

ثالثًا : وكذلك فعل أهل جرباء وأزرح حضر زعماؤهم بكامل إرادتهم الحرة وعرضوا على الرسول ﷺ الدخول فى فلك الدولة الإسلامية مقابل أن تحميهم من بطش واعتداء الدولة البيزنطية ووافقوا على دفع الجزية وقدرها مائة دينار سنويًا للمساهمة فى نفقات الجيوش الإسلامية التى تدافع عنهم من بطش الدولة البيزنطية وقد حرر لهم الرسول ﷺ العهد الآتى ويرجع إليه فى السيرة النبوية لابن هشام : «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبى رسول الله لأهل جرباء وأذرح أنهم امنوا بأمان الله وأمان محمد وأن عليهم مائة دينار فى كل رجب ومائة أوقية طيبة وأن الله عليهم كفيل بالنصح والإحسان إلى المسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين».

رابعًا : ما الذى يدعو أهل أيلة وأهل جرباء وأهل أذرح أن يتركوا بحر إرادتهم حماية الدولة الرومانية البيزنطية ويتوجهوا إلى الرسول ليدخلوا فى حماية الدولة الإسلامية وأهل أيلة يدفعون فى العام ثلاثمائة دينار وأهل جرباء وأذرح يدفعون معًا مائة دينار سنويًا هذا السؤال لن نجد له إجابة إلا أن أهل أيلة وجرباء وأذرح حسبوا بالعقل والمصلحة من ناحيتين، الناحية الأولى كمية الضرائب التى يدفعونها للدولة البيزنطية وكمية الضرائب التى يدفعونها للدولة الإسلامية والناحية الثانية حرية مباشرة طقوسهم الدينية فى الدولة البيزنطية وحرية مباشرة طقوسهم الدينية فى الدولة الإسلامية ومن خلال مصلحتهم فى الناحيتين قرر أهل أيلة وجرباء وأذرح إلى أى الدولتين ينضمون؟.. إلى الدولة البيزنطية أم إلى الدولة الإسلامية؟ وهذا ما سوف نبحثه فى الفصول التالية.

الفصل الثانى
الضرائب فى ظل الدولة الرومانية البيزنطية

وسوف نبحث الضرائب فى ظل الدولة الرومانية البيزنطية فى عدة مباحث على النحو التالى تفصيلاً..

المبحث الأول : نشأة الدولة الرومانية البيزنطية.

المبحث الثانى : الحالة العامة ونظام جمع الضرائب فى الدولة البيزنطية.

المبحث الثالث : أنواع الضرائب فى الدولة الرومانية البيزنطية.

المبحث الرابع : رأى المؤلف فى الضرائب فى الدولة الرومانيية البيزنطية.

وذلك على النحو التالى تفصيلاً..

المبحث الأول
نشأة الدولة الرومانية البييزنطية

أولاً : بدأت الدولة الرومانية وعاصمتها روما فى عهد الإمبراطور أغسطس فى عام ٣١ ق.م وكانت التقاليد الفرعونية تسود الإمبراطورية الرومانية فى بدايتها بحيث كان شخص الإمبراطور مقدسًا وذاته إلهية وفوق مستوى البشر وكان إله فى نظر المحكومين وبعد أن كانت عاصمة الإمبراطورية الرومانية روما تكونت دولة رومانية ثانية هى الدولة الرومانية البيزنطية أو الإمبراطورية الرومانية البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية.

ثانيًا : وأول من أنشأ الدولة الرومانية البيزنطية وعاصمتها إالقسطنطينية هو الإمبراطور قسطنطين الكبير الذى تولى الحكم فى الدولة الرومانية وعاصمتها روما لمدة ثلاثة عشر عامًا فى الفترة مابين ٣٢٤م إلى ٣٣٧م وأثناء حكمه للدولة

الرومانية وعاصمتها روما أراد أن ينشئ دولة جديدة وعاصمة جديدة وأنشأ العاصمة الجديدة فى مدينة القسطنطينية وقد سميت نسبة إلى قسطنطين الكبير وقد جعلها عاصمة للدولة الرومانية الجديدة وهى الدولة الرومانية البيزنطية وقد تم افتتاح العاصمة الجديدة فى القسطنطينية فى ١١ من مايو عام ٣٣٠م ونقل عاصمة الدولة الرومانية من روما إلى القسطنطينية وبدأ تسمية الدولة الرومانية وعاصمتها القسطنطينية بالدولة الرومانية البيزنطية وأول إمبراطور لها كان قسطنطين الأكبر الذى نقل كل التحف والأشياء الثمينة من روما إلى القسطنطينية.

ثالثًا : وكانت الدولة الرومانية دولة واحدة انتقلت عاصمتها من روما إلى القسطنطينية ولكن فى عام ٣٩٥م أى بعد خمسة وستين عامًا من نقل العاصمة للدولة الرومانية من روما إلى القسطنطينية وبعد وفاة الإمبراطور ثيودوسيس وكان له ولدان تم تقسيم الدولة الرومانية إلى قسمين وحكم أركاديوس الابن الأكبر الشرق وهى الدولة الرومانية البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية وحكم الابن الثانى وهو الإمبراطور هونوريوس حكم الجزء الغربى من الإمبراطورية وهى الإمبراطورية الرومانية وعاصمتها روما وعلى ذلك منذ عام ٣٩٥م انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى إمبراطوريتين، الإمبراطورية البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية والإمبراطورية الرومانية وعاصمتها روما.

رابعًا : وفى عام ٤٧٦م غزا الغزاة إمبراطور الدولة الرومانية الغربية وعاصمتها روما وبقيت الدولة الرومانية البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية ممثلة للدولة الرومانية وقامت عدة محاولات من الإمبراطورية الرومانية البيزنطية لمحاولة استرداد روما من الغزاة ولكنهم فشلوا وكان أشهر محاولات الإمبراطورية البيزنطية فى استرداد روما من الغزاة فى عهد الإمبراطور جوستنيان فى عام ٥٢٧م إلى ٥٦٥م وفى فترة محاولة استرداد القسطنطينية لروما من يد الغزاة ولد الرسول محمد ﷺ فى عام ٥٧٠م وبدأ نزول الوحى عليه فى عام ٦١٠ وفى هذه الفترة كان يحكم الدولة الرومانية البيزنطية فى القسطنطينية الإمبراطور هرقل منذ عام ٦١٠م.

خامساً : وهاجر الرسول ﷺ كما ذكرنا من مكة إلى المدينة فى ٢٠ من ديسمبر ٦٢١م وبدأ الرسول ﷺ بتنظيم الدولة الإسلامية فى أول بقعة على وجه الكرة الأرضية فى المدينة إلى أن حدثت غزوة تبوك بين هرقل وقوات المسلمين فى رمضان من العام التاسع من الهجرة فى عام ٦٣٠ م وانتصرت القوات الإسلامية وبدأ عام الوفود فى دخول القبائل العربية تحت راية الدولة الإسلامية لتكون فى المدينة نواة الدولة الإسلامية التى سوف تصل حدودها من الأندلس حتى الصين فما بعد كما سنذكر.

المبحث الثانى

الحالة العامة ونظام جمع الضرائب فى الدولة البيزنطية

أولاً : وقد كانت الإمبراطورية البيزنطية امتداداً للإمبراطورية الرومانية الغربية فى نظمها الإدارية والمالية والقانونية وكانت الإمبراطورية البيزنطية من الناحية الإدارية على رأسها الإمبراطور على رأس النظام البيزنطى ثم الوالى فى كل ولاية وهى مقسمة إلى مقاطعات ثم المقاطعة مقسمة إلى حكام النواحى ثم السلطات فى القرى فى يد الشيوخ وعلى ذلك الدولة البيزنطية مقسمة إلى ولايات ثم مقاطعات ثم نواح ثم قرى.

ثانياً : وكل مسئول فى جزئه يتولى جمع الضرائب وتوريدها إلى المسئول الأعلى يتولى شيوخ القرى توزيع الضرائب على الأفراد ويحصلها على مستوى القرية وهكذا على مستوى حكام النواحى ثم المقاطعات ثم الوالى الذى يقوم بتجميع كل الضرائب وإرسالها إلى الإمبراطور فى القسطنطينية وكان ذلك النظام متبع فى كل الأقاليم التابعة للإمبراطورية البيزنطية.

ثالثاً : وكان أحد المسئولين فى الدولة البيزنطية يقوم بتقدير نفقات الإمبراطورية حسب ظروف الإمبراطورية فى هذه السنة فى اشتراكها فى الحروب أو عدم اشتراكها فى الحروب ونفقات العمران وغيرها وبناء على

التفويض الإلهى للإمبراطور يصدر مرسوم عام بالضرائب المطلوب تحصيلها والضرائب المطلوبة يقدرها الإمبراطور مع مستشاريه فتقدير ماتحتاجه الإمبراطورية من نفقات فى العام هى مسئولية الإمبراطور ويقسم المبلغ الكلى على الولايات الرئيسية على كل وال وثم يقسم الوالى الضرائب على المقاطعات والمقاطعات تقسم على حكام النواحى ثم حكام النواحى يقسمون على شيوخ القرى حيث السلطات المحلية فى القرى التى تقوم بتقدير ماهو مفروض من الضريبة على كل فرد.

رابعًا : كان ولاة الأقاليم التابعة للدولة البيزنطية يتلقون الأوامر من الإمبراطور فى القسطنطينية ويجمعون الضرائب بالأسلوب السابق ذكره ويرسلونها إلى العاصمة فى القسطنطينية وكان الإمبراطور يعين الوالى على الإقليم وكان يعين معه شخص آخر يدعى «الإيديولوجوس» مهمته الإشراف المباشر على الموارد المالية للإقليم وجباية الضرائب وتدوينها فى سجلات على كل المستويات وكان تابعًا اسميًا للوالى وكان يعين شخصًا ثالثًا يدعى «الديوكيتس» وهو يشرف على إدارة أملاك الإمبراطور الخاصة وهى التى ورثها عن الملوك البطالمة وعلى ذلك فالإدارة العامة يشرف عليها الوالى والإدارة المالية يشرف عليها «الإيديولوجوس».

خامسًا : كانت نفقات الدولة الرومانية البيزنطية تزداد عامًا بعد عام لكثرة الحروب التى تخوضها الدولة البيزنطية وبالتالى تزداد الضرائب على رعايا الدولة البيزنطية بما هو فوق طاقتهم فقد تم إنشاء الدولة الفارسية وهى دولة آل ساسان فى عام ٢١٢ م أى قبل إنشاء الدولة البيزنطية بمائة وثمانية عشر عامًا ومنذ ذلك التاريخ والحروب لا تهدأ بين الدولة الفارسية والدولة البيزنطية واستمرت هذه الحروب قرونًا طويلة فكان طبيعيًا أن تكلف الدولة نفقات كثيرة وكان من نتيجة ذلك ارتفاع الأسعار ارتفاعًا فاحشًا وكانت موارد الدولة البيزنطية لا يتمتع بها إلا الأقلية المقربة من الولى والإمبراطور أما الغالبية العظمى من

الدولة البيزنطية من العبيد الذين لا يكنون أى ولاء للإمبراطور لأنهم محرومون من العيشة الكريمة لذلك كان ينظر الأرقاء أو العبيد إلى المغيرين كمنقذين لهم وليس كأعداء.

سادساً : كانت الحياة العامة فى النظام البيزنطى تقوم على نظام الرق بشراء العبيد الذين ليس لهم أى ولاء للإمبراطور فهم عبيد فى كل حياتهم لا حياه لهم ولا كرامة ولا حرية سياسية أو دينية، حتى بعد أن أدخل قسطنطين الديانة المسيحية إلى الدولة الرومانية فى عام ٣١٣ أى قبل انتقاله إلى القسطنطينية بسبعة عشر عاماً كانت الضرائب على رعايا الدولة الرومانية البيزنطية ثقيلة جداً نتيجة الحروب الدائمة بين الدولة الفارسية والدولة البيزنطية وكانت هذه الحروب الدائمة أضرت بالأحوال الاقتصادية فى الدولة البيزنطية وجعلها دائماً فى حاجة إلى المال وبالتالى زيادة الضرائب على رعاياها فكانت تضرب عليهم ضرائب جديدة ثم ضرائب جديدة أخرى لأن الإمبراطورية فى احتياج إلى المال لتغطية نفقات الحروب مع الدولة الفارسية فقد استمرت الحروب طوال القرن الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع بصفة شبه دائمة كان يتخللها فترات هدنة وعدم نشوب حروب ليست كثيرة وكان صد الغارات يتطلب نفقات باهظة وكان الوسيلة الوحيدة فرض ضرائب جديدة على رعايا الدولة الرومانية وكانت أحوال الرعايا البيزنطيين تسير من سيئ إلى أسوأ لدرجة أن كثيراً من الفلاحين تركوا أرضهم لعدم قدرتهم على دفع الضرائب وتحولت أراض كثيرة إلى أراض بور نظراً لكمية الضرائب المطلوبة فوق طاقة أى مزارع وبذلك زاد العبء على الذين استمر بقاؤهم فى الأرض لأن نفس الكمية من الضرائب فى كل قرية مطلوبة على الموجودين فى القرية سواء هاجر جزء منهم أو لم يهاجر وكان ذلك يؤدى بالطبع إلى زيادة الأسعار ويقول J.C MIILNE إن ثمن أردب الغلال زاد من ثمانية دراهم إلى تسعة عشر درهماً ونظراً لأن الفلاحين ليس معهم نقود كان المسئولون فى الدولة البيزنطية يأخذون الضرائب عيناً مما تنتجه الأرض بحسب وزنه لا قيمته ولذلك ظهر الفقر فى كل رعايا الدولة الرومانية البيزنطية.

سابعًا : وكانت قسوة المعارك بين الدولة البيزنطية والفارسية فى قمة عنفوانها فى عام ٥٠٢م بين قباذ الذى تولى فى عام ٤٨٧ حتى ٥٣١ وبين الإمبراطور البيزنطى أنسطاسيس الذى تولى ٤٩١ حتى عام ٥١٠ وكذلك قمة الحروب بين الدولة البيزنطية والفارسيية بين كسرى الأول «٥٣١ - ٥٧٨» وبين الإمبراطور البيزنطى جستنيان «٥٢٧ - ٥٦٥» ثم تم استئناف القتال بضراوة وشراسة لا نظير لها بين كسرى الثانى «٥٩٠ - ٦٢٨» والإمبراطور البيزنطى فوقاس «٦٠٣ - ٦٢٨» كذلك ضراوة المعارك بين كسرى الثانى وهرقل الإمبراطور البيزنطى «٦١٠ - ٦٤١» فقد دامت الحروب بينهم ربع قرن متواصلة بلا انقطاع ولا هدنة.

ثامنًا : هكذا كانت الحروب بين الدولة البيزنطية والفارسية فى حالة حرب شبه دائمة وكان ميدان الحرب غالبًا فى أقطار الشرق الأوسط أو الأقاليم الشرقية التابعة للدولة الرومانية البيزنطية وهذا جعل الدول فى الشرق الأوسط فى حالة قلق دائم فى دمشق والشام ومصر وسورية وكانت ضرائب الحروب تحرق أعصاب المواطنين الرومان البيزنطيين والمواطنين التابعين للدولة الفارسية وكانت الحروب تتلف اليابس والأخضر ولا تترك شيئًا إلا الخراب فما حدث فى أنطاكية وهى كبرى مدن سورية أبلغ دليل على ماتتركه الحرب من خراب ففى عام ٥٤١م اقتحمت القوات الفارسية أنطاكية التابعة للدولة البيزنطية فذبحت كل الجنود البيزنطيين ونهبت ثرواتها واسترقت سكانها ثم قامت بإحراق المدينة كلها ولم يبق فيها متر مربع واحد غير محروق ولايسكنها إلا الخفافيش والأفاعى وأخذ أهل المدينة وبنى لهم مكان آخر كعبيد وهذا مافعله كسرى الأول وتعالوا نر مافعله حفيده كسرى الثانى فى عام ٦١٥ فقد استولى على مدينة القدس كبرى مدن فلسطين وهى تابعة للدولة البيزنطية فبعد أن استولى على حصونها أتلف الكنائس والآثار التى بها ونهب كل ثرواتها وأشعل النار فى المدينة كلها وحولها إلى قطعة تشتعل فيها النيران فى كل أجزائها وذبح سكانها من المسيحيين وعددهم تسعون ألف وتعالوا نر ماذا فعل كسرى الثانى حينما استولى على الإسكندرية عاصمة مصر فى عام ٦١٧ م فقد هدم وأحرق كنائسها وأديرتها ونهب كل مابها من ثروات وتحف وآثار ثم تركها خاوية من الطبيعى جدًا أى فاتح لهذه البلاد

المواطنين لن ينظروا إلى الفاتحين كغزاة بل سوف ينظرون إليهم كمنقذين بعد أن شاهدوا كنائسهم تحرق أمام أعينهم وشاهدوا أقاربهم يحرقون أحياء، إن هذه الأمثلة التى ذكرتها فى الحروب بين بيزنطة وفارس تؤكد رغبة أهالى البلاد الحقيقيين فى الخلاص من الحكم البيزنطى والحكم الفارسى.

تاسعًا : لقد كانت الدولة البيزنطية فى حالة دائمة لطلب المال لمواجهة هذه الغزوات الفارسية ولصد هذه الهجمات الفارسية وإلا ستضيع الدولة البيزنطية ذاتها كما سبق وإن ضاعت الدولة الرومانية الغربية ولا يوجد وسيلة لجمع المال للدولة البيزنطية إلا وسيلة وحيدة لا ثانى لها وهى فرض ضرائب جديدة على رعايا الدولة الرومانية البيزنطية لتنفق على جيوشها وعلى عيشة البذخ واللهو التى يعيشها الأباطرة والطبقة الحاكمة فنفقات البلاط الإمبراطورى وحاشيته والمظاهر الاحتفالية ذات مظاهر رفاهية وبذخ يصل إلى حد اللامعقول وكان من نتيجة هذه الحروب والدمار إفقار الملايين من رعايا الدولة الرومانية البيزنطية بعد حالة الفقر وخراب المدن والأقاليم وكانت دماء الشعوب وأموالهم هى مصدر تمويل هذه الحروب التى لا تهدأ ولا تنتهى فتنتهى الحرب بين الدولة البيزنطية والفارسية ليتم الإعداد لحرب أخرى تالية.

عاشرًا : ومن شدة احتياج أباطرة الدولة البيزنطية للمال لمواجهة نفقات الحروب وجدنا الإمبراطور هرقل «٦١٠ - ٦٤١م» يستولى على أموال الكنائس ويتعهد بإعادتها بالربا وقد وافقه إلى ذلك بعض رجال الدين لأن كل أموال الضرائب التى يتم تحصيلها لا تكفى لمواجهة نفقات الحروب وبذخ العيش فى البلاط الإمبراطورى وكانت نتيجة الحروب الكثيرة أن الإفلاس المالى أحد سمات الدولة البيزنطية وزادت هذه الأزمة المالية فى عهد هرقل ولم يكن أمام هرقل إلا أن يلقى كل الأعباء على كاهل الرعايا البيزنطيين الذين أصبحوا لا يطيقون العيش فى ظل دولة كلها حروب وحرق وتدمير وخراب وإذلال بكثرة الضرائب التى كانت تفرض عليهم ومنها أنواع لايصدقها عقل فآخر ضريبة رومانية بيزنطية تم فرضها هى ضريبة الموتى بحيث لايتم دفن أى ميت إلا بعد دفع ضريبة الموتى فكانت حياة رعايا الدولة البيزنطية الخوف الدائم من بشاعة فرض الضرائب بطرق غير إنسانية لا رحمة فيها وأصبح الشعب فى حياة الدولة

البيزنطية يخاف من اثنين، محصلى الضرائب بفظاعتهم وقسوة قلوبهم والموت وكانت الحياة فى ظل هذه الضرائب وقسوة تحصيلها نوعًا من الموت المعنوى وفى ذلك يقول بتلر فى كتابه «فتح العرب لمصر» ترجمة أبى حديد «إن حكومة مصر فى العهد البيزنطى لم يكن لها إلا غرض واحد هو أن تبتز الأموال من الرعية لتكون غنيمة للحاكمين ولم يكن قصد الحاكم توفير الرفاهية للرعاية أو ترقية حال الناس والعلو بهم فى الحياة أو إصلاح أمور أرزاقهم فكان الحكام عليهم حكم الغرباء لا يعتمد إلا على القوة ولا يحس بشىء من العطف على الشعب المحكوم».

الحادى عشر: المحكومون فى كل ولايات الدولة البيزنطية هذا حال حكامهم محتلون وغرباء ليس لهم هم إلا ابتزاز أموال المحكومين لتكوين غنائم وليس هدف الحاكم توفير الرفاهية للمحكومين أو ترقية حالتهم أو إصلاح أمور رزقهم فكل هم الحاكم ابتزاز الشعب المحكوم بالضرائب المتنوعة وهنا يسأل المؤلف سؤال يلح فى طلب الإجابة.. شعب محكوم من غرباء ليس لهم هدف إلا ابتزاز أموال الشعب فلو أتى حاكم آخر يخلصهم من هذا الوضع المتدنى فى المعيشة والابتزاز.. هل الحاكم الجديد يعتبر منقذًا أم محتلاً؟ هذا السؤال لن أجيب عليه الآن إلا بعد سرد تفاصيل الضرائب التى كان يتم تحصيلها ومدى فظاعتها وضخامتها حتى نعرف الإجابة الصحيحة على ذلك السؤال وكذلك نستطيع الإجابة على سؤال آخر لماذا توجه زعماء أيلة وجرباء وأذرح بكامل إرادتهم الحرة للرسول ﷺ يطلبون ترك الدولة البيزنطية والدخول فى حماية الدولة الإسلامية.

المبحث الثالث

أنواع الضرائب فى الدولة البيزنطية

سوف نأخذ بالوضع فى كل الدولة البيزنطية وأنواع الضرائب وهذه الضرائب ستكون مطبقة فى كل أقاليم وولايات الدولة البيزنطية والضرائب متعددة على

النحو التالى وسنركز على الوضع فى مصر وما يحدث فى مصر فى كل ولايات الدولة البيزنطية والضرائب على النحو التالى:

١ - الضريبة الأولى: ضريبة الأرض «الأراضى التى تزرع حبوبًا»

كان النظام المالى البيزنطى أن الضريبة على الأرض يتم جبايتها إما نقدًا أو عينًا أى نوعًا لأن سفن الغلال كانت تسافر من الإسكندرية إلى القسطنطينية لأن مصر كانت تعتبر سلة الغلال للدولة الرومانية وكانت هذه الضريبة عينًا بنسبة من الغلال التى تنتجها الأرض لتموين جنود الإمبراطورية ولكى يتم إطعام رعايا الدولة البيزنطية فى العاصمة القسطنطينية وكذلك كان يتم توريد اللحوم والزيوت مع الغلال ويقول J.G MILNE فى كتابه «تاريخ مصر فى ظل الإمبراطورية الرومانية» إن المزارع المصرى كان له الخيار فى دفع ضريبة الأرض عينًا من الغلال أو نقدًا وهذا بالنسبة للأراضى التى تزرع حبوبًا ولم يكن تحديد ضريبة الأرض التى تزرع حبوبًا ثابتة كل عام بل كان الإمبراطور يحددها مع مستشاريه حسب النفقات المتوقعة للإمبراطورية فى ظل حالة الحروب الدائمة مع الدولة الفارسية ويتم توزيعها على الولاة فى الأقاليم حسب النظام السابق سرده حتى ينتهى الأمر إلى الوحدة الصغيرة وهى القرية. وكانت القرية كلها مسئولة مسئولية تضامنية على كمية الضرائب المفروضة عليها وهذا المبدأ وهو مبدأ المسئولية التضامنية لتحصيل الضرائب فى الإقليم أو المقاطعة أو القرية أحد أسباب كراهية الشعوب للنظام البيزنطى وكانت الشعوب تكره الولاة البيزنطيين والإمبراطور البيزنطى لأن مبدأ المسئولية التضامنية فى تحصيل الضرائب فيه ظلم للجميع وفيه غدر فجميع الذين يتركون قريتهم يتحمل ضرائبهم بقية المقيمين فى القرية وهذا الظلم أدى إلى اختفاء وهجرة الكثيرين من القرى للظلم فى جمع الضرائب مما أدى إلى انتقال العبء الذى كان مفروضًا عليهم إلى بقية أفراد القرية مما جعل الجميع يكرهون ذلك النظام البيزنطى ويتوقون شوقًا للخلاص منه على يد أى فاتح يخلصهم من ذلك الظلم البين من أية جنسية أخرى. وقد تم تقسيم الأراضى فى عهد الإمبراطور دقلطيان إلى عدة أنواع من الأراضى أراض خصبة تروى من ماء النيل وأراض تسقى بعد جهد

ومشقة وأراض يظل يغمرها مياه النيل فترة طويلة من السنة فتتأخر زراعتها وأراض صحراوية لا يصلها الماء وقد وضع نظام متدرج فى دفع الضرائب ويذكر J.G MILNE أن ضريبة أرض الغلال فى مصر من ٢,٥ أردب إلى سبعة أرادب فى الفدان الواحد حسب طريقة وصول المياه إليه وفى عهد الإمبراطور جستينان كان يتم توريد ثمانية ملايين أردب غلال من مصر للقسطنطينية.

٢ - الضريبة الثانية ضريبة أرض الكروم والأشجار:

وهذه هى الضريبة البيزنطية الثانية وهى تفرض على الأراضى التى تزرع كروم ونخيل والتين والزيتون وغيرها من الثمار، يقول J.G MILNE إنها كانت متفاوتة بين كل إمبراطور وآخر، ففى بعض العهود كان يفرض عشرة دراهم للفدان وفى بعض العهود عشرين درهماً للفدان وفى بعض العهود أربعين درهماً للفدان حسب تقدير الإمبراطور لنفقات الدولة وحروبها فى ذلك العام ومستشاريه بمقتضى الحق الإلهى وكان لتسهيل عملية تحصيل الضرائب بالمسئولية التضامنية على أفراد القرية كان بكل قرية سجلات دقيقة مبين أنها أصناف الأراضى وما تغله من غلال أو كروم أو زيتون أو نخل وخصائص هذه الأرض والعاملون بها والملاك لها وكان يعدها موظف هو كاتب القرية وكان جامعو الضرائب من الغلال فى مصر يسمون «ستولوجوا» وكان يتم تجميع الغلال وتوضع فى مخازن القرية ثم تشحن عن طريق النيل إلى المخازن العامة بالإسكندرية ومن هناك ترسل من الإسكندرية إلى القسطنطينية أو أية جهة أخرى. أما الضرائب التى تجمع نقداً مثل ضريبة أرض الكروم والأشجار كان يجمعها موظفون آخرون يسمون «البراكتورز» ولها سجلات خاصة بها.

٣ - الضريبة الثالثة: ضريبة الأنونا:

وهى حصة من الغلال مخصصة لتموين مدينة الإسكندرية حيث كانت العاصمة لمصر هى الإسكندرية فضريبة الأنونا «The Annona» ولكن ضريبة الأرض التى ترسل إلى القسطنطينية وهى عاصمة الدولة البيزنطية تسمى «الأمبول» وعلى ذلك فضريبة الأرض من الغلال نوعان نوع يرسل إلى الإسكندرية

عاصمة الإقليم المصرى وهى ضريبة الأنونا ونوع يرسل إلى القسطنطينية وهى ضريبة «الأمبول».

٤ ـ الضريبة الرابعة: ضريبة الحكومة:

وقد كانت الحكومة تسلف المزارع أردبًا من البذور لكل فدان والفدان فى عهد الدولة البيزنطية يسمى «أرورا» فكانت الحكومة تعطيه أردبًا من البذور لكل أرورا على أن يردهم المزارع فى نهاية العام مضافًا إليها فائدة قدرها ١/٢٤ من الكمية التى أنتجتها الأرض.

٥ ـ الضريبة الخامسة: ضريبة نوبيون «Naubion»:

وكانت هذه الضريبة من أجل تطهير القنوات والمصارف وقد بلغت مائة درهم عن الفدان الواحد.

٦ ـ الضريبة السادسة: ضريبة جيومتريا «Geometria»

وهذه الضريبة كانت تدفع لأجور المساحة الذين يحددون المساحات وزراعة كل أرض وهى ضريبة يتحملها المزارع.

٧ ـ الضريبة السابعة: ضريبة الرأس على الأشخاص:

فكل شخص من سكان مصر كما يقول ملن «MILNE» من سن الرابعة عشر إلى الستين ملزم بدفع ضريبة الرأس على الشخص الحى وكانت عبارة عن عشرين درهمًا على كل شخص لذلك كان يتم إجراء إحصاء عام للسكان فى كل البيوت فى مصر لحصر تعداد الشعب المصرى الواجب عليه الضريبة وكان الإحصاء يتم كل أربع عشرة سنة ويتم إبلاغ محصلى الضرائب بأى تغيير يحدث فى كل أسرة وكان معفى من هذه الضريبة سكان العاصمة الإسكندرية والروم المقيمين فى مصر وأبناء الجند الإغريق وعدد من القسس فى كل معبد أما بقية الشعب المصرى الكادح ملزمون بدفع هذه الضريبة.

٨ـ الضريبة الثامنة: ضريبة المواشى:

كان يتم فرض ضريبة بيزنطية على كل فصيلة من الحيوانات على حده مثل الثيران والجمال والغنم والماعز والحمير وغيرها وكانت السلطات المحلية تقوم بعمل إحصاء عام لها كل عام ليتم فرض ضرائب على أصحابها ومثلاً كان يفرض على الجمل عشرة دراهم.

٩ـ الضريبة التاسعة: ضريبة الرقيق:

كانت تجارة الرقيق تجارة معترف بها فى الدولة البيزنطية لذلك كانت تفرض ضريبة الرقيق لكل من يملك عبداً يعمل عنده وخاصة أرقاء الأرض.

١٠ـ الضريبة العاشرة: ضريبة الأراضى المشغولة بالبناء:

كانت هذه الضريبة أول من فرضها الإمبراطور جستنيان لمواجهة نفقات الحروب المتزايدة وكان يتم فرض ضريبة بيزنطية على كل أرض مشغولة بالبناء وفرضت على كل المنازل والحوانيت والمخازن والمشروعات التجارية وكان قدرها مائة درهم على كل منزل وكان الموظفون المختصون بتحصيلها يسمون «البراكتورز».

١١ـ الضريبة الحادية عشر: ضريبة الأثاث:

وصل حد فرض الضرائب فى عهد الدولة البيزنطية إلى حد اللامعقول فكان يتم إحصاء أثاث كل منزل وتقدر ضريبة على الأثاث الموجود داخل كل منزل.

١٢ـ الضريبة الثانية عشر: ضريبة المهن الحرة:

فكل أنواع المهن من تجارية وغيرها تخضع للضريبة فى الدولة البيزنطية فكانت تفرض على كل من يقوم بعمل أو أى مهنة مثل الباعة الجائلين والإسكافيين و الصناع المختلفة الحرف حتى العاهرات تم فرض ضريبة عليهن وكانت عبارة عن نسبة من إيراد كل شخص.

١٣- الضريبة الثالثة عشر: ضريبة مبيعات:

أية مبيعات من أى صنف كان مفروضًا عليه ضريبة مبيعات قدرها ١٠٪ من قيمة البيع وكانت تسمى فى عهد الدولة البيزنطية ضريبة «ENYKLION».

١٤ - الضريبة الرابعة عشر: ضريبة الجمارك:

وهى ضريبة تفرض على البضائع الداخلة إلى مصر عن طريق الصحراء من جهة البحر الأحمر والداخلين عن طريق الفيوم من الصحراء الغربية أو عن طريق النيل أو الداخلين إلى الإسكندرية.

١٥ - الضريبة الخامسة عشر- ضريبة انتقال للأشخاص:

كل من يدخل مصر أو يخرج منها عن طريق المنافذ سواء من الإسكندرية أو البحر الأحمر أو الفيوم أو عن طريق النيل كان يدفع ضريبة النقل على الأشخاص وهى ليست أجرة النقل بل هى ضريبة للانتقال فى البحر الأحمر كان يحصل عشرة دراهم عن كل شخص وعن العمال ثمانية دراهم وعن النساء وزوجات الجنود عشرين درهمًا وعن انتقال العاهرات مائة وثمانية دراهم.

١٦ - الضريبة السادسة عشر: ضريبة انتقال الحيوانات:

وكذلك كانت تدفع ضريبة انتقال بالنسبة للمواشى والحيوانات وهى ضريبة نقل الحيوانات.

١٧ - الضريبة السابعة عشر: ضريبة التركات:

فكل متوفى يحصل من تركته على ٥٪ من مجموع قيمة التركة.

١٨ - الضريبة الثامنة عشر: ضريبة عتق الرقيق:

فكل من يعتق رقيقًا يدفع عنه لخزانة الدولة البيزنطية ٥٪.

١٩ - الضريبة التاسعة عشر: ضريبة تسجيل العقود:

كانت ضريبة تسجيل العقود فى الدولة البيزنطية قدرها ١/٦٪ من قيمة العقد المطلوب تسجيله.

٢٠ ـ الضريبة العشرون: ضريبة هدايا الملك:

فرضت هذه الضريبة فى القرن الثالث واستمرت بعد ذلك وكان الغرض منها تقديم الهدايا للإمبراطور وبعد ذلك أصبحت ضريبة دورية كان يقوم بجمعها فئة خاصة وهم يسمون باركتوز «PRAKTORES» وهى بمعدل أربعة دراهم عن كل فرد.

٢١ ـ الضريبة الحادية والعشرون: ضريبة تقديم القرابين:

كل من يقدم قرابين تقدم للكنائس كانت تجبى ضريبة ٤٪ من قيمة القرابين المقدمة للكنائس.

٢٢ ـ الضريبة الثانية والعشرون: ضريبة كسوة الجنود:

كانت ضريبة كسوة الجنود قد تم فرضها فى مصر فى عهد الإمبراطور دقلطيان وهى لكسوة جنود الإمبراطورية البيزنطية فكسوة الجنود كانت على رعايا الدولة البيزنطية.

٢٣ ـ الضريبة الثالثة والعشرون: ضريبة استضافة موظفى الحكومة:

كان على الأهالى استضافة موظفى الحكومة فى تنقلاتهم ورحلاتهم وحضورهم إلى أية قرية وكان على أهالى القرية استضافة موظفى الحكومة البيزنطية من السكن والمأكل وكان عددهم كثير وكان ترحيلهم الدائم بين القرى يكلف أهالى القرية الكثير وكان ذلك عبئًا مضافًا إلى أهالى كل قرية.

٢٤ ـ الضريبة الرابعة والعشرون: ضريبة السخرة:

فكان يتم تكليف المصريين بضريبة السخرة فكان الفلاحون مكلفين طبقًا لضريبة السخرة بعمل إجبارى بدون دفع أى أجر لهم مثل فتح القنوات والجسور وإصلاح الجسور وكل مصرى من الفلاحين يخصص نفسه للعمل خمسة أيام فى صيف كل عام سخرة كضريبة سخرة وإذا أراد إعفاءه من هذه الضريبة يدفع لخزانة الدولة البيزنطية أجرة عامل لمدة خمسة أيام فهى بمثابة ضريبة تسمى ضريبة السخرة.

٢٥ - **الضريبة الخامسة والعشرون: ضريبة الموتى:**

كانت قمة العجز الضريبى فى الدولة البيزنطية ضريبة الموتى فلا يتم دفن جثة أى ميت إلا إذا دفع ضريبة الموتى قبل دفنه.

المبحث الرابع
رأى المؤلف فى الضرائب فى الدولة البيزنطية

أولاً: لقد كانت حالة كل الأقاليم الواقعة تحت الحكم البيزنطى فى حالة من الضياع والفقر والبؤس بهذه الترسانة من الضرائب التى لم تترك أى شىء فى الحياة إلا وفرضت عليه ضريبة حتى الموتى فرضوا عليهم ضرائب ولم يكن أهالى البلاد وخاصة فى مصر إلا مجرد آلات لإنبات القمح لينقل إلى القسطنطينية وما يتبقى لديهم لا يكفى لهذا الطوفان من الضرائب لذلك أصبح سكان كل الدول الواقعة تحت الحكم البيزنطى يتمنون أى تغيير لينقذهم من مستنقع الحكم البيزنطى الذى لم يترك لهم فرصة التنفس فقد أصبح رعايا الدولة البيزنطية وخاصة فى مصر الطبقة السفلى فى النظام الاجتماعى بينما الطبقات العليا المكونة من الرومان ليس لهم إلا غرض واحد حلب المصريين حتى آخر درهم لينقلوه إلى خزائن القسطنطينية.. فهل من منقذ لشعوب الدولة البيزنطية؟.. وهل منقذ الشعوب البيزنطية من هذا المستنقع البيزنطى يسمى غازيًا أم منقذًا؟..

ثانيًا: كان تقدير الضرائب فى الدولة البيزنطية يتم تقدير حسب ظروف الإمبراطورية فى العام الذى تقدر فيه ويقدرها الإمبراطور مع مستشارية حسب الحروب التى ستدخلها الإمبراطورية أو نفقات العمران التى تحتاجها أو القصور التى سوف يبنيها الإمبراطور لذاته وكان المبلغ المطلوب يقسم على الولايات ثم على المقاطعات ثم على النواحى ثم على القرى ثم تقدر ما هو مطلوب من كل فرد وقد كانت نفقات الإمبراطورية البيزنطية تزداد عامًا بعد عام لكثرة الحروب مع

الدولة الفارسية وبالتالى زيادة الضرائب على رعايا الدولة فى الولايات فالحروب بين الدولة الفارسية والدولة البيزنطية لا تنتهى وتأكل اليابس والأخضر فى كل الولايات التابعة للدولة البيزنطية والدولة الفارسية ففى إنطاكية فى عام ٥٤١م عندما دخلت القوات الفارسية وهزمت القوات البيزنطية ذبحت كل الجنود البيزنطيين أحياء بسكاكين مثل الحيوانات وأخذت كل ثروات أنطاكية وأخذت كل أهالى أنطاكية عبيداً يتم المتاجرة فيهم فى سوق العبيد وعندما استولى كسرى الثانى ملك الفرس على القدس فى ٦١٥م وهى تابعة للدولة البيزنطية أتلف الكنائس الأثرية التى بها ونهب كل ثرواتها وأشعل النار فى مدينة القدس كلها وذبح تسعين ألفًا من المسيحيين هم سكان القدس كلها، ذبحهم وهم أحياء وعندما استولى كسرى الثانى ملك الفرس على الإسكندرية عاصمة مصر بعدها بعامين فى عام ٦١٧م ماذا فعل بالإسكندرية هدم وحرق كل كنائسها وأديرتها ونهب كل ما بها من ثروات وتحف وآثار هذه نوعية الحروب بين الدولة الفارسية والدولة البيزنطية... هل من يخلص من أهالى هذه البلاد من الحكم البيزنطى يعد غازيًا أو منقذًا؟؟.... وخاصة أن أهالى البلاد هم الذين يصرفون على الحروب من الضرائب التى يدفعونها والدولة البيزنطية حتى تصد هجمات الفرس تفرض ضرائب جديدة ثم تفرض نوعًا آخر من الضرائب الجديدة بحيث أصبح رعايا الدولة الرومانية فى حالة فقر وخراب فى المدن والأقاليم تنتظر من ينقذها من حالة الفقر الدائم لأنه ما أن تنتهى الحرب بين الدولة البيزنطية والدولة الفارسية حتى يتم الإعداد لحرب جديدة وكان نتيجة الحروب الكثيرة الإفلاس المالى فى الدولة البيزنطية الذى لابد من تغطيته بالضرائب الجديدة على رعايا الدولة الرومانية البيزنطية.

ثالثًا: وصلت الضرائب فى الدولة البيزنطية إلى خمسة وعشرين نوعًا من الضرائب على الأراضى الزراعية التى تنتج حبوبًا وعلى الأراضى التى تنتج كرومًا وأشجار وضريبة لتموين العاصمة فى الإسكندرية يطلق عليها الأنونا وضريبة الحكومة وضريبة تطهير القنوات والمصارف وضريبة مساحة الأرض وضريبة المواشى وضريبة الرقيق وضريبة البناء وضريبة أثاث المنازل وضريبة المهن الحرة

وضريبة المبيعات وضريبة الجمارك وضريبة نقل الأشخاص وضريبة نقل المواشى وضريبة التركات وضريبة عتق الرقيق وضريبة تسجيل العقود وضريبة هدايا الملك وضريبة تقديم القرابين وضريبة كسوة الجنود وضريبة استضافة موظفى الحكومة وضريبة السخرة وأخيرًا ضريبة الموتى.. وهنا سؤال.. هل يوجد شعب فى الدنيا يتحمل كل هذه الأنواع من الضرائب من أجل نفقات حروب لا دخل له فيها ومن أجل حياة البذخ والرفاهية فى القصور التى يحياها الإمبراطور وأتباعه.. إن هذه الشعوب إن لم تطلب تغيير حكامها فإنهم أشبه بالحيوانات لأنهم يعيشون عيشة أقل من عيشة الحيوانات.

رابعًا: بعد أن عرضت كيفية جمع الضرائب فى الدولة البيزنطية وأنواع الضرائب فى الدولة البيزنطية نستطيع أن نجيب على سؤال.. لماذا ترك أهل جرباء وأيلة وأدرح الدولة البيزنطية وتوجهوا بكامل إرادتهم إلى الرسول ﷺ فى تبوك للانضمام تحت لواء الدولة الإسلامية على أن يدفع أهل أيلة ثلاثمائة دينار وجربا وأذرح مائة دينار.. لأن الفرق رهيب بين الضرائب التى يدفعونها فى ظل الدولة البيزنطية وفى ظل الدولة الإسلامية وحتى تستكمل الصورة لابد من تحديد وضع الجزية أو الضرائب فى الدولة الإسلامية وكذلك فى الدولة الفارسية حتى نستطيع المقارنة وتكون المقارنة عادلة حتى نعرف لماذا هربت الولايات من حكم الدولة البيزنطية أو الفارسية وانضمت للدول الإسلامية بإرادتها.

الفصل الثالث
الضرائب فى الدولة الفارسية

سوف نتناول الضرائب فى الدولة الفارسية فى ثلاثة مباحث على النحو التالى تفصيلا..

المبحث الأول: نشأة الدولة الفارسية والديانة المجوسية.

المبحث الثانى: أنواع الضرائب فى الدولة الفارسية.

المبحث الثالث: رأى المؤلف فى الضرائب فى الدولة الفارسية وذلك على النحو التالى تفصيلاً..

المبحث الأول
نشأة الدولة الفارسية والديانة المجوسية

أولاً: الدولة الفارسية أو الدولة الساسانية التى كانت تحكم العراق وبلاد فارس يرجع تأسيسها إلى عام ٢٢٦م فقد أسس أردشتر الأول تلك الدولة الفارسية بعد أن انتصر على آخر ملوك دولة البارثيين فى موقعة هرمز شرق مدينة الأهواز ولذلك يعتبر أردشتر هو مؤسس الدولة الفارسية وأردشتر يعتبر أحد أحفاد دارا أحد ملوك الفرس الأقدمين وكان والده ساسان تزوج من ابنة بايك وكان ثمرة هذا الزواج أردشتر وعلى يديه تم توحيد بلاد الفرس كلها تحت سيطرة أردشير وأصبح هو مؤسس الدولة الفارسية التى عرفت باسم الدولة

الساسانية التى ظلت تحكم بلاد فارس حتى وقوع الفتح الإسلامى لبعض الدولة الفارسية.

ثانيًا: وقد عاش أردشتر أربع عشرة سنة بحكم الدولة الفارسية من ٢٢٦م إلى ٢٤٠م بعد أن انتصر على آخر ملوك الدولة البارثين وهو أردوان.

ثالثًا: كان نظام الحكم فى الدولة الفارسية الجديدة فرديًا استبداديًا وكان يطلق على حاكم الدولة الفارسية ابتداء من أردشتر ومن تبعه من خلفائه لقب ملك الملوك أو شاهنشاه وكان حكام الدولة الفارسية يسمون أنفهسم آلهة ولهم الحق الإلهى فى أن يلبسوا التاج الفارسى لدولة الفرس وكان تاج الحاكم الفارسى مزود بالذهب والفضة واللؤلؤ والزيرجد والياقوت وكان جميع رعايا الدولة الفارسية يسجدون للحاكم الفارسى لأنهم يؤمنون بنظرية الحق الإلهى للملوك وكان الناس يعتقدون أن من لهم الحق فى الجلوس على الكرسى الملكى لحكم دولة فارس هم من الساسانية فقط.

رابعًا: وكان ملك الملوك على رأس الدولة الفارسية وهو شاهنشاه وتحته رؤساء الإقطاعيات وهم طبقة تسمى طبقة الدهاقين الذين يملكون العقارات من الأراضى الشاسعة فكانوا هم الوسطاء بين الشعب وملك الملوك. وكانت توجد طبقة تسمى الطبقة الأرستقراطية قريبة من ملك الملوك ولها امتيازات خاصة وكانت توجد طبقة الأمراء التابعين الذين يحكمون بعض أقاليم الدولة الفارسية وكانت توجد طبقة الأشراف وهى طبقة رؤساء الأسر القوية الممتازة وكان حكام الأقاليم فى الدولة الفارسية من الأمراء وهم يطلقون عليهم «المرازبة». وكان الجيش الفارسى يخضع لقائد واحد وهو «إيران اهبهيذ» وكانت أهم فئة فى الجيش هم من يطلق عليهم «الأساورة» وهم نخبة الجيش من الفرسان والدارعين وكان قواد الجيش يختارون من النبلاء لولائهم لملك الملوك وعليهم يتوقف نصرة الدولة الفارسية.

خامسًا: وكانت توجد طبقة أخرى هى طبقة رجال الدين الذين كانوا يسمون «موبذان» ورئيسهم الأعلى يسمى «موبذان موبذ» وهم من أتباع زرادشت وهم

الذين يديرون الشعائر الدينية فى المعابد ولهم حق القضاء فقد خولت الدولة الفارسية لرجال الدين حق القضاء وكانوا دولة داخل الدولة لغناهم بما يملكونه من أراض نتيجة العشور التى يحصلون عليها والهبات. وقد أعاد أردشتر مؤسس الدولة الفارسية أمجاد الدين المجوسى بعد أن ضعف شأنه فى عهد الدولة السابقة وهى دولة البارثين فقد قرب أردشتر رجال الدين له وحمى نظامهم وكون منهم مجلسًا للشورى يستهدي بنصائحهم له ومنحهم إقطاعات كبيرة من الأراضى لذلك كانت أملاك المجوس واسعة من الأراضى الخصبة وقد أمر أردشتر بعدم السماح بأى دين آخر غير دينهم الماجوسى لذلك تم اضطهاد صاحب أى دين آخر ولاسيما اليهودية والمسيحية وقد زاد اضطهاد الدولة الفارسية لأتباع الديانة المسيحية بعد أن دخلت الدولة الفارسية مع الدولة البيزنطية فى حروب دائمة.

سادسًا: كانت الدولة الرومانية فى روما قد أقامت عدة حروب مع دولة البارثيين واحتلت كثيرًا من أقاليم الدولة ولما انتصر أردشتر على البارثيين وكون الدولة الفارسية كان همه الأول هو استرداد الأقاليم التى احتلتها الدولة الرومانية لذلك بدأت الحروب بين الدولة الفارسية والدولة الرومانية وكان نتيجة ذلك أن الدولة الفارسية والدولة الرومانية ثم الدولة البيزنطية بعدها كانوا يشتبكون فى حروب دائمة متوالية تأكل اليابس والأخضر وتحقق الكوارث للإمبراطورية الفارسية والرومانية معًا فلا يوجد خاسر دائمًا ولا منتصر دائمًا إنما الحروب سجال وهكذا استمرت حالة العداء والحرب بين إمبراطوريتي فارس والقسطنطينية حتى نشوء الدولة الإسلامية الأولى فى يثرب فى عام ٦٢١م وكانت الحروب أحد أسباب امتلاء خزائن ملك الملوك للدولة الفارسية وكان يستفيد منها الشاهنشاه والحاشية المحيطة به أما بقية الشعب الفارسى هو الذى يتحمل الضرائب لنفقات هذه الحروب العسكرية وامتلاء خزائن ملك الملوك.

سابعًا: لم يدخل الفرس فى حروب مع الدولة البيزنطية فقط بل دخلوا في حروب أخرى على حدودهم الشرقية الشمالية مع قبائل الهون البيض وكانت

الحروب تمتد إلى أقاليم أرمينية وحتى مناطق القوقاز وكل هذه الحروب تحتاج إلى نفقات والنفقات يتم تحصيلها من الضرائب التى تفرض على الشعب الفارسى وعندما تولى كسرى الأول عرش الإمبراطورية الفارسية ٥٣١م ثم بعده كسرى الثانى كانت بلاد الفرس تئن من الطغيان والظلم والفساد وأغنياء الإقطاعيات للأمراء ورجال الدين أما الشعب ذاته الفارسى مظلوم لا يستطيع أن يدفع الضرائب التى تفرض عليه لتغطية تكلفة الحروب المستمرة مع الدولة البيزنطية.

ثامنًا: أتباع زرادشت يسمون عبدة النار لأنها فى معابدهم دائمًا نار مشتعلة يقدسونها ولكنهم لا يعبدون النار فالنار رمز للآلهة وكذلك الماء والأرض مقدسة لديهم وجثث موتاهم لا تحرق ولا تدفن بل توضع فى أبراج عالية تسمى أبراج الصمت لتأكلها الطيور وهذه هى الديانة الماجوسية وأصلهم فارسيون فى إيران ونبيهم هو زرادشت وقد نشأ فى القرن السادس قبل الميلاد وسميت الماجوسية لأن قبيلة ماجوس من سكان بلاد فارس أول من آمنوا بتعليم زرادشت ولذلك يطلق عليها الديانة الزرادشتية أو الديانة الماجوسية.

تاسعًا: عدد أفراد الديانة المجوسية الآن فى العالم حوالى ثلاثمائة ألف منهم واحد وتسعون ألف فقط فى إيران وبعضهم فى الهند أو باكستان وأوروبا وأمريكا. مؤسس الديانة الزرادشتة هو زرادشت بن بورشب وهو أصلا من أذربيجان والنبى المجوسى زرادشت أتاهم بكتاب المجوس وهو «الزمزمة» وهذا اسم كتابهم المقدس عند عوام الناس أما هذا الكتاب المقدس عند المجوس اسم «بستاء» وتفسير كتابهم المقدس موجود فى كتاب يسمى «زندا» وظهر زرادشت فى القرن السادس ق.م فى عهد الملك كشتاسب بن لهراسب الذى آمن بدعوته المجوسية. وقد تزوج زرادشت نبى الماجوس من فتاة اسمها «هافويه» وقد توجه زرادشت إلى جبال سيلان ليتفرغ للعبادة بحثًا عن مصدر الخير والشر فى كهف فى بطن الجبل وتبين لزرادشت أن العالم يتكون من النور والظلام وكذلك من الخير والشر ولذلك فالعالم يحكمه إلهان إله شر وإله خير وإله الخير هو «مزدا» وإله الشر هو «أهرمان».

عاشراً: وقضى زرادشت عشر سنوات يلقى الاضطهاد حتى من أهل قبيلته ولا يؤمن به أحد ولذلك توجه زرادشت إلى الملك «كاشتاسب» وشرح له عقيدته فآمن بها وترك أهل إيران عبادة الأصنام والشمس والنار والجبال والنجوم التى كانوا يعبدونها وعند الزرادشية الإله مزدا إله الخير هو خالق السموات والأرض وهو الذى خلق الإنسان وهم يؤمنون بالبعث والحساب، ويؤمنون بالنار والجنة وفى الجنة يعيشون حياة سرمدية لا شر فيها وبعد أن آمن الملك بعقيدة المجوسية انتشرت المجوسية فى إيران كلها ثم آمنت به قبيلته.

الحادى عشر: والمجوسية تقدس النار ولا تعبدها والمجوسية لهم زى قومى وهو «الكوشتى» ويرتدى رجال الدين زيًا أبيض وعمامة على الرأس وقناعة على الفم أثناء تأدية طقوسهم الدينية ليتجنبوا تلويث النار المقدسة بأنفاسهم. ولهم خمس صلوات فى اليوم والإنسان عندهم مخير لا مسير فى اختيار طريق الخير أو الشر فالإنسان له إرادة حرة وقد خرج ذات يوم من المجوسية مذهب أسسه «مزدك» يدعو إلى الإباحية بأن يكون المال والمرأة مشتركًا للجميع وقد عمل بذلك فقط فى عهد الملك «مزدك» ولكن الزرادشية لا تؤمن بالإباحية بأن تكون المرأة مشاعًا للجميع.

المبحث الثانى

أنواع الضرائب فى الدولة الفارسية

١ - الضريبة الأول: ضريبة الأراضى:

ضريبة على الأراضى الزراعية التى تزرع غلالاً ومنذ عهد كسرى الأول كانوا يقاسمون الزراع محصولاتهم ونسبة المقاسمة من العشر إلى النصف للمحصول حسب احتياجات ملك الملوك للمال.

٢ - الضريبة الثانية: ضريبة الأشجار:

وكانت الأراضى التى تزرع أشجارًا مثل الكروم والزيتون وغيرها تفرض ضريبة عليها وكانت الدولة الفارسية تقسم الناتج من هذه الأشجار من ثمار الثلث أو السدس حسب حاجة الدولة للمال.

٣ ـ الضريبة الثالثة: الضريبة الاستثنائية:

كان فرض الضرائب فى الدولة الفارسية غير منظم مثل الدولة البيزنطية فكان جمع وتقدير الضرائب فى الدولة الفارسية بدون إعداد منظم لذلك كانت تفرض ضريبة استثائية عند قيام أى حرب لأن الدولة الفارسية غير مستعدة لها وكان عبؤها الفادح يقع غالبًا على الأقاليم الشرقية الغنية وخاصة العراق.

٤ ـ الضريبة الرابعة: ضرائب هبات وهدايا الملك:

كانت تفرض ضريبة تسمى «أيين» وهى الهدايا التى تقدم لملك الملوك جبرًا فى الأعياد القومية المختلفة مثل عيدى النيروز والمهرجان.

٥ ـ الضريبة الخامسة: ضريبة الجمارك:

وهى تفرض على البضائع التى تمر بالحدود وتبين ذلك من معاهدة الصلح التى وقعت بين كسرى الأول وجيستنيان فى عام ٥٩٢م فقد كان من شروطها أن يستمر التجار من الفرس والروم فى تبادل جميع أنواع البضائع على أن تمر البضائع بالمكاتب المقامة على الحدود ويدفع عنها الضرائب الجمركية.

٦ ـ الضريبة السادسة: ضريبة رجال الدين:

كان رجال الدين يفرضون ضريبة على الأفراد ويفرضون عليهم هبات حتى يظل الوضع المادى لرجال الدين كطبقة مميزة فقد كان رجال الدين يفرضون ضرائب على ثروات وأعمال الفارسيين وكان رجال الدين يفرضون التعاليم الخاصة بهم وهى أن الأعمال الصالحة للشعب الفارسى لن تكون مقبولة إلا إذا أقرها رجل الدين ولن يقرها رجل الدين إلا إذا تم دفع الضريبة المقررة لرجال الدين وعلى ذلك فإن القبول الموصل للجنة يجب أن يكون مؤيدًا من رجل الدين من خلال دفع الضرائب المخصصة لرجال الدين.

٧ ـ الضريبة السابعة: الضريبة النقدية:

قام كسرى الأول «٥٣١ ـ ٥٧٨» بإحداث تغيير فى النظام الضريبى فبعد أن كان النظام الضريبى يقوم على المقاسمة فى المحصول أبدله إلى النظام النقدى

لأنه وجد أن حصوله على غلال ووضعها فى المخازن العمومية لا يسعفه فى حاجته للمال لمواجهة نفقات الحروب الكثيرة مع البيزنطيين لأن وجود المال هنا مرهون ببيع الغلال الموجودة فى المخازن العمومية وتحويله إلى مال واختصاراً للطريق وإيجاد الأموال مباشرة، غير كسرى الأول نظام الضرائب فى الدولة الفارسية من نظام المقاسمة فى المحصول إلى النظام النقدى لسرعة مواجهة المتطلبات العسكرية للحروب الدائرة على حدود دولته فى الشرق والشمال مع الدولة الرومانية ومع بلاد أرمينية والقوقاز فى الشمال لذلك قام كسرى الأول ومن بعده بإتمام إجراءات المساحة للأراضى وعرفت أصناف الغلات وعدد الأشجار ذات الثمار من نخل وكروم وزيتون وغيرها وفى ظل نظام الضريبة النقدية كان درهم على كل جريب أرض من مزارعى الحنطة والشعير وعلى كل جريب أرز نصف درهم وعلى جريب أرض كرم ثمانية دراهم والجريب هو وحدة المساحة المزروعة وسبعة دراهم على كل جريب مزروع نخيل.. وكان يتم جباية الضرائب ثلاث مرات مرة كل أربعة شهور.

٨ - الضريبة الثامنة: ضريبة الرءوس:

كانت ضريبة الرأس على كل رجل من سن العشرين إلى الخمسين وكان يعفى منها أهل البيوت العظماء والمقاتلين ولهرابذة والكتاب وحاشية الملك والأشراف والوجهاء ورجال الجيش ورجال الدين وموظف الدواوين وكانت الضريبة المفروضة على الرأس الحى اثنى عشر درهمًا على كل شخص.

٩ - الضريبة التاسعة: ضريبة تغطية نفقات الحروب:

فى أوائل القرن السابع بدأ كسرى أكبر حروب عرفت بين الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية استمرت ضد الإمبراطور فوقاس ثم الإمبراطور الذى بعده هرقل واكتسحت جيوش كسرى كل شىء أمامها من الدولة البيزنطية ففتحت حران والرها وحلب وأرمينيا وفى عام ٦١١م هاجمت عاصمة سورية أنطاكية ثم

قيصرية ودخلت دمشق فى عام ٦١٤م ثم اتجهت نحو أورشليم عاصمة فلسطين فى عام ٦١٥م ثم فتحت مصر فى عام ٦١٦م واستولت على عاصمة مصر الإسكندرية واستنفذ ثروات البلاد الفارسية فى هذه الغزوات فتم فرض ضريبة تغطية نفقات الحرب على الشعوب الفارسية وقام بسلب ونهب كنائس ومعابد الشرق ليغطى نفقات غزواته واستولى على كل الذهب والفضة والآثار والفنون الموجودة بهذه البلاد وكان هم الحكام الفرس الأول والأخير السلب والنهب وتخريب البلاد المفتوحة وعدم وضع نظام لها حتى يسود الخراب والفساد وقد جمع كسرى نتيجة هذه الحروب كما يقول الطبرى فى تاريخ الأمم والملوك الجزء الثانى أنه جمع اثنى عشر ألف امرأة وجارية لحاشيته وألف فيل وخمسين ألف دابة وما لا يمكن حصره من الذهب والفضة وطبعًا كما هو معلوم أن ملك الملوك يحصل على الغنائم أما الشعب ذاته الفارسى يدفع الضرائب ليغطى نفقات هذه الحروب المجنونة التى حولت البلاد التى تم فتحها إلى مستنقع من الخراب والدمار والفقر لرعايا هذه الدول المفتوحة فهى خراب ودمار سواء فى ظل الدولة البيزنطية وخراب ودمار فى ظل الدولة الفارسية حيث لم يسكت هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية فنهض هرقل لينقذ مملكته من الدولة الفارسية ويسترد أملاكه التى احتلها كسرى، ففى عام ٦٢٧ انتصر فى موقعة نيفوى على حدود الدولة الفارسية وبعد ذلك استرد هرقل بعد معارك طويلة وشرسة كل من مصر وسورية وفلسطين وآسيا الصغرى وكانت نهاية كسرى أن ثار عليه ابنه شيرديه وقتله فى عام ٦٢٨م بالاتفاق مع النبلاء الذين أرادوا التخلص من حكم كسرى الديكتاتورى ومن ذلك الوقت بدأ اضمحلال الدولة الفارسية وكانت وموجات هذه الحروب والحروب المضادة يدفعها الشعب الفارسى ووصل حاله إلى حد حالة البؤس من شدة الفقر وخاصة بعد أن حكم شيرويه حوال ثمانية شهور بعد أن قتل والده كسرى وخلال الثمانية شهور التى حكم فيها الدولة الفارسية ذبح كل إخوته وانتشر فى عهده طاعون أهلك الكثير من أهل الدولة الفارسية.

وهنا سؤال يحتاج إلى إجابة... شعب هذا حاله من الفقر والبؤس فى الدولة الفارسية تفرض عليه كل هذه الضرائب أى فاتح لبلادهم يعتبر غاز أم منقذ.

المبحث الثالث

رأى المؤلف فى الضرائب فى الدولة الفارسية

أولاً: منذ أن أسس أردشتر الأول الدولة الفارسية فى عام ٢٢٦م وهى فى حالة حروب دائمة لم تنقطع لأن طبيعة الحكم فى الدولة الفارسية فرديًا استبداديًا ديكتاتوريًا يفعل ملك الملوك أو شاهنشاه ما يريدون لأنهم يعتبرون آلهة ولهم الحق الإلهى فى اتخاذ أى قرار بالحرب فى أى وقت وما على الشعوب الواقعة تحت ولاية الدولة الفارسية إلا دفع الضرائب التى فوق طاقتهم طبقًا لنظرية الحق الإلهى للملوك فى أن يصدروا أوامرهم وما على الشعب إلا الطاعة فى سداد ما يطلبه ملك الملوك.

ثانيًا: كان ملك الملوك أو الشاهنشاه والطبقات الملتصقة بهم يعيشون عيشة الرفاهية والبذخ فى قصور لم يعرف عصر من البذخ مثل القصور التى يعيش فيها ملك الملوك فى الدولة الفارسية وكل هذا يتم تمويله من الضرائب المفروضة على الشعوب الفقيرة التابعة للدولة الفارسية.

ثالثًا: حتى طبقة رجال الدين الذين يسمون «موبذان» من أتباع زرادشت يحصلون على العشور من الشعوب والهبات لزيادة مكانة رجال الدين وهذه العشور أو الضرائب التى تفرض على الشعوب الفقيرة التى تكاد لا تجد قوت يومها ترهق كاهله.

رابعًا: الحروب بين الدولة البيزنطية والدولة الفارسية لا تنتهى وهذه الحروب تأكل اليابس والأخضر فى الدولتين وهذه الحروب التى استمرت من القرن الثالث إلى القرن الثامن أى حوالى خمسمائة عام من يتحمل نفقاتها سواء الشعوب الكادحة التابعة للدولة البيزنطية والدولة الفارسية ولم تقتصر حروب

الدولة الفارسية مع الدولة البيزنطية فقط بل دخلوا فى حروب على حدودهم الشرقية مع قبائل الهون البيض وامتدت الحروب إلى أرمينية والقوقاز وهى مناطق وعرة فى مناخها وطبيعتها وكل ذلك يحتاج إلى نفقات حروب مضافة يتم جبايتها من الشعب الفارسى المطحون.

خامساً: كانت أنواع الضرائب فى الدولة الفارسية تسعة أنواع كان يتحمل المواطن الفارسى منها ضريبة الأراضى بالمقاسمة بينه وبين الدولة يتم اقتسام المحصول بنسب معينة ثم ضريبة الأشجار بالمقاسمة بين المواطن الفارسى وملك الملوك حسب احتياج ملك الملوك للمال ويحدد نسبة المقاسمة ثم الضريبة الاستثنائية لتمويل نفقات الحروب الطارئة ثم ضريبة هبات وهدايا الملك وضريبة الجمارك وضريبة رجال الدين التى يفرضونها على الأفراد الفارسيين والضريبة التعددية وضريبة الرءوس على الأفراد من سن العشرين حتى سن الخمسين وضريبة نفقات الحروب، كل هذه الأنواع من الضرائب حولت البلاد إلى مستنقع من الخراب والدمار والفقر لرعايا كل من الدولتين البيزنطية والفارسية لأن الدولة الفارسية تنتصر مرة وتعود الدولة البيزنطية لرد الاعتداء والانتصار مرة أخرى، فالحروب بينهم لم تحسم وضعًا نهائيًا بينهم ومنتصرًا نهائيًا بينهم، فقد انتصر كسرى الثانى واستولى على مصر وسورية وفلسطين وآسيا الصغرى، ثم نهض هرقل وانتصر على كسرى فى معركة نينوى على حدود الدولة الفارسية واستعاد هذه البلاد مرة أخرى إلى الدولة البيزنطية ومن المضار فى كل هذه الحروب هم رعايا الدولة البيزنطية ورعايا الدولة الفارسية بكثرة الضرائب التى تفرض عليهم لمواجهة نفقات الحروب التى لا تنتهى.

الفصل الرابع
الضرائب فى الدولة الإسلامية

سوف نتناول الضرائب فى الدولة الإسلامية فى عدة مباحث على النحو التالى تفصيلاً..

المبحث الأول: النظام المالى فى الدولة الإسلامية.

المبحث الثانى: أنواع الضرائب فى الدولة الإسلامية.

المبحث الثالث: رأى المؤلف فى الضرائب فى الدولة الإسلامية.

وذلك على النحو التالى تفصيلاً..

المبحث الأول
النظام المالى فى الدولة الإسلامية

أولاً: اختلفت الأسس التى قامت عليها الدولة الإسلامية عن الأسس التى قامت عليها فى الدولة الرومانية والدولة البيزنطية والدولة الفارسية، فالإسلام دين ودولة فقد أنهت الدولة الإسلامية فكرة ألوهية الفرد التى كانت سائدة فى الدولة الرومانية والدولة الفارسية وأن الحاكم سلطانه مطلق يتصرف بمقتضى التفويض الإلهى ولكن الإسلام لم يعط للحاكم سلطة مطلقة بل كانت سلطة مبنية على الشورى وعلى أساس القرآن والسنة وهما دستور الدولة الإسلامية وكذلك ألغى الإسلام وجود الطبقات الذى كان سائداً فى الدولة الرومانية والدولة الفارسية وكذلك ألغى امتيازات الطبقات التى كانت ممنوحة لها.

ثانياً: فى حياة الرسول ﷺ كان يتم تقسيم الغنائم بعد أن نزلت الآية عقب موقعة بدر وهى فى سورة الأنفال آية ٤١ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أى أن الخمس لله ومن سماهم وهم الرسول ﷺ ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل أما الباقى يقسم على الغانمين من الجند وكانت أول غنيمة خمست بعد موقعة بدر حيث قام يهود بنى قينقاع بنقض عهد الصحيفة المبرم معهم وقاموا بمساندة أعداء المسلمين من كفار قريش فأجلاهم الرسول ﷺ من المدينة وتوجهوا إلى أذرعات فى الشام وكان ذلك بعد بدر بشهر فغنم منهم المسلمون الكثير وقد تم تقسيم الغنائم من بنى قينقاع حسب آية الأنفال آية ٤١.

وقد كان الجهاد وتشريع الجهاد عامًا بالنسبة للمشركين أما فيما يتعلق بأهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فالجزية حيث شرعت الجزية والرسول ﷺ يستعد لغزوة تبوك لمواجهة القوات البيزنطية فنزلت آية الجزية فى السنة التاسعة من الهجرة فى عام ٦٣٠م قد شرعت الجزية فى سورة التوبة آية ٢٩ ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ وعلى ذلك الكفار كان لهم خياران، إما القتال أو الإسلام، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فلهم ثلاث خيارات ا لقتال أو الإسلام أو دفع الجزية على أن تقوم الدولة الإسلامية بحمايتهم من أى اعتداء خارجى ويمارسون شعارئهم الدينية فى حرية مطلقة.

ثالثًا: وفى بداية الدولة الإسلامية كانت الأموال غير كثيرة وكانت السياسة التى اتبعها الرسول ﷺ هو عدم تأخير تقسيم الأموال وإنفاقها فى وجهها الصحيح وقد روى فى حنظلة بن حيفى الذى كان كاتب الرسول ﷺ ويضع عنده خاتمة بأنه كان لا يأتى على مال أو طعام ثلاثة أيام إلا ويتم توزيعه وكان الغالب أن يقسم المال فى ذات اليوم وفى بداية فترة الرسول ﷺ لم تكن هناك حاجة لبيت المال فى عهد الرسول ﷺ ولم يكن يوجد بيت المال طوال فترة الرسول من

٦٢١م إلى ٦٣٢م وكذلك كان الوضع فى فترة أبى بكر الصديق فى أول فترة حكمه إذا ورد مال للمدينة من بعض البلاد أحضره إلى مسجد الرسول ﷺ وفرقه على مستحقيه أو كان ينيب عنه أبا عبيدة بن الجراح ليفرقه على مستحقيه واستمر الوضع كذلك حتى توفى أبو بكر الصديق فى عام ٦٣٤م ولكن عندما تولى الحكم عمر بن الخطاب أنشأ بيت المال بعد أن تغير الوضع فى عهده عقب الفتوحات الإسلامية وكثرت الأموال بفتح الكثير من البلدان التابعة للدولة البيزنطية والدولة الفارسية وكثر عدد الجنود المشاركين فى القوات الإسلامية وقد تحولت الدولة الإسلامية إلى إمبراطورية كان لابد من إنشاء نظام لها فقام الخليفة عمر ابن الخطاب لأول مرة فى التاريخ الإسلامى بإنشاء الديوان وبدأ فى إنشاء الدواوين فى العام العشرين من الهجرة فى عام ٦٤٦م وهنا دعا عمر بن الخطاب عقيل بن أبى طالب.

المبحث الثانى

أنواع الضرائب فى الدولة الإسلامية

١ - ضريبة الخراج على الأرض:

هذه الضريبة لم تكن معروفة فى عهد الرسول ﷺ وفى عهد أبى بكر الصديق ولكنها ظهرت فى عهد عمر بن الخطاب وقد ظهرت هذه الضريبة بعد الفتوحات الكبيرة فى عهد عمر بن الخطاب أما قبل ذلك لم تظهر هذه الضريبة وقد كتب سعد بن أبى وقاص للخليفة عمر بن الخطاب بأن الناس سألوه بعد فتح العراق أن يقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم، وكذلك كتب أبو عبيدة الجراح بعد فتح الشام إلى عمر بن الخطاب بأن المسلمين المقاتلين سألوه أن يقسم بينهم المدن وأهلها والأرض وما بها من شجر أو زرع ولكنه رفض ذلك حتى يأخذ رأى الخليفة عمر بن الخطاب، فقد كان الجنود المسلمون يريدون تقسيم الأراضى كغنائم، فرغم أن ذلك كان يحدث أيام الرسول ﷺ مثلما حدث فى خيبر ولكن المؤلف يرى غير ذلك أن هناك حالات فى حياة الرسول ﷺ لم يتم فيها تقسيم الغنائم من الأراضى مثل حالة دخوله مكة منتصرًا أو حالة دخوله أراضى بنى

النضير. ولكن الوضع فى عهد عمر بن الخطاب اختلف فكان رأى عمر بن الخطاب عدم تقسيم الغنائم على المسلمين من المدن والأرض وما عليها من شجر أو زرع لأنه لو قسمت لم يبق بعدهم شيء والأجيال القادمة سوف تأتى وتجد الأراضى قسمت وورثت عن الأباء ولكن كانت الغالبية ضده فى الرأى وعلى رأسهم عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وبلال بن رباح وكانوا يريدون تقسيم الأراضى والمدن على المقاتلين المسلمين وكان حجتهم فى ذلك.. كيف يقف عمر بن الخطاب فيما أفاء الله عليهم بسيوفهم ويعطيه لقوم لم يحضروا ولم يشهدوا ولأبناء القوم ولأبناء أبنائهم ولم يحضروا فتح هذه البلاد ولكن كان البعض يؤيد عمر بن الخطاب وعلى رأسهم على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وطلحة ومعاذ وابن عمر ولذلك لم يرد عمر بن الخطاب الانفراد بالرأى لذلك جمع عشرة من الأنصار خمسة من قبيلة الأوس وخمسة من قبيلة الخزرج وعرض عليهم المشكلة فأقروا عمر بن الخطاب فى رأيه وعلى الفور قام وكتب إلى سعد بن أبى وقاص فى العراق وعبيدة بن الجراح فى الشام بعدم تقسيم المدن والأراضى وما عليها بين المقاتلين المسلمين كغنائم وهذا ما ورد فى كتاب الخراج لأبى يوسف لأنه لو تم تقسيمها بين من حضروا هذه الفتوحات لم يكن لمن بعدهم شيء ولذلك رفض عمر بن الخطاب قسمة الأرض على من افتتحها وكان من رأى عمر بن الخطاب أن يأخذ الخراج وبذلك تكون ملكية الأرض عامة للأمة الإسلامية بدلاً من أن تكون ملكية خاصة للمسلمين الفاتحين يرثها الأبناء عن الآباء وكذلك طبق ذلك الرأى على كل الفتوحات الأخرى فى مصر. وكان يتم الخراج فى عهد عمر بن الخطاب على أساس كل جريب وفى البلاد الأخرى غامر يغطيه المال أربعة دراهم على كل جريب من الشعير درهمين وعلى كل جريب من الكروم عشرة دراهم والنخل ثمانية دراهم والقصب ستة دراهم.

وهذه الضريبة يدفعها المسلمون وغير المسلمين فهى خراج على الأرض.

٢ - الضريبة الثانية هى ضريبة الجزية:

وهى يتم فرضها على أهل الكتاب من النصارى واليهود وغير المسلمين عموماً وقد تم تحديدها فى عهد عمر بن الخطاب باثنى عشر درهماً أو أربعة وعشرين

درهمًا حسب طاقة كل شخص وكان يعفى منها أكثر من ٧٥٪ من اليهود والنصارى وغير المسلمين حيث كان معفى منها الأطفال والمرأة والشيوخ والعجزة والمرضى وغير القادرين على دفعها والرهبان والمطالب بدفعها القادرون على حمل السلاح من الشباب وهذه الضريبة ليست عقوبة لعدم دخول اليهود والنصارى الإسلام بل هى مساهمة فى نفقات إنشاء المرافق العامة مثل العسس أو الأمن والقضاء والمرافق مثل إقامة الجسور والمصارف والطرق وخدمة البريد وغيرها من الخدمات العامة وكذلك هذه الجزية مساهمة فى جزء من نفقات الجيوش الإسلامية التى تدافع عن اليهود والنصارى الموجودين داخل الدولة الإسلامية لأن الإسلام كان يعفى من اشتراك اليهود والنصارى فى القوات الإسلامية حتى لا يشتركوا فى الدفاع عن دين لا يؤمنون به أو ينشروا دينًا لا يؤمنون به وهذا من سماحة الإسلام مع غير المسلمين.

أما قبل عمر بن الخطاب فى عهد الرسول ﷺ وفى عهد أبى بكر الصديق كان يفرض مبلغ إجمالى على كل بلدة يصل إلى عشر المبلغ الذى كان يتم تحصيله كضرائب فى الدولة الفارسية أو الدولة البيزنطية وهناك فرق بين الجزية والخراج فإن الجزية بالنص أما الخراج فهو اجتهاد من عمر بن الخطاب تم إقراره بالشورى وأن الجزية مقدرة بالشرع وأكثرها مقدر بالاجتهاد حسب الحالة الاقتصادية أما الخراج أقله وأكثره مقرر بالاجتهاد وأن الجزية تؤخذ من أهل الذمة فقط والخراج يؤخذ من أهل الذمة والمسلمين.

والجزية تؤخذ من أهل الذمة اليهود والنصارى ومن جرى فى مجراهم من المجوس والصابئين والسامرة وقد أورد فى الماوردى فى كتابه «الأحكام السلطانية» وأبى يوسف فى كتابه «الخراج» «إن الجزية لا تجب إلا على الرجال فقط ويعفى منها النساء ولا تؤخذ من الصبيان أو من المساكين الذين يتصدق عليهم ولا من مقعد ولا من أعمى ومن لا حرفة له ولا من المترهبنين وأهل الصوامع».

٣- الضريبة الثالثة العشور أو ضريبة الجمارك:

وهى ضريبة تؤخذ على أموال التجارة أهل الحرب وأهل المارين بها من ثغور الدولة الإسلامية وهى أول من وضعها الخليفة عمر بن الخطاب فقد أورد أبو

سيف فى كتابه «الخراج» أن أبا موسى الأشعرى كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يقول «إن تجارًا من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر» فكتب إليه عمر «خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين وخذ من أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين ربع العشر» وقد أمر عمر أن تؤخذ هذه الضريبة وهى ضريبة «العشور» بواقع العشر من التجارة التى تمر بين ثغور الدولة الإسلامية بالنسبة لأهل الحرب ونصف العشر لأهل الذمة وربع العشر للمسلمين لا تؤخذ إلا مرة واحدة فقط فى السنة[1] ولكن التجارة الداخلية سواء للمسلمين ولأهل الذمة ليس عليها ضريبة العشور.

المبحث الثالث

رأى المؤلف فى الضرائب فى الدولة الإسلامية

أولاً: مما تقدم يتضح أن الضرائب فى عهد الدولة الإسلامية لا تكاد تذكر على المسلمين وغير المسلمين فى بداية الدول الإسلامية طوال عهد الرسول ﷺ لم يكن إلا ضريبة الجزية فى العام التاسع من الهجرة عند نزول آية الجزية فى عام ٦٣٠ وقد ورد ذلك فى سورة التوبة آية ٩، وقد عرفت ضريبة الجزية قبل وفاة الرسول ﷺ بعامين ولم يكن معروفًا أيام الرسول ضريبة الخراج على الأراضى ولا ضريبة العشور على أموال التجارة العابرة للأقاليم الإسلامية وهى مثل الجمارك الآن، وكذلك طوال عهد أبى بكر الصديق لم تكن تعرف إلا ضريبة الجزية على غير المسلمين ولم يشرع بالاجتهاد ضريبة الخراج وضريبة العشور على التجارة إلا فى عهد عمر بن الخطاب.

ثانيًا: الضرائب فى ظل الدولة البيزنطية وفى ظل الدولة الفارسية وفى ظل الدولة الإسلامية لا يمكن مقارنتها من ناحية الظلم والتعسف فقد كانت أكثر من خمسة وعشرين نوعًا فى ظل الدولة البيزنطية وإذا قدرت الضرائب فى ظل

---

(١) هذه زكاة واجبة ولا يصح أن تصنف كضريبة.. بل هى زيادة على المسلمين.

الدولة البيزنطية وفى ظل الدولة الإسلامية فهى تزيد عن عشرين مرة فى الدولة البيزنطية عنها فى ظل الدولة الإسلامية، لذلك فإن رعايا الدولة البيزنطية من أيلة وجرباء وأذرح الذين دخلوا فى رعاية الدولة الإسلامية كان من مصلحتهم دفع الضرائب أو الجزية حسب قوانين الدولة الإسلامية حيث إن الضرائب فى الدولة الإسلامية هى الجزية فقط على غير المسلمين ابتداء من العام التاسع للهجرة فى عام ٦٣٠م وهذه الضريبة المسماة بالجزية يعفى منها أكثر من ٧٥٪ من أهل الكتاب وغير المسلمين عمومًا حيث يعفى منها الأطفال وغير القادرين على حمل السلاح والشيوخ والنساء والفقراء غير القادرين والمرضى والرهبان ولا يدفعها إلا ٢٥٪ من القادرين وهى أقل من عشرين ضعف الضرائب من الدولة البيزنطية حيث وصل عدد أنواع الضرائب إلى خمسة وعشرين نوعًا آخرها ضريبة الموتى من يموت لابد أن يدفع ضريبة وإلا لا يدفن فهل يوجد خيار عاقل لغير المسلمين أن يكونوا تحت ظل الدولة البيزنطية أم يكونوا تحت ظل الدولة الإسلامية وكذلك ضريبة الخراج على الأراضى وضريبة العشور وهى الجمارك لم تكن معروفة طوال عهد الرسول ﷺ ولم تكن معروفة طوال عهد أبى بكر الصديق ولكنها عرفت فى عهد عمر بن الخطاب فى الفترة ما بين ٦٣٤ إلى ٦٤٤.

ثالثًا: وكذلك الضرائب فى الدولة الفارسية كانت أكثر من عشر أضعاف الضرائب فى ظل الدولة الإسلامية حيث كانت الضرائب أكثر من تسعة أنواع من الضرائب ولا يمكن مقارنة الضرائب فى ظل الدولة الفارسية بالضرائب فى ظل الدولة الإسلامية من حيث الظلم والتعسف لذلك فإن رعايا الدولة الفارسية الذين دخلوا فى رعاية الدولة الإسلامية كان مصلحتهم دفع الضرائب أو الجزية حيث قوانين الدولة الإسلامية حيث إن الضريبة الوحيدة على غير المسلمين وهم أهل الكتاب أو غيرهم من غير المسلمين لم يطبق إلا ضريبة وحيدة فقط وهى ضريبة الجزية تطبق اعتبارًا من عام ٦٣٠م وهى ضريبة الجزية بعض منها كما سبق أن قلنا ٧٥٪ من المسيحيين واليهود.. إن الخيار العاقل يجعلهم يختارون أن يكونوا رعايا الدولة الإسلامية بدلاً من رعاية الدولة البيزنطية أو رعاية الدولة الفارسية.

رابعًا : إن حكام الدولة الإسلامية من الرسول ﷺ ثم أبى بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم على بن على طالب لم يكونوا حكامًا تستهويهم حياة القصور والخدم والحشم والجوارى ولم يكونوا فاتحين يطمعون فى الثروة والجاه والذهب والفضة وحياة الرغد والرفاهية بل كانوا حكامًا يعيشون فى منازل من الطوب اللبن فى المدينة سقفها من النخيل وليسوا مثل حكام الدولة البيزنطية أو الدولة الفارسية يشربون الشراب فى أوان من ذهب وأحجار كريمة ويعيشون فى قصور خيالية لذلك لم يرهق حكام الدولة الإسلامية رعايا الدولة الإسلامية بالضرائب للإنفاق على حياة القصور فقد كان كل حكام المسلمين يعيشون حياة الكفاف فيكفى أن نقول إن الرسول ﷺ عندما توفى لم يترك درهمًا أو دينارًا ولا شاة ولا بعيرًا سوى بغلته البيضاء التى تسمى «دلدل» ودرع موشح بالنحاس وأعيد كلمة موشح بالنحاس وليس بالذهب أو الياقوت أو الأحجار الكريمة والماس كما يفعل حكام الدولة البيزنطية والدولة الفارسية حتى هذا الدرع كان مرهونًا عند يهودى على ثلاثين قسطًا من الشعير اشتراهم الرسول ﷺ لكى يطعم أهل بيته بعد أن رهن درعه لذلك أقول للمستشرقين.. أين هى أموال الغنائم التى تقولون عنها إن كل الغزوات من أجل الغنائم فالرسول ﷺ مات وأهل بيته أمهات المؤمنين لا يجدن قوت يومهن اشترى لهن الشعير برهن درعه ليهودى لكى يجدوا عشائهم.. أين هى حياة الرسول ﷺ كحاكم لأول دولة مسلمة من حياة هرقل وكسرى لذلك لم يفكر الرسول ﷺ أو الخلفاء الراشدون فى إرهاق رعاية الدولة الإسلامية بالضرائب لأن حياتهم كلها تقشف.. إننى أسأل أى عاقل إذا كان حكام الدولة الإسلامية من أخلاق الرسول ﷺ من الزهد والتقشف أو فى أخلاق هرقل أو أخلاق كسرى من حياة الترف والرذيلة والقصور والنساء وشرب الخمر فى كئوس من الذهب المطعم بالأحجار الكريمة.. أى أخلاق لحكام دولتى أختار لذلك كان الاختيار لحكام الدولة الإسلامية بالنسبة لرعايا الدولة البيزنطية ورعايا الدولة الفارسية هو اختيار العقل.

خامسًا: أول من دخل الدولة الإسلامية هم أهل أيلة وجرباء وأذرح من رعايا الدولة البيزنطية فى عهد الرسول ﷺ بعد موقعة تبوك فى رجب ورمضان من

العام التاسع الهجرى فى عام ٦٣٠م فأثناء وجود الرسول ﷺ لمدة عشرين يومًا فى تبوك جاء يوحنا بن رؤية زعيم قبيلة أيلة وقدم للرسول ﷺ جزية قدرها ثلاثمائة دينار كل عام وقد ورد ذلك فى سيرة ابن هشام مقابل الدفاع عن أيلة بمعرفة القوات الإسلامية وعلى أن يمارس أهل أيلة طقوسهم الدينية المسيحية بحرية مطلقة أيهما أفضل لأهل أيلة يدفعون خمسة وعشرين نوعًا من الضرائب أم يدفعون ثلاثمائة دينار كل عام كل أهالى أيلة يقتسمون هذا المبلغ الزهيد بينهم ويتركون حماية الدولة البيزنطية التى ترهقهم بحروبها مع الفرس ويدخلون فى حماية الدولة الإسلامية.

سادسًا: وكذلك بعد موقعة تبوك فى العام التاسع من الهجرة ٦٣٠م أثناء وجود الرسول ﷺ وقواته فى تبوك لمدة عشرين يومًا طلب أهل جرباء وأذرح دفع الجزية على أن يتركوا حماية الدولة البيزنطية التى ترهقهم بمطالبه ويدخلون فى حماية الدولة الإسلامية تدافع عنهم وتجعلهم يمارسون عقائدهم الدينية بحرية مطلقة على أن يدفع أهل جرباء وأذرح ضريبة جزية مقدارها مائة دينار فى كل رجب تقسم بينهم ومائة أوقية طيبة بدلا من طوفان الضرائب التى يدفعونها للدولة البيزنطية ولا يجدون الأمان من كثرة حروبهم مع الدولة الفارسية فتأتى الدولة الفارسية وتحرقهم كما حدث مع الإسكندرية فى مصر ومع أنطاكية لقد كانت غزوة تبوك فاتحة خير على الدولة الإسلامية لتعرف الولايات الفرق بين حكم الدولة الإسلامية وحكم الدولة البيزنطية وكانت غزوة تبوك آخر الغزوات وأعلنت الكثير عن الولايات التابعة للدولة البيزنطية الدخول تحت رعاية الدولة الإسلامية بدلاً من رعاية الدولة البيزنطية لفرق المعاملة فى جباية الضرائب وفرق المعاملة فى تركهم لمباشرة طقوسهم الدينية وهذا ما سوف نعطى له فصلاً مستقلاً وهو فصل عن حرية مباشرة العقائد الدينية فى الدولة الإسلامية والبيزنطية والفارسية.

سابعًا: وكان فى عهد أبى بكر الصديق فقد تم فتح العراق فى العام الثانى عشر للهجرة فى عام ٦٣٣م بمعرفة خالد بن الوليد بعد انتصار فى موقعة ذات السلاسل وقتل هرمز قائد القوات الفارسية وسميت هذه الغزوة بذات السلاسل

لكثرة من سلسل بها من فرسان فارس حتى لا يفروا من القتال ثم تم فتح الحيرة من البلاد التابعة للدولة الفارسية بقيادة خالد بن الوليد وعندما دخل خالد بن الوليد الحيرة فى صفر من العام الثانى عشر من الهجرة فى عام ٦٣٣م قام قبيصة بن إياس بن حيه الطائى نائب كسرى فى الحيرة ومعه أشراف الحيرة من النصارى وهم عمروبن عبد المسيح وعبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الأزدى وهانى بن قبيصة وعرضوا دفع الجزية ومقدارها ثمانون ألف درهم وهى خير وأفضل لهم من طوفان الضرائب التى تدفع للدولة الفارسية وذلك مقابل حماية الدولة الإسلامية لهم فى أمان وإقامة شعائرهم الدينية بحرية وهى ضريبة الجزية للمساهمة فى نفقات الجيوش الإسلامية لأن غير المسلمين لا يشتركون فى الجيوش الإسلامية للدفاع عن عقيدة لا يؤمنون بها وهذا من رحمة الإسلام مع غير المسلمين وهذه الجزية مقابل انتفاعهم بالمرافق العامة التى تنشئها الدولة الإسلامية.

ثامنًا: وكذلك قام أهل باتفيا بقيادة بصبهرى بن صلوبا على دفع الجزية لخالد بن الوليد فى عهد أبى بكر الصديق ومقدارها ألف درهم فقط وهذا يؤكد رحمة الإسلام من هذه الولايات التابعة للدولة الفارسية فالجزية حسب حالة الشعب من الفقر والثراء وهى مساهمة فى نفقات الجيوش الإسلامية التى تدافع عن هذه البلاد وأيهما أفضل لأهل باتفيا أن يدفعوا ألف درهم فى السنة مقابل الدفاع عنهم كضريبة ومساهمة فى المرافق العامة أم يدفعوا هذا الطوفان من الضرائب للدولة الفارسية.

تاسعًا: وفى العام التالى عام ١٣هـ عام ٦٣٤م فى جمادى الثانى انتصر خالد بن الوليد على هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية فى معركة اليرموك وضم الشام إلى الدولة الإسلامية وذلك لإنقاذ شعب الشام من حالة البؤس والفقر من كثرة فرض الضرائب التى تفرضها الدولة البيزنطية وكانت قوات المسلمين حوالى ستة وثلاثين ألف مقاتل مائة ألف مقاتل بيزنطى حشدهم هرقل وانتصرت القوات الإسلامية بمساعدة أهل الشام ذاتهم فى موقعة اليرموك فى عام ٦٣٤م لأنهم يريدون الخلاص من ظلم الحكم البيزنطى.

عاشراً: وفى عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذى تولى بعد أبى بكر الصديق لمدة عشر سنوات فى الفترة ما بين ٦٣٤م إلى ٦٤٤م انتصر الجيش الإسلامى بقيادة سعد بن أبى وقاص فى موقعة القادسية على الجيش الفارسى فى رمضان من العام الرابع عشر الهجرى فى عام ٦٣٥م وكان الجيش الفارسى بقيادة رستم وقد ساعد أهالى القادسية الجيوش العربية للخلاص من ظلم الدولة الفارسية وكثرة ضرائبها.

الحادى عشر: وبذلك أنهت موقعة اليرموك أيام أبى بكر الصديق مسألة ضم الشام للدولة الإسلامية وكذلك موقعة القادسية أيام عمر بن الخطاب أنهت مسألة ضم العراق للدولة الإسلامية بعد ظلم الضرائب البين فى عهد الدولة البيزنطية فى الشام وظلم الضرائب البين فى عهد الدولة الفارسية فى العراق ثم بعد ذلك تم ضم المدائن عاصمة الدولة الفارسية فى شهر صفر فى العام السادس عشر الهجرى فى عام ٦٣٧م ذلك بقيادة سعد بن أبى وقاص.

الثانى عشر: وفى العام السابع عشر من الهجرة فى عام ٦٣٨م فى عهد عمر بن الخطاب تم فتح بلاد الجزيرة وهى الواقعة بين نهرى دجلة والفرات ومجاورة لبلاد الشام وتابعة للدولة البيزنطية والبعض الآخر تابع للدولة الفارسية وذلك بقيادة سعد بن أبى وقاص وقد ساعدهم سكان البلاد الأصليين سواء من البلاد التابعة للدولة البيزنطية أو البلاد التابعة للدولة الفارسية لفتح بلادهم من كثرة الظلم الضريبى الواقع عليهم وكانت نهاية الدولة الفارسية على يد القوات الإسلامية فى معركة نهاوند التى تسمى «فتح الفتوح» لأن بعدها لم يقم للحكام الفرس قائمة وقد حدثت فى العام الحادى والعشرين من الهجرة فى عام ٦٤٢م وكانت القوات الفارسية بقيادة يزدجرد ملك الفرس وقيادة رئيس الجيوش الفارسية الفيزان وكانت القوات الإسلامية بقيادة النعمان بن مقرن المزنى الذى توفى فى معركة نهاوند وحمل الراية بعده حذيفة بن اليمان وانتصرت القوات الإسلامية فى معركة نهاوند لتكون نهاية الدولة الفارسية.

الثالث عشر: وكذلك كانت نهاية الدولة البيزنطية على يد الجيوش الإسلامية ففى عهد عمر بن الخطاب تم فتح دمشق فى العام الهجرى فى عام ٦٣٥م بقيادة

أبى عبيدة بن الجراح وانتصرت قواته على القوات البيزنطية فطلب أهل دمشق الصلح ودفع الجزية وذلك فى مصلحتهم وهى دينار واحد فقط على كل شخص وأعطت القوات الإسلامية الأمان للقوات البيزنطية بالخروج فى أمان من دمشق ومعهم أمتعتهم وأموالهم ووعدهم بعدم هدم كنائسهم إنها سماحة القوات الإسلامية مع القوات البيزنطية رغم علم القوات الإسلامية أن القوات البيزنطية سوف تتجمع مرة أخرى لقتال القوات الإسلامية وكان فى مقدور القوات الإسلامية قتل القوات البيزنطية ولكنها أخلاق المسلمين والعفو عند المقدرة.

الرابع عشر: وفى عهد عمر بن الخطاب فى العام الخامس عشر الهجرى فى عام ٦٣٦م تم فتح بيت المقدس بعد انتصار القوات الإسلامية على القوات البيزنطية فى موقعة أجنادين وكانت القوات البيزنطية بقيادة الأرطبون وكانت القوات الإسلامية بقيادة عمرو بن العاص وحاصر عمرو بن العاص بيت المقدس لمدة أربعة شهور وانضمت قوات إضافية بقيادة أبى عبيدة بن الجراح ولكن «صفر ونيوس» بطريرك بيت المقدس رفض تسليم بيت المقدس إلا للخليفة عمر بن الخطاب وحضر الخليفة عمر بن الخطاب لبيت المقدس ومعه بعض الصحابة بعد أن ترك عليًا بن أبى طالب فى المدينة ليدير شئونها وتم فتح بيت المقدس فى ربيع الثانى من العام الخامس عشر الهجرى فى عام ٦٣٦م بعد أن عقد الأمان والاتفاق على دفع الجزية وقد أعطاهم عمر بن الخطاب الأمان لأهل بيت المقدس فى الأمان العمرى فقد أعطاهم الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسائر ملتهم.ولا يكرهون على دينهم وذلك فى مقابل أن يدفعوا الجزية وقد شهد على هذا العهد العمرى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان الذى كتب العهد وكانت كتابة العهد فى صحن كنيسة القيامة وبعد كتابة العهد جاء وقت الصلاة للمسلمين فصلى عمر ابن الخطاب خارج الكنيسة حتى لا يتخذها المسلمون من بعده مسجدًا لهم ولقد كان أهل بيت المقدس يدفعون الجزية لأنها أفضل ألف مرة من وضع الظلم الضرائبى فى عهد الدولة البيزنطية وقد كان فى مقدور أبى عبيدة بن الجراح

دخول بيت المقدس عنوة ولكن سماحة الإسلام مع الآخر جعلته ينتظر قدوم الخليفة من المدينة إلى بيت المقدس على بغلة لينفذ رغبة بطريرك بيت المقدس صفر ونيوس.

الخامس عشر: وبعد فتح بيت المقدس أصبحت كل الشام تقريبًا تحت سيطرة الدولة الإسلامية وفر هرقل ذاته إلى القسطنطينية وكان دخول البلاد المجاورة تحت رعاية الدولة الإسلامية ودفع الجزية للهروب من طوفانِ الضرائب البيزنطية وحتى يتمكنوا من مباشرة عقائدهم الدينية بسماحة مطلقة وفى عام ١٩هـ عام ٦٤٠م بدأ دخول مصر فى رعاية الدولة الإسلامية بعد أن أصبح المصريون الأقباط الأرثوذكس لا يطيقون الرومان البيزنطيين لأن الرومان البيزنطيين وهم من الكاثوليك يضغطون على الأقباط الأرثوذكس بترك ملتهم الأرثوذكسية والانخراط فى الملة الكاثوليكية فقد كان الشعب المصرى الأرثوذكسى يعانى من كثرة الضرائب البيزنطية ويعانى من الاضطهاد الدينى فى ظل سيطرة الدولة البيزنطية لدرجة أن إمبراطور الدولة البيزنطية هرقل جاء فى عام ٦٣٠م وأصدر قرارًا بأن تكون الديانة فى كل الدولة البيزنطية بما فيها مصر ديانة الملة الكاثوليكية وهى التى تؤمن بالطبيعتين للسيد المسيح عكس الملة الأرثوذكسية فى مصر التى تؤمن بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح لذلك كان يتم قتل المسيحيين الأرثوذكس فى مصر فى زيت مغلى أو يموتون غرقًا وهم أحياء أو يتم ربطهم من فروع الشجر بمعرفة الجنود الرومان بعد أن أحضروه من القسطنطينية آلات خاصة لتقريب فروع الأشجار ويتم ربط الأرثوذكسيين من أرجلهم وأيديهم فى فروع الشجر ثم تترك الآلات مرة أخرى فروع الشجر لتعود إلى طبيعتها فيتمزق أجساد أهل البلاد الأرثوذكس إلى قطع كثيرة لدرجة أن بطريرك الأقباط الأرثوذكس الأنبا بنيامين أحضروا أخاه منياس وقتلوه بمعرفة الجنود الرومان بأن صبوا عليه زيتًا وأشعلوا فيه النار لذلك هرب البطريرك بنيامين لمدة ثلاثة عشر عامًا فى الصحراء مع بعض أتباعه خوفًا من بطش الرومان البيزنطيين وفى هذا

الجو المأساوى أتى عمرو بن العاص ومعه أربعة آلاف جندى فقط ودخل من العريش ثم على بلبيس ثم إلى عين شمس ثم حصن نابليون وقد ساعده أهالى مصر من الأرثوذكس حتى ينقذهم من بطش الجنود الرومان البيزنطيين وينقذهم من حكم هرقل وضرائبه ومحاولته تغيير عقيدتهم وقد دام حصار حصن بابليون سبعة أشهر حتى تمكن عمرو بن العاص من دخوله وبعد ذلك تم الصلح ودفع الجزية دينار على كل شخص بالغ وهو مبلغ تافه مقابل الضرائب البيزنطية التى كان يدفعها المصريون، بعد ذلك توجه عمرو بن العاص إلى الإسكندرية وأعطى عمرو بن العاص الأمان لبطريرك الأقباط الأنبا بنيامين أن يعود من الصحراء ويقوم بممارسة شعائره الدينية بحرية مطلقة.

السادس عشر: ثم بعد ذلك فى عام ٢٢هـ فى عام ٦٤٣م تم فتح برقة وطرابس على شاطئ البحر الأبيض المتوسط تابعة الدولة البيزنطية وكان يرأس القوا ت الإسلامية عمرو بن العاص وكانت برقة وطرابلس تسمى ولاية إفريقية وقد اشتد إحساس أهالى برقة وطرابلس بالظلم من كثرة الضرائب الباهظة وقد اصطلح أهل برقة وطرابلس على دفع الجزية دينار على كل شخص بالغ وهو مبلغ تافه مقابل طوفان الضرائب البيزنطية.

السابع عشر: بعد أن استعرضنا نظام الضرائب فى الدولة البيزنطية وفى الدولة الفارسية وفى الدولة الإسلامية يتضح جليًا بدون مغالاة وبالحساب العقلى وبحساب المصلحة أن من مصلحة الولايات ترك الدولة البيزنطية والدولة الفارسية هربًا من الظلم الفادح فى جمع الضرائب فى الدولة البيزنطية والدولة الفارسية.

الفصل الخامس
حرية العقيدة لغير المسلمين فى الدولة الإسلامية

سوف نتناول حرية العقيدة فى الدولة الإسلامية من مبحثين على النحو التالى..

المبحث الأول: حرية العقيدة لغير المسلمين فى الدولة الإسلامية

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى حرية العقيدة لغير المسلمين فى الدولة الإسلامية

وذلك على النحو التالى تفصيلاً..

المبحث الأول
حرية العقيدة لغير المسلمين فى الدولة الإسلامية

أولاً: كان من أسباب قبول الولايات التابعة للدولة البيزنطية أو الدولة الفارسية الانضمام إلى الدولة الإسلامية مسألتان مهمتان لكل سكان الدولة البيزنطية وسكان الدولة الفارسية المسألة الأولى، وهى الضرائب التى تفرض عليهم ومدى عدالتها فى ظل الدولة البيزنطية أو الدولة الفارسية وذلك بالمقارنة بالضرائب فى الدولة الإسلامية لأن مسألة الضرائب يترتب عليها مدى الحالة الاقتصادية التى سوف يعيشون فيها فى رعاية كل دولة والمسألة المهمة الثانية هى مدى مباشرتهم لحرية العقيدة فى ظل الدولة الإسلامية وفى الدولة البيزنطية وفى ظل الدولة الفارسية حتى يكون استقبالهم للدولة الجديدة الإسلامية بدلاً من الدولة القديمة عن قناعة عقلية.

ثانياً: إن المواطنين غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى يسمون بأهل الذمة وهو تعبير فقهى حيث إن الدولة الإسلامية الأولى كانت ترتبط بالمسلمين من

خلال العقيدة الإسلامية على أرض الدولة الإسلامية أما غير المسلمين على أرض الدولة الإسلامية يرتبطون بعهد المسلمين وذمتهم وأن يصبحوا بهذا العهد أهل ذمة لهم ما للمسلمين من حقوق وواجبات وأن يتركوا أحرارًا فى عقائدهم وعباداتهم وأحوالهم الشخصية.

ولكن اليوم تغير عقد الذمة إلى المواطنة فالمواطنة حق لكل مسلم وغير مسلم الجميع يرتبطون بالوطن يعيشون فيه ويستقرون فيه ويدافعون عنه جميعًا ويدينون بالولاء له على الرغم من تعدد العقائد والمذاهب وهذا ما يسود العالم الآن من مفهوم المواطنة أو الجنسية.

ثالثًا: طالب الإسلام المسلمين أن يحكموا العقل فى كل تصرفاتهم فى كثير من الآيات بقوله ﴿لعلهم يتفكرون﴾ أو قوله ﴿أَفَلا تَعْقِلُون﴾ وعلى ذلك كانت أهم دعوة فى الإسلام هى الدعوة إلى حرية العقيدة لكل إنسان فلا يجبر إنسان على ترك دينه للتحول إلى الإسلام أو التحول إلى أية ديانة أخرى فحرية العقيدة هى أصل عام فى الإسلام طبقًا لقول القرآن الكريم فى سورة البقرة الآية ٢٥٦ ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ﴾.

رابعًا: وفى حرية العقيدة أن كل إنسان حر فى اختيار العقيدة التى يراها لأن هذه مشيئة الله فقال القرآن للرسول ﷺ مخاطبًا إياه فى سورة يونس الآية ٩٩ ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وأن الرسول ﷺ ذاته ليس بمسيطر بالإكراه على الناس وليس له سلطان بالإكراه فى هداية الناس وما على الرسول ﷺ إلا البلاغ فقط من يهتد فإنما يهتدى لنفسه ويدخل فى الإسلام من يريد بحر إرادته بدون أى إكراه وفى ذلك يقول القرآن الكريم فى سورة الغاشية الآية ٢٢ ـ ٢٣ ـ ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ، إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ لذلك أقول لجماعات العنف الإسلامى التى تريد فرض الإسلام بالقوة إذا كان الرسول ﷺ ذاته ليس له سلطان بالإكراه فى فرض الإسلام بالقوة فإن ما تفعلونه ليس من الإسلام لأن الإسلام ينتشر بالهداية والتعريف به ولا يجبر أحدًا على الدخول فى الإسلام.

المبحث الثانى

رأى المؤلف فى حرية العقيدة لغير المسلمين فى الدولة الإسلامية

أولاً: ترك الإسلام غير المسلمين على عقائدهم يمارسون شعائرهم الدينية ويبنون كنائسهم ويمارسون عبادتهم طبقًا لطقوسهم ولهم أن يتبعوا أحكام دينهم فى الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث فغير المسلمين فى الدولة الإسلامية يخضعون للنظم الإسلامية التى تطبق على الجميع بالمساواة عدا مسألة الأحوال الشخصية تطبق عليها شرائع ملتهم ففى جميع المسائل المالية والمدنية وغيرها عدا الأحوال الشخصية للمسلمين وغير المسلمين نفس الحقوق ونفس الواجبات طبقًا للقاعدة الأصولية «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» وحرية العقيدة لغير المسلمين فى إقامة شعائرهم الدينية مسألة جوهرية فى الإسلام فها هو وفد نجران من النصارى الذين زاروا الرسول ﷺ فى مسجده فى المدينة فى العام الأول من الهجرة فى عام ٦٢١م حينما أتى وقت صلاتهم تركهم الرسول ﷺ يصلون طبقًا لشعائرهم الدينية داخل مسجد الرسول ﷺ ذاته فى المدينة وكذلك ها هو عقد الأمان الذى أبرمه عمر بن الخطاب يبيح لغير المسلمين بمباشرة عقائدهم الدينية داخل كنائسهم الذى أبرمه عند فتح بيت المقدس فى ربيع الآخر فى السنة الخامسة عشر من الهجرة فى عام ٦٣٦م وشهد على عقد الأمان هذا خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان وقام بكتابة العهد معاوية بن أبى سفيان داخل كنيسة القيامة وكان نصه الآتى:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتهم أنه تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا أنصار أحد منهم...).

ثانياً: من تسامح الإسلام مع غير المسمين أنه ترك مسائل الأحوال الشخصية تخضع لشعائر ملل غير المسلمين ولم يخضعها للشريعة الإسلامية ففى المسيحية ينظم الإنجيل مسائل الأحوال الشخصية فى قضية الطلاق والزواج من خلال ما ورد فى الإنجيل فى إنجيل متى فى إصحاح (٥ ـ ٢٢) وما ورد فى إنجيل لوقا إصحاحا (١٦ ـ ١٨) حيث ذكر الإنجيل (من يطلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى ومن تزوج بمطلقة فإنه يزنى) وعلى ذلك فإنه فى مسألة الأحوال الشخصية يطبق الإنجيل وكذلك بالنسبة لليهود تطبق التوراة على مسائل الأحوال الشخصية لليهود وعدا مسائل الأحوال الشخصية لا يوجد أى غضاضة فى أن يكون هناك قانون واحد فى المسائل المالية والمدنية يطبق على الجميع علي أرض الدولة الواحدة.

ثالثاً: فى الدولة الإسلامية المجوس يعاملون معاملة أهل الكتاب من اليهود والنصارى أى لهم نفس الحقوق ونفس الواجبات التى للمسلمين وهذا من سماحة الإسلام مع الجميع فقد سئل الرسول ﷺ عن معاملة المجوس فقال: (سنوا بهم سنة أهل الكتاب...) وذلك لأن المجوس لهم شبهة كتاب.

رابعاً: واقع الإسلام الصحيح يترك الناس أحراراً فى عقائدهم دون إجبار على عقيدة معينة ودون إجبار على الدخول فى الإسلام فالرسول ﷺ أقر اليهود على دينهم فى عقد الصحيفة الذى أبرم فى السنة الأولى من الهجرة فى عام ٦٢١م فى المدينة وأقر يهود خيبر ويهود بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة على دينهم اليهودى ولم يرغمهم على ترك دينهم وكذلك فعل الرسول ﷺ مع النصارى فى بلاد العرب وخاصة فى نجران.

خامساً: والعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين طبقاً للقرآن الكريم والسنة صورة نموذجية للإخاء الإنسانى بمعاملته الراقية فقد ورد فى القرآن الكريم فى سورة المائدة (٥) ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ فقد أباح القرآن مؤاكلة أهل الكتاب والأكل من ذبائحهم كما أباح مصاهرتهم والزواج من نسائهم

المحصنات وقد أباح القرآن للمسلم أن تكون ربة بيته وشريكة حياته وأم أولاده غير مسلمة من أهل الكتاب وأن يكون أخوال وخالات أولاده كتابيين من غير المسلمين.

سادساً: إن حرية العقيدة واختلاف الأديان هو سنة الله في خلقه، وهي إرادة الله لا يجوز لأحد الاعتراض عليها وفي ذلك يقول القرآن الكريم في سورة يونس الآية (٩٩) ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ لو أن إرادة الله تعالى أرادت أن تكون الكرة الأرضية كلها مسلمة لفعل ذلك ولكنه لم يرد ذلك بل يختار الشخص الدين الذي يريده بحرية واقتناع بدون إكراه من أحد وخاصة أن الناس ينتمون إلى آب واحد وأم واحدة فهم أخوة في النسب تربطهم قرابة الدم وإن اختلافهم في اللون والعرق والديانة وارد فهم من أصل واحد من أم واحدة وأب واحد وفي ذلك يقول القرآن الكريم في سورة النساء الآية (١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ وقد طلب القرآن من جميع شعوب العالم أن يتعارفوا لا أن يتعاركوا ويقتل بعضهم بعضاً وفي ذلك يقول القرآن الكريم في سورة الحجرات الآية (١٣) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ وذلك للابتلاء والفتنة والله هو الذي يتولى الحساب يوم القيامة.

سابعاً: إن العقيدة حق لكل مواطن على ظهر الأرض ونشر الإسلام بالدعوة والموعظة الحسنة فقط والإبتعاد عن العنف في فرض الإسلام وقد ورد ذلك في سورة النحل الآية (١٢٥) ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ وقد أمر القرآن بمجادلة أهل الكتاب بالحسنى والبعد عن الغلط والجدال السفسطائي وفي ذلك يقول القرآن في سورة العنكبوت الآية (٤٦) ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

ثامنًا: رغم أن الأصل العام فى الإسلام فى القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح هو حرية العقيدة إلا أنه قد تحدث بعض الحالات النادرة من المسلمين لإجبار غير المسلمين على اعتناق الإسلام وهى حالات نادرة وشاذة فهذه الأفعال لا يتحمل وزرها الإسلام ولكن يتحمل وزرها من ارتكبها لأنها مخالفة لصحيح الإسلام فى القرآن والسنة مثلما فعل الحاكم بأمرالله الحاكم الفاطمى فى عام ٩٦٩م مع بداية الدولة الفاطمية من إجبار بعض الأقباط فى مصر على اعتناق الإسلام وتم صحيح الوضع فى عهد الخليفة التالى الحافظ لدين الله وسمح لمن اعتنق الإسلام كرهًا أن يعود لديانته المسيحية ولا تطبق عليه أحكام الردة، إن هذه الأفعال الشاذة لا يتحملها الإسلام بل يتحمل وزرها من ارتكبها لأن الإسلام لا يقرها.

تاسعًا: إن الديانات السماوية الثلاثة خرجت من منبع واحد فهى ديانات سماوية المنبع تتفق فى الأصول والجوهر ولكنها تختلف فى الجزئيات فالديانات الثلاثة، الإسلام والمسيحية واليهودية كلها تقوم على التوحيد وعبادة الله الواحد لا شريك له لأن هدف الديانات الوصول بالعلاقات والسلوك بين الناس بعضهم ببعض إلى مرتبة الكمال وهذه الأديان تركز على الأخلاق والمبادئ السامية وتنهى عن ارتكاب الرذائل وكل الأديان تؤكد على السلوك الحسن والأعمال الحسنة ففى التوراة ورد بها (أنا هو ا لرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامى لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً أكرم أباك وأمك لا تقتل ولا تزن ولا تسرق ولا تشهد على قريبك شهادة زور ولا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا كل ما لقريبك) (تثنية الإصحاح ٥ ونفس هذه الوصايا تقريبًا وردت فى إنجيل متى إصحاح ٥ وقد ورد فى الإنجيل ما يحض على الأعمال الصالحة حيث ورد بالإنجيل (ليروا أعمالكم فيمجدوا أباكم الذى فى السموات) وكذلك القرآن يحض على الأعمال الصالحة ﴿قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: من الآية ١٠٥).

عاشراً: المجتمع الإسلامى كله مسئول بالتضامن عن تنفيذ الشريعة وتطبيق أحكامها فى كل الأمور ومنها ما يتعلق بغير المسلمين فإذا قصر بعض الناس أو

انحرف وحدث تعد على حقوق غير المسلمين فإن المجتمع الإسلامى مسئول عن رد الحق إلى صاحبه وتصحيح المسار والوقوف بجانب المظلوم ولو كان المظلوم من غير المسلمين مخالفًا له فى الدين هذا هو صحيح الإسلام الذى يقره الإسلام أين ذلك من هذه الأفعال التى ترتكبها جماعات العنف الإسلامى ضد الأقباط من قتل الأقباط فى أبى قرقاص أو هدم كنيسة الخانكة أو الحرب الأهلية ضد أقباط الزاوية الحمراء إن ذلك بعيد كل البعد عن حرية العقيدة التى أقرها الإسلام لغير المسلمين ولم يذكر التاريخ ظلمًا وقع على غير المسلمين واستمر طويلاً وسرعان ما يعود الحق إلى نصابه وإقرار صحيح الإسلام فعلى سبيل المثال فى عهد بنى أمية فى حكم الدولة الأموية الذى استمر من عام ٦٦٨م إلى ٧٤٥م أخذ الوليد بن عبد الملك كنيسة من النصارى وهى كنيسة يوحنا وضمها إلى المسجد فلما تولى عمر بن عبد العزيز شكا النصارى ما فعله الوليد بهم فى كنيستهم فكتب عمر بن عبد العزيز إلى الوالى برد ما أزيد فى المسجد للنصارى لولا أنهم تراضوا مع الوالى على أساس أن يعوضوا بما يرضيهم فى مكان آخر إن آى أفعال لا يقرها الإسلام خاصة بحرية العقيدة يتحمل وزرها من ارتكبها وليس الإسلام والمسلمين لأن الإسلام واضح وضوح الشمس فى قضية حرية العقيدة.

الفصل السادس
حرية العقيدة فى الدولة البيزنطية والدولة الفارسية

سوف نتناول ذلك فى مبحثين على النحوالتالى..

المبحث الأول: حرية العقيدة فى الدولة البيزنطية.

المبحث الثانى: حرية العقيدة فى الدولة الفارسية.

وذلك على النحو التالى تفصيلاً..

المبحث الأول
حرية العقيدة فى الدولة البيزنطية

أولاً: الدولة البيزنطية لم تكن تعترف بحرية مباشرة العقائد والطقوس الدينية وسوف نذكر على سبيل المثال ما حدث فى مصر يمكن أن يكون ما حدث بها نموذج لحرية العقيدة فى الدولة البيزنطية فى كل الولايات التابعة للدولة البيزنطية.

ثانياً: التنكيل والتعذيب والقتل لأصحاب الديانات المختلفة ففى مصر على سبيل المثال لقت المسيحية القبطية فى مصر على يد الإمبراطور دقلديانوس ما لم الكثير من المجازر البشرية حيث يبدأ عصر الشهداء لدى المسيحيين الأقباط منذ أن تولى دقالديانوس حكم الإمبراطورية فى عام ٢٨٤ م فقد قام بالقبض على الأقباط المصريين وكشط جلدهم والبعض منهم أغرق فى زيت مغلى

وبعضهم أغرق فى البحر وبعضهم صلب ورءوسهم منكسة إلى أسفل ويتركون أحياء على الصليب حتى الموت حتى تأكل الغربان والصقور أجسادهم وكان البعض يوثق فى فروع الأشجار ويتم تقريبها بآلات خاصة ثم تترك فروع الأشجار لتعود لوضعها الطبيعى فتتمزق أجساد الأقباط وقدر عدد من ماتوا التعذيب فى عهد الإمبراطو دقالديانوس بمليون قبطى.

ثالثًا: وفى عام ٤٥١م عقد أخطر مجمع فى تاريخ المسيحية وهو مجمع خليقدونية وهى مدينة تقع بالقرب من القسطنطينية ليحسم بطريقة نهائية المسائل الخلاقية المتعلقة بالكنيسة المسيحية وحضر المجمع عدد ٦٣٢ أسقفًا من جميع أنحاء العالم وكانت كنيسة روما تنادى بالطبيعتين للسيد المسيح أما كنيسة الإسكندرية كانت تنادى بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح وقد أقر المجمع ما تنادى به كنيسة روما ورفضته كنيسة الإسكندرية ولذلك حصل لأول مرة فى تاريخ المسيحية انقسام الديانة المسيحية إلى ملتين، الملة الكاثوليكية برئاسة كنيسة روما والملة الأرثوذكسية برئاسة كنيسة الإسكندرية ومن هنا بدآ التعذيب والمجازر البشرية للأقباط الأرثوذكس فى مصر حتى يتخلوا عن دينهم ويتحولوا إلى الكاثوليكية ففى عام ٦٣٠ م حاول هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية توحيد الديانة المسيحية فى إمبراطوريته بحيث تكون ديانة مسيحية واحدة تتبع الكنيسة الكاثوليكية بأن السيد المسيح له طبيعتان فكان يتم جمع المسيحيين الأرثوذكس ويتم إحراقهم أحياء وانتزاع أسنانهم وقطع أجسادهم إلى أجزاء لدرجة أن شقيق الأنبا بنيامين بطريرك الأقباط الأرثوذكس تم حرقه حيًا وهو اسمه متياس أشعلوا فيه النار حيًا وقد وصل عدد الذين قتلوا أكثر من مائة ألف مسيحى هذا فى مصر على سبيل المثال لا الحصر لأن كتب المسيحيين الأوائل وخاصة ما كتبه ساويرس بن المقفع مليئة بالأحداث وما حدث فى مصر حدث فى كل الولايات التابعة للدولة البيزنطية.

رابعًا: إن ما حدث فى فرنسا لايتصوره عاقل أو مجنون فى بشاعته فما حدث فى الألين فى جنوب فرنسا فى أوائل القرن الثالث عشر فقد رماهم البابا ايتو

بابا روما بابا الكاثوليك بالكفر والضلال والهرطقة فأعلن البابا الحرب على أهالى الألين فى جنوب فرنسا و فى عام ١٢٠٨ قتل منهم عشرين ألفًا فى سنة واحدة دون أن يستثنى منهم أحدًا فكان يتم قتل النساء والأطفال والشيوخ والقساوسة لمجرد أنهم لايتبعون الملة الكاثوليكية واستمرت حرب بابا روما على الألين قرابة خمسة وثلاثين عامًا قتل فيها ما لايقل عن مليون نسمة فى جنوب فرنسا وحوادث القتل الجماعية التى حدثت بين البروتستنت والكاثوليك بداية من عام ١٥٢٠ عند بدء انتشار البروتستانتية على يد مارتن لوثر فقد تم تعذيب البروتستنت على المخلعة وشدت أطرافهم حتى تمزقت وأحرق البعض حتى أصبحت أجسادهم رمادًا.

وبعضهم شوى لحمهم على نار هادئة وشنق أخرون فوق الأشجار وبعضهم تم قطع رءوسهم بالسيف وبعضهم مزقت أجسادهم إربًا بكماشات ملتهبة لدرجة الامرار وكان يتم إعدامهم بالجملة وفى ذلك يقول المؤرخ ساستيان إنه فى دفعة واحدة تم إعدام الفى بروتستنتى فى عام ١٥٣٠ فى انزيشايم إحدى مدن الإلزاس بألمانيا فلم تعرف أوروبا حرية العقيدة إلا مؤخرًا فى القرنين الآخيرين..

خامسًا: ورغم الإسلام قرر حرية العقيدة فى عام ٦١٠م منذ بداية نزول الوحى بالقرآن على الرسول ﷺ إلا أن أوروبا لم تعرف حرية العقيدة إلا فى القرنين الأخيرين فقط بداية من الإعلان الفرنسى لحقوق الإنسان الصادر عام ١٧٨٩ م فى المادة العاشرة من الإعلان وقبل ذلك لم تعرف آوروبا حق حرية العقيدة وبعد ذلك تبعتها إنجلترا بإقرار مبدأ التسامح الدينى وحرية الاعتقاد للجميع فى عام ١٨٤٠م وفى ألمانيا أقر مبدأ حرية الاعتقاد الدينى فى ١٨٥٨ م حينما أعلن الإمبراطور فردريك الأكبر وقال عبارته الشهيرة (إن حق كل شخص أن يصل إلى الجنة بالطريقة التى يراها).

وعلى ذلك فإن الإسلام سبق إعلان الحقوق الفرنسى فى تأكيد حرية العقيدة بحوالى ١٠٤٩ سنة أى عرف الإسلام حرية العقيدة قبل أن تعرفها أوروبا والعالم كله بأكثر من ألف سنة.

المبحث الثانى
حرية العقيدة فى الدولة الفارسية

أولاً: الدولة الفارسية كان الحكم فيها استبداديًا ديكتاتوريًا وكان حاكم الدولة الفارسية بداية من أردشتر وخلفائه حكام الدولة الفارسية يطلقون على أنفسهم ملك الملوك أو شاهنشاه وكانوا يعتبرون أنفسهم آلهة ويتصرفون كآلهة وكان جميع رعايا الدولة الفارسية يسجدون للحاكم الفارسى باعتبار أنه إله لأنهم يؤمنون بنظرية الحق الإلهى للملوك وحكام الدولة الفارسية باعتبارهم ملوك يفعلون ما يشاءون فى عبادهم من البشر فى الدولة الفارسية.

ثانيًا: وكانت توجد طبقة رجال الدين فى الدولة الفارسية وكانوا يسمون «موبذان» ورئيسهم الأعلى يسمى «موبذان موبذ» وهم أتباع الديانة الزرادشية أتباع زرادشت ورجال الدين يديرون الشعائر الدينية فى المعابد.

ثالثًا: كان رجال الدين من أغنى الطبقات الموجودة داخل الدولة الفارسية لأنهم يملكون الكثير من الأراضى نتيجة العشور التى يحصلون عليها والهبات التى يحصلون عليها من رعايا الدولة الفارسية.

رابعًا: وقد أعاد أردشير ملك الملوك أمجاد الدين المجوسى وذلك بتقريب رجال الدين من البلاط الملكى بصفتهم طائفة ذات امتيازات خاصة وكون منهم مجلسًا للشورى يستشيرهم أردشير فى كل أمور الدولة وكان رأيهم استشاريًا مجرد نصيحة قد يأخذ بها ملك الملوك أو لايأخذ وقد منح ملك الملوك رجال الدين المجوسى الذى تؤمن به الدولة الفارسية إقطاعيات من الأراضى الزراعية الخصبة كثيرة جدًا.

خامسًا: كما فعل هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية بأن لايكون على أرض الدولة البيزنطية أية ملة أخرى سوى الملة الكاثوليكية لذلك تم اضطهاد كل الأديان غير الكاثوليكية، نفس الشىء فعله أردشير ملك الملوك فى الدولة الفارسية بعدم السماح إلا لأصحاب الديانة الماجوسية بالرعاية فى الدولة الفارسية لذلك كان يتم اضطهاد أصحاب الديانات الأخرى المخالفة للديانة

المجوسية ولذلك تم اضطهاد أصحاب الديانات اليهودية والمسيحية وقد زادت الدولة الفارسية من اضطهاد المسيحيين بعد أن دخلت الدولة الفارسية فى حروب لاتنتهى مع الدولة الرومانية البيزنطية فكانوا دائمًا فى حالة حرب ولذلك اعتبرت الدولة الفارسية المسيحيين على أرضها نوعًا من الجواسيس للدولة البيزنطية فكثر اضطهادهم.

سادسًا: مما تقدم أن المسيحيين فى الدولة الفارسية كانوا يتعرضون للاضطهاد ولا يمارسون مباشرة عقائدهم الدينية بحرية مطلقة لأنهم مخالفون فى الديانة للديانة الرسمية للدولة الفارسية وهى الديانة المجوسية وكان رجال الدين المجوسى يضغطون على المسيحيين فى الدولة الفارسية لترك ديانتهم والانضمام إلى الديانة المجوسية.

سابعًا: بعد أن استعرضنا نظام الضرائب فى الدولة البيزنطية والدولة الفارسية والدولة الإسلامية وحرية مباشرة العقيدة فى الدولة الإسلامية والدولة الفارسية والدولة البيزنطية نستطيع أن نفهم عن قناعة عقلية لماذا كانت الولايات تقبل دفع الجزية وتدخل فى حماية الدولة الإسلامية والجزية ما هى إلا ضريبة للمساهمة فى نفقات الجيوش الإسلامية المكلفة بحماية غير المسلمين من أى اعتداء خارجى والجزية ما هى إلا ضريبة للانتفاع بالمرافق العامة التى تنشئها الدولة الإسلامية مثل الطرق والجسور والمصارف والأمن والقضاء لأن المسلم مكلف بدفع الزكاة للمساهمة فى نفقات الجيوش الإسلامية وإنشاء المرافق العامةوغير المسلم إن لم يدفع الجزية سوف يعيش «بلوشى» فى الدولة الإسلامية ينتفع بمرافقها وبحماية جنودها دون أن يدفع شيئًا وهذا غير مقبول عقلاً لذلك نستطيع أن نفهم الآن لماذا توجه أهل أيلة وجرياء وأذرح للرسول ﷺ طواعية باختيارهم الحر فى ترك الدولة البيزنطية والانضمام للدولة الإسلامية ونستطيع أن نفهم لماذا دخل فى عهد الخلفاء الراشدين الكثير من الولايات التابعة للدولة الفارسية والدولة البيزنطية تحت رعاية الدولة الإسلامية مقابل دفع ضريبة الجزية فالجزية ما هى إلا ضريبة ولكن المستشرقين شوهوا اسمها ولكنها ضريبة أرحم ألف مرة من ضرائب الدولة البيزنطية وضرائب الدولة الفارسية.

الباب التاسع

انتشار الإسلام وحجة الوداع ووفاة الرسول ﷺ

سوف نتناول فى هذا الباب انتشار الإسلام وحجة الوداع ووفاة الرسول ﷺ فى عدة فصول على النحو الآتى تفصيلاً

الفصل الأول: الإسلام بين قبائل شبه الجزيرة العربية.

الفصل الثانى: حجة الوداع.

الفصل الثالث: وفاة الرسول ﷺ.

وذلك على النحو التالى تفصيلاً..

الفصل الأول
إسلام قبائل شبه الجزيرة العربية

سوف نتناول إسلام شبه الجزيرة العربية فى مبحثين على النحو التالى.

المبحث الأول: إسلام قبائل شبه الجزيرة العربية.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى إسلام قبائل شبه الجزيرة العربية وذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول
إسلام قبائل شبه الجزيرة العربية

أولاً: بعد انسحاب هرقل وقواته من أمام القوات الإسلامية فى موقعة تبوك التى وقعت فى رجب ورمضان من العام التاسع الهجرى عام ٦٣٠م زادت السمعةالعسكرية للدولة الإسلامية الأولى وللقوات الإسلامية وبدأ عام الوفود فى دخول القبائل فى الإسلام بحر إرادتها وبكامل اختيارها وبدون إكراه بعد أن سمعت عن أخلاقيات المسلمين ومبادئ القرآن السامية وشاهدوا عن قرب تصرفات الرسول ﷺ القدوة.

ثانياً: فى العام التاسع للهجرة كانت الطائف وقبيلة ثقيف بعد انتهاء الحصار عنها وبعد غزوة تبوك أول من طلبوا دخول الإسلام فى العام التاسع من الهجرة عام ٦٣٠م الذى يطلق عليه فى كتب السيرة «عام الوفود» لكثرة الوفود التى اعتنقت الإسلام وأرسلتها قبائلها للمدينة لطلب دخول الإسلام عن طواعية

واختيار حر فقد أرسلت الطائف وفداً إلى المدينة تطلب دخول قبيلة ثقيف فى الإسلام كما سبق أن ذكرنا.

ثالثاً : بعد فتح مكة فى ١٠ من رمضان فى العام الثامن من الهجرة من ٦٢٩م وإسلام قبيلة قريش بحر إرادتهم كان كفار شبه الجزيرة العربية العربية الذين يعبدون الأصنام مازالوا يحجون بيت اللّه الحرام ولكن فى نهاية العام التاسع من الهجرة فى ٦٣٠م كان وقت الحج وكان أمير الحج فى ذلك العام أبا بكر الصديق الذى خرج من المدينة ومعه الصحابة ومنهم على بن أبى طالب الذى قام بالوعظ والخطابة فى موسم الحج فى وجود كفار شبه الجزيرة العربية وقد أعطى مهلة للمشركين مدتها أربعة شهور حتى يعتنقوا الإسلام وقال لهم «أيها الناس إنه لايدخل الجنة كافر ولايحج بعد اليوم مشرك ولايطوف بالبيت عريان ومن كان له عند الرسول عهد فهو إلى مدته» وعرف ذلك ببيان البراءة.

رابعاً: وفى العام التاسع للهجرة ٦٣٠ م أطلق عليه «عام الوفود» لأن الوفود من القبائل كانت كثيرة جاءت إلى المدنية لتدخل الإسلام وهى وفود قبائل تميم وعبد القيس وحنيفة وأهل نجران وعامر وطىء الأشعريين وأهل اليمن ومراد وزبيد وكندة وازد وحمير وأسد وعبس وفزارة ومرة وثعلبة ومحارب وكلاب ورؤاس وعقيل وقشير والبكاء وكنانة وأشجع وباهلة وسليم وهلال بن عامر وبكر بن وائل وتغلب وتجيب وخولان وجعض والصدف وخشين وسعد والسباع وعذرة وبلى والدارين حتى أصبحت الغالبية العظمى لقبائل شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام.

المبحث الثانى

رأى المؤلف فى إسلام قبائل شبه الجزيرة العربية

أولاً: حينما قام على بن أبى طالب بإلقاء بيان البراءة بإعطاء الكفار مهلة أربعة شهور لإسلامهم وذلك أثناء الحج فى نهاية العام التاسع من الهجرة فى عام ٦٣٠م لأنه كان من عادة القبائل العربية فى شبه الجزيرة العربية يأتون للحج فى

موسم الحج يحجون إلى الأصنام التى يعبدونها وهى موجودة داخل وخارج البيت الحرام ويطوفون حول هذه الأصنام ومن غير المعقول عقلاً فى رأى المؤلف أن تكون مكة بها هذه الأصنام الحجرية وجميع أهل مكة قد أسلموا ودخلوا الإسلام بعد حديث اذهبوا فأنتم الطلقاء وفتح مكة والمسلمون فى حجهم لهم خطوات معينة يتتبعونها ويقف بلال ليؤذن للصلاة ويتجمع المسلمون خلف إمام الحج ليصلون وهذه الإجراءات الروحانية العالية المصداقية بالنسبة للمسلمين فى طوافهم حول البيت الحرام وزيارة منى وزمزم وغيرها ووسط هذا الجو الروحانى ليس من المتصور عقلاً أن يأتى كفار شبه الجزيرة العربية ويسجدون للأصنام والأحجار ويطوفون حول الكعبة بشعائر وثنية ويصطدمون بالمسلمين أثناء طوافهم حول الكعبة بشعائرهم الروحانية فكان لابد من وضع حد لهذه المهزلة من عبادة أحجار لاتنطق ويمكن كسرها فى أى وقت وذلك بما أعلنه على بن أبى طالب فى بيان البراءة وخاصة بعد أن أصبح أهل مكة كلهم مسلمين .

ثانياً : بيان البراءة بإعطاء مهلة لقبائل شبه الجزيرة العربية مدته أربعة أشهر للدخول فى الإسلام لاينطبق على المسيحيين واليهود لأنهم أهل كتاب والإسلام يعطيهم عهد الذمة ذمة الله والرسول ﷺ والمسلمون وأهل الكتاب لهم حرية مباشرة عقائدهم الدينية والدولة الإسلامية التى يتبعونها يدافعون عن المسيحيين واليهود طالما أنهم لهم عهد الذمة ويدفعون الجزية كضريبة فى الانتفاع بالمرافق العامة ومساهمة فى جزء من نفقات الجيوش التى تدافع عنهم من المسلمين.

ثالثاً : المسيحيون واليهود وهم أهل الكتاب غير ملزمين بالاشتراك فى القوات الإسلامية وهذا من سماحة الإسلام مع غير المسلمين حتى لايجبروهم على الاشتراك فى قوات تدافع عن عقيدة هم لايؤمنون بها وهى العقيدة الإسلامية ولكن مقابل عدم اشتراكهم فى القوات الإسلامية لابد أن يدفعوا ضريبة الجزية للمساهمة فى نفقات الجيوش التى تدافع عنهم ضد أى غازٍ للبلاد لأن الغازى فى اعتدائه على البلاد الإسلامية لن يفرق فى القتل بين المسلمين وغير المسلمين.

رابعًا: قبائل شبه الجزيرة العربية عندما دخلوا فى الإسلام فى عام الوفود فى العام التاسع للهجرة فى ٦٣٠ م دخلوا الإسلام بعد أن عرفوا مبادئه الإنسانية من مبادئ المودة والرحمة والوفاء والألفة وحقوق المرأة فى الإسلام ورعاية الرجل لهم والمحافظة على أموال اليتامى والمساواة فلا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ولافرق بين حاكم ومحكوم وغيرها من المبادئ بعد اكتشفوا أنهم على خطأ فى عبادتهم حيث يصنعون الأحجار بأيديهم ومن خلال مواد يحضرونها من الجبل ثم يعبدون ما يصنعونه بأيديهم هذا بخلاف الإسلام الذى يعبد الله الواحد خالق السموات والأرض وما بينهما ولايوجد أية مقارنة عند أى عاقل بين عبادة الله الواحد القادر على كل شىء وعبادة حجارة أحضروها من الجبل لذلك اقتنعت القبائل العربية وأرسلت وفودها نيابة عنها للرسول ﷺ فى المدينة تعلن إسلامها وكانت الوفود تحضر للمدينة نيابة عن قبائلها من كل القبائل فى شبه الجزيرة العربية.

خامسًا: لم يقتصر حضور الوفود لإعلان إسلامها فى المدينة على العام التاسع للهجرة بل حضرت وفود كثيرة فى العام العاشره للهجرة عام ٦٣١م ومنها وفود قبائل سلامان وغسان والحارث بن كعب وفد حج وبجبله وبعض أهالى اليمن.

سادسًا: وكان الرسول ﷺ يرسل قواده إلى بعض القبائل التى لم تسلم وظلت على عبادة الأحجار والأوثان فقد أرسل خالد بن الوليد فى جمادى الأولى فى العام العاشر من الهجرة فى عام ٦٣١م إلى بنى الحارث بن كعب فى نجران وقد أجابوه للإسلام بدون قتال بعد اقتناعهم بالإسلام وأرسل الرسول ﷺ على بن أبى طالب إلى بعض أهالى اليمن.

سابعًا: بعد إسلام القبائل فى شبه الجزيرة العربية كان الرسول ﷺ يرسل الصحابة ليعلموا هذه القبائل مبادئ الإسلام فأرسل عمرا بن حزم ليعلم بنى الحارث بن كعب وأرسل زياد بن لبيد ليعلم قبائل حضرموت وأرسل المهاجر بن أبى أمية ليعلم قبائل صنعاء وأرسل أبا سفيان بن حرب إلى نجران وأبا موسى الأشعرى إلى عدن ومعاذ بن جبل إلى اليمن والذى استوقفنى فى كتب السيرة

النبوية أن أبا سفيان بن حرب أصبح داعية إسلامية أرسله الرسول ﷺ إلى نجران.

ثامناً: بعد دخول مكة فى الإسلام والقبائل العربية فى شبه الجزيرة العربية نزلت سورة النصر الآية ١ إلى ٣ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾

تاسعاً: وفى عام الوفود فى شهر رمضان من السنة التاسعة فى عام ٦٣٠م تكون وفد قبيلة ثقيف من الطائف وفداً من ستة رجال وهم عبد باليل الحكم بن عمرو وشرحبيل بن غيلان وعثمان بن أبى العاص وأوس بن عوف وتميز بن خرشة بن ربيعة واحذه الحارث وتوجه الوفد إلى المدينة وقابلوا أبا بكر الصديق أولاً قبل مقابلة الرسوول ﷺ وأسلموا وأرسل معهم للطائف أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ليهدموا كل الأوثان والأصنام بالطائف.

عاشراً: وبعد إسلام أهل مكة بعد فتح مكة وإسلام أهل الطائف بعد انتصار حنين قدم للرسول ﷺ فى المدينة وفود قبائل العرب فقد قدم عطارد بن حاجب ابن زرارة من أشراف تميم ومعه وفد من أشراف تميم.

الحادى عشر: ثم قدم للمدينة وفد بنى عامر لمقابلة الرسول ﷺ لكى تسلم قبيلة بنى عامر برئاسة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر.

الثانى عشر: ثم قدم للمدينة وفد عبدالقيس لمقابلة الرسول ﷺ لكى يسلموا وكان الوفد برئاسة الجارود بن عمرو بن حنش.

الثالث عشر: ثم قدم للمدينة وفد بنى حنيفة لمقابلة الرسول ﷺ لكى يسلموا وكان ضمن وفد قبيلة بنى حنيفة مسلمة بن حبيب الحنفى الكذاب.

الرابع عشر: ثم قدم للمدينة وفد كندة لمقابلة الرسول ﷺ برئاسة الأشعث بن قيس وفيه ثمانون شخصاً لكى يسلموا.

الخامس عشر: ثم قدم للمدينة وفد بنى زبيد لمقابلة الرسول ﷺ برئاسة عمرو بن معد يكرب لكى يسلموا.

السادس عشر: وقدم للمدينة وفد الأزد من اليمن لمقابلة الرسول ﷺ برئاسة مرد بن عبدالله الأزدى لكى يسلموا.

السابع عشر: وقدم للمدينة وفد من أهل جرش برئاسة رجلين لمقابلة الرسولﷺ لكى يسلموا ولكنهم قابلوا أبا بكر الصديق ثم بعد ذلك قابلوا الرسولﷺ.

الثامن عشر: وقدم للمدينة وفد من ملوك حمير من تبوك ومعهم كتاب للرسول ﷺ يرغبون فى إسلامهم وكان الوفد يضم الحارث بن عبد كلال ومقيم ابن عبد كلال والنعمان قبل ذى رعين.

التاسع عشر: وقد أرسل الرسول ﷺ إلى قبيلة بنى الحارث بن كعب بنجران أرسل إليهم خالد بن الوليد فى شهر ربيع الآخر سنة عشرة هجرية أتى فى عام ٦٣١م لكى يدعوهم للإسلام وقد استجابو لدخول الإسلام وقد قدم للمدينة وفد من قبيلة بنى الحارث بن كعب منهم قيس بن الحصن ذى الغصة ويزيد بن عبدالمرن ويزيد بن المحجل وعبدالله بن قراد الزيادى وشداد بن عبدالله وعر بن عبدالله الضبانى وقدموا للمدينة وقابلوا الرسول ﷺ وأسلموا وعندما رجع وفد بنى الحارث أرسل معهم الرسول ﷺ عمرو بن حزام ليفقههم فى الدين ويعلمهم الإسلام.

وتحكى كتب السيرة النبوية وخاصة ابن هشام وابن اسحاق قصص الوفود التى أتت إلى المدينة لكى تسلم قبائلها بعد مقابلة الرسول ﷺ وهى كثيرة جدًا.

الفصل الثانى
حجة الوداع
٢٥ من ذى القعدة من العام العاشر من الهجرة فى ٦٣١م

سوف نتناول حجة الوداع فى مبحثين على النحو التالى

المبحث الأول: وقائع حجة الوداع.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى وقائع حجة الوداع.

وذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول
وقائع حجة الوداع

أولاً: توجه الرسول ﷺ إلى مكة لأداء فريضة الحج وكانت آخر زيارة له لمكة حيث توجه إلى مكة فى ٢٥ من ذى القعدة فى العام العاشر من الهجرة فى ٦٣١م وأخذ معه كل نساءه وهم تسعة نساء وهم السيدة سودة بنت زمعة والسيدة عائشة بنت أبى بكر والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب والسيدة أم سلمة والسيدة زينب بنت جحش والسيدة جويرية بنت الحارث والسيدة صفية بنت حيى والسيدة أم حبيبة والسيدة ميمونة بنت الحارث.

ثانياً: اصطحب الرسول ﷺ معه فى حجة الوداع مائة وأربعة عشر ألف مسلم جاءوا من كل قبائل شبه الجزيرة العربية ليسيروا مع الرسول ﷺ من المدينة إلى مكة مسافة خمسمائة وعشرين كيلو متر سيراً على الأقدام أو ممتطين الإبل.

ثالثًا: بعدما أدى الرسول ﷺ والمسلمون مناسك الحج عاد للمدينة المنورة فى ١٤ من ذى الحجة فى العام الحادى عشر من الهجرة فى عام ٦٣٢م وكانت آخر حجة للرسول ﷺ فى حياته.

المبحث الثانى
رأى المولف فى وقائع حجة الوداع

أولاً: لقد توجه مائة وأربعة وعشر ألفًا من مختلف القبائل فى شبه الجزيرة العربية إلى مكة مع الرسول ﷺ لأداء فريضة الحج وهذا يؤكد أن الإسلام انتشر بين القبائل العربية بالاقتناع الحر بعد ترك الأحجار والأصنام وعبادة الله الواحد لأنه ما الذى يدعو هذه الأعداد الغفيرة بالسير على الأقدام مسافة خمسمائة وعشرين كيلو والعودة مرة أخرى لهذه المسافة آى ما يقطعه المسلم سيرًا على الأقدام لأداء فريضة الحج مسافة حوالى ألف وأربعين كيلو متر فى طرق وعرة وظروف مناخية فوق طاقة البشر... ما الذى يدعو القبائل العربية لهذه المعاناة إلا إذا كانوا اختاروا الإسلام عن اقتناع حر لأن الرسول ﷺ لم يجبر أحدًا على أداء فريضة الحج فأداء فريضة الحج يكون بكامل الإرادة الحرة وأن يأتى بكامل الإرادة الحرة مائة وأربعة عشر ألف مسلم يسيرون سيرًا على الأقدام مسافة أكبر من المسافة من القاهرة إلى أسوان إنما فى ذلك أبلغ الرد على المستشرقين أن الإسلام انتشر فى عام الوفود بالإرادة الحرة لأنه لو كان انتشر بلا اقتناع لم يكن يأتى مائة وأربعة عشر ألف مسلم يسيرون هذه المسافة.

ثانيًا: قد دخل المائة وأربعة عشر ألف مسلم مكة وهم يصرخون من الفرح فى جو روحانى عالى المصداقية وهم يقولون فى نفس واحد وبصوت واحد جهورى يهز الحجر ويقولون «لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لك لاشريك لك» لقد عرف المسلمون فى هذا الموكب الرهيب وهم يدخلون مكة لأداء فريضة الحج الفرق بين وضعهم وهم كفار يسجدون لقطعة زلط وحجر أصم والفرق وهم مسلمون يؤدون فريضة الحج حسب مناسكها.

ثالثًا: دخل الرسول ﷺ ومعه مائة وأربعة عشر ألفًا يطوفون حول البيت الحرام فى ٤ من ذى الحجة من العام العاشر من الهجرة فى ٦٣١م وقد قضوا فى الطريق أكثر من عشرة أيام لأنهم خرجوا من المدينة فى ذى القعدة ومن المؤكد أنهم لم يحسوا بعناء الرحلة من نشوة الحالة المعنوية والحالة الروحية ذات المصداقية العالية للنفس البشرية ومن المؤكد أن مكة ليست على استعداد لاستقبال هذه الأعداد الكبيرة التى لم تشاهدها من قبل أى حج طوال حياتها ودخل الرسول ﷺ والمسلمون مكة نهارًا ثم حلقوا وأخذوا ينحرون ودخل الرسول الكعبة وقبل الحجر الأسود ثم خرج من المسجد إلى الصفا ثم سعى بين الصفا والمروة وفى ٨ من ذى الحجة أى بعد أربعة أيام من وصوله مكة ذهب إلى منى وقضى الليل ثم صلى الفجر وقصد جبل عرفات وقد كان الرسول ﷺ قدوة للمسلمين لكى يتعلموا مناسك الحج وخطواته وتعلم المسلمون من الرسول كيف يحجون فى حجة الوداع.

رابعًا: ثم توجه الرسول ﷺ إلى بطن الوادى وخطب ووعظ فى المسلمين خطبته الأخيرة التى ركزت على المبادئ السامية فى الإسلام وبعد أن ذكر المبادئ السامية فى الإسلام قال لهم الرسول ﷺ «لقد تركت فيكم ما أن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا، كتاب الله وسنة رسوله» وفى نهاية خطبته قال لهم الرسول ﷺ «اللهم هل بلغت» أجاب المسلمون جميعًا نعم فقال الرسول «اللهم اشهد» وبعد ذلك صلى الظهر والعصر حتى بلغ الصخرات وهناك نزل على الرسول ﷺ سورة المائدة الآية ٣ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا».

خامسًا : وعاد بعد ذلك إلى المدينة المنورة وكان قد ترك بالمدينة أبا دجانة سماك بن حرسه الساعدى لكى يدير أمورها قبل خروج الرسول ﷺ إلى الحج أما بعد عودة الرسول ﷺ للمدينة فإن الأمر كله للرسول ﷺ فى إدارة شئون الدولة الإسلامية فى مهدها.

سادسًا: فى حجة الوداع علم الرسول ﷺ المسلمين مناسك الحج وعلمهم سنن حجهم وعندما بدأ فى خطبة الناس قال لهم فى بداية الخطبة «اسمعوا قولى

فإنى لا أردى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا» وهنا سؤال لابد له من إجابة.. هل كان الرسول ﷺ يعلم الغيب ؟؟ لأنه فعلاً تحقق ما قاله وكانت هذه آخر حجة فى حياته ويرى المؤلف أن الرسول ﷺ كان يعلم الغيب عن قرب وفاته وإلا ما الذى يدعوه لهذا القول؟؟ (١)...

(١) علم الغيب لله تعالى وحده، لكنه يطلع أنبياءه ورسله على بعضه عن طريق الوحى.

الفصل الثالث

وقائع وفاة الرسول ﷺ

فى الإثنين ٢١ من ربيع الأول من العام الحادى عشر من الهجرة فى ٦٣٢م

سوف نتناول وفاة الرسول ﷺ فى مبحثين على النحو التالى

المبحث الأول: وقائع وفاة الرسول.

المبحث الثانى: رأى المؤلف فى وقائع وفاة الرسول.

وذلك تفصيلاً على النحو التالى..

المبحث الأول

وقائع وفاة الرسول

أولاً: بعد أن عاد الرسول ﷺ من حجة الوداع إلى المدينة المنورة فى ١٤ من ذى الحجة فى العام الحادى عشر من الهجرة عام ٦٣٢م ومكث شهرين فى المدينة بدأ المرض يدخل جسد الرسول ﷺ ولما اشتد به المرض استأذن نساءه بعد أن جمعهن لينتقل إلى بيت عائشة بنت أبى بكر وقد كان المرض الذى أصاب جسده هو الحمى وقد أقعده فى الفراش فى بيت عائشة بنت أبى بكر لمدة اثنى عشر يومًا.

ثانياً: وأفاق الرسول ﷺ من مرض الحمى يوم الأحد ١١ من ربيع الأول فى العام الحادى عشر من الهجرة فى ٦٣٢ م وفى ذلك اليوم الذى أفاق فيه من مرض الحمى توجه ومعه أبو بكر الصديق إلى المسجد وصلوا وكانت الصلاة الأخيرة له مع أبى بكر الصديق.

ثالثاً: كما تحكى كتب السيرة ابن إسحاق وابن هشام أن بداية مرض الحمى جاء للرسول فى أول شهر ربيع الأول وعندما أحس ببداية الحمى خرج إلى بقيع الفرق وهى مقابر أهل المدينة واستغفر للموتى وعاد إلى أهل بيته فى جوف الليل وكان عند عودته فى بيت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين ودعا بقية زوجاته وقد استأذنهن فى أن يمرض فى بيت عائشة بنت أبى بكر بعد إحساسه بأعراض مرض الحمى وجاء الرسول ﷺ إلى بيت عائشة يمشى مع رجلين من أهله هما الفضل ابن عباس وعلى بن أبى طالب وكان عاصباً رأسه وقد اشتد به وجع رأسه وتم صب الماء على رأس الرسول ﷺ وأثناء نوم الرسول ﷺ تقول عائشة كان آخر كلماته سمعتها منه وهو يقول «بل الرفيق الأعلى من الجنة».

وقبل وفاة الرسول ﷺ أمر أبا بكر أن يصلى بالناس وبعد ذلك عند الضحى توفى الرسول ﷺ وهو على صدر السيدة عائشة، وبعد وفاته وضعت رأسه على وسادة فخرجت فأخبرت الناس فى المسجد بموته ﷺ .

رابعاً: توفى الرسول ﷺ فى منزل عائشة بنت أبى بكر فى يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول السنة الحادية عشر من الهجرة فى عام ٦٣٢م.

ولم يصدق المسلمون أن الرسول ﷺ قد مات وخاصة عمر بن الخطاب الذى كان يتوعد كل من يقول إن الرسول ﷺ قد مات وأتى أبو بكر إلى منزل ابنته عائشة وكشف عن وجه الرسول ﷺ وقبله وهو يبكى بكاءاً شديداً على فراق أعز الناس إلى قلبه ثم خرج إلى المسجد ليخطب فى الناس وقال لهم «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لايموت».

خامساً: تمت مبايعة أبى بكر الصديق بالخلافة بعد أن كاد يتفرق المسلمون بوفاة الرسول ﷺ وتم غسل الرسول ﷺ فى منزل عائشة وتم تكفينه فى ثلاثة أثواب بيضاء ووضع على سريره وبدأ المسلمون يدخلون ليلقون نظرة الوداع الأخيرة ويدخلون من أحد الأبواب ويخرجون من الباب الآخر وظلوا يصلون عليه ثلاثة أيام وقد دفن الرسول ﷺ حيث كان فراشه بعد أن حفر تحت فراشه الذى يرقد عليه لأن أبا بكر الصديق قال «سمعت الرسول يقول «ما قبض نبى إلا دفن حيث توفى» ودفن يوم الأربعاء ١٤ من ربيع الأول فى العام الحادى عشر من

الهجرة فى عام ٦٣٢م فى منزل عائشة بنت أبى بكر فى نفس المكان الذى توفى فيه الرسول ﷺ وهو فى فراشه أى بعد ثلاثة أيام من وفاته.

سادساً: وتقول كتب السيرة لابن اسحاق إن الذى قام بتغسيل جسد الرسول ﷺ هما على بن أبى طالب والعباس بن عبدالمطلب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى الرسول ﷺ وخادمه وانضم أوس بن حولى من الخزرج وكان من أصحاب الرسول ﷺ أثناء غسل الرسول ﷺ كان على بن أبى طالب يبكى ويقول «بأبى وأمى ما أطيبك حيًا وميتًا».

سابعًا: وعن دفن الرسول ﷺ اختلفوا أين يدفنوه قال بعض الصحابة ندفنه فى مسجده وقال البعض الآخر ندفنه مع الصحابة ولكن أبا بكر الصديق حزم الموقف وقال سمعت رسول اللّه يقول «ما قبض نبى إلا دفن حيث قبض» ورفع فراش الرسول ﷺ الذى توفى عليه وحفر تحته ودفن حيث مات فى منزل عائشة وسط الليل يوم الأربعاء بعد أن دخل عليه الرجال ليصلوا عليه ثم النساء ثم الصبيان.

المبحث الثانى
رأى المولف فى وقائع وفاة الرسول

أولاً: توفى الرسول ﷺ يوم الإثنين ١٢ من ربيع الأول فى العام الحادى عشر من الهجرة فى ٦٣٢م وكان كل يملكه هو سبعة دنانير تصدق بهم على المساكين يوم الأحد ربيع الأول الذى أفاق فيه من مرض الحمى وتوجه إلى المسجد ليصلى ومعه ابو بكر الصديق ومعنى ذلك أن الرسول ﷺ توفى ولم يترك دينارًا واحداً وهو حاكم أكبر دولة فى شبه الجزيرة العربية... ماذا أقول للمستشرقين المفترين الحاقدين على الرسول ﷺ الذين ملأوا الدنيا ضجيجًا بأن غزوات الرسول ﷺ كانت من أجل جمع الغنائم والأموال.. أين هى الأموال حتى السبعة دنانير التى كانت معه لم يتركها لزوجاته بل تصدق بها للمساكين.

ثانياً: كل ما تركه الرسول ﷺ هو بغلته البيضاء التى تسمى القصواء ولم يترك درهمًا ولا عبدًا ولا شاة ولانخلة حتى سلاحه كان مرهونًا من أجل بضعة دنانير ليهودى ليعيش منها الرسولﷺ وزوجاته وسلاحه وأرضه تركهم صدقة لابن السبيل والمحتاج وتوفى ولم يوص بأى شىء لأنه لايملك شيئًا يوصى به حتى المنازل التى كان يعيش فيها كانت من الطوب اللبن وسقفها من البوص والنخيل... هل يوجد زهد فى الحياة الدنيا أكثر من ذلك لقد تفرغ طوال حياته ليس من أجل جمع الغنائم كما يقول المستشرقون بل تفرغ لنصرة الدعوة الإسلامية.

ثالثًا: فى عهد الرسول ﷺ توحدت شبه الجزيرة العربية تحت راية الإسلام وأصبح الإسلام هو عقيدتها ورايتها يتجمعون تحت مظلاته بعد أن كانت القبائل فى شبه الجزيرة العربية متناحرة متنافرة تحكمها العصبية القبلية والولاء للقبيلة فقط وفى عهد الرسولﷺ تحول الولاء للإسلام وللدولة الإسلامية الأم بدلاً من الولاء للقبيلة وانتهت العصبية القبلية البغيضة التى حولت شبه الجزيرة العربية فى الجاهلية إلى حروب دائمة لاتنتهى.

رابعًا: لقد كان الرسولﷺ فى خلقه مثالاً للخلق القويم والحكمة والسماحة فقد قال عنه القرآن الكريم فى سورة القلم آية ٤ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ومن الذى قال ذلك إنه الله القادر على كل شىء لكى يكون الرسولﷺ قدوة للمسلمين وأقول للمستشرقين إن ما يقوله الله فى النص فى القرآن لا اجتهاد فيه.. لذلك فكل ما تدعونه ضد الرسول ﷺ إنما ينبعث من نفس مريضة وعقلية مريضة لاتبغى إلا تشويه صورة الإسلام ورموز الإسلام وعلى رأسهم الرسولﷺ.

خامساً: إن غرض المستشرقين غرض خبيث هو تشويه صورة الرسولﷺ وهو التشكيك فى صورة الرسولﷺ للنيل من الإسلام عن طريق النيل من الرسولﷺ وتشويه الحضارة الإسلامية بغرض فرض هيمنة الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية لأن ما ينادى به الغرب من صراع الحضارات حتى يتم القضاء على الحضارة الإسلامية بتشويه رموزها طبقًا لنظرية صموئيل همنتغتون أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد والمستشار السياسى بالمخابرات المركزية الأمريكية الذى تتبنى أمريكا والغرب نظريته لفرض هيمنة الحضارة الغربية على العالم وما

يحدث اليوم من المستشرقين والغرب لتشويه الإسلام ورموز الإسلام وخاصة الرسولﷺ بالقول بالاسطوانة المشروخة التى لايملون منها من أنه كان يجمع إحدى عشرة زوجة وأنه يحارب من أجل الغنائم وكذلك لم يسلم منهم الإسلام فى أن تعاليمه تحرض على الإرهاب وأن الإرهاب خرج من رحم الإسلام... كل هذه الدعاوى الكاذبة لتشويه الحضارة الإسلامية لفرض الحضارة الغربية وهى خطة يسير عليها الغرب وأمريكا بخطوات جادة وهم لاينكرون ذلك وقد رددت على أقوال المستشرقين والغرب فى ثلاثة كتب كتبتها هى: «زوجات الرسول ﷺ بين الحقيقة والافتراء» و«انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والإرهاب» والإرهاب صناعة غير إسلامية».

سادساً: الرسول ﷺ أرسله اللّه بشيراً بالدعوة الإسلامية اصطفاه اللّه من دون البشر لكى ينزل عليه الوحى بالرسالة لذلك لايجوز مقارنته بالعباقرة من العالم والعظماء من العالم لأنه رسول من عند اللّه حيث يوجد فى الأسواق كثير من الكتب تقارن بين الرسولﷺ وعظماء التاريخ وعظماء العالم وهذا لايجوز لأن الرسول موحى إليه من عند اللّه.

سابعاً: كان المستشرقون يرددون لتشويه صورة الرسول ﷺ أنه خرق شريعته التى تنص على تعدد الزوجات بأربعة وهو تزوج بإحدى عشرة زوجة وقد بينا فى كتابنا «زوجات الرسولﷺ بين الحقيقة والافتراء «أسباب ذلك الزواج وجميع زوجات الرسولﷺ تزوجهم قبل نزول أية تعدد الزوجات وهى سورة النساء آية ٣ ﴿فَانْكِحُوا ما طَابَ لَكُم مِن النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ ألا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» وهذه السورة نزلت فى نهاية العام الثامن من الهجرة فى عام ٦٢٩م بعد أن تزوج الرسولﷺ كل زوجاته الإحدى عشر وكانت آخر زوجة للرسول هى ميمونة بنت الحارث تزوجها قبل نزول السورة المدنية وهى سورة النساء وبذلك فإن كلام المستشرقين عن زوجات الرسولﷺ لا أساس له من المصداقية وخاصة أننا بينا أسباب كل زيجة وليس بينهم زيجة واحدة طمعاً فى الشهوة الجسدية كما يدعى المستشرقون المفترون .

ثامناً: كان من أهم قام به المسلمون للحفاظ على الدولة الإسلامية الأولى من التفكك هو مبايعة أبى بكر الصديق بالخلافة أى خلافة الرسولﷺ بناء على سورة الشورى التى تنص فى سورة الشورى آية ٨٣ ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ وبحصر الخلافة فى قريش بعيداً عن الأنصار بعد أن انقسم المسلمون إلى قسمين: المهاجرين والأنصار، لكل منهم مرشح للخلافة فقد اجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة لمبايعة سعد بن عبادة الخزرجى بالخلافة ولكن المهاجرين اجتمعوا ورشحوا للخلافة أبا بكر الصديق فعندما علم أبو بكر باجتماع الأنصار فى يوم الإثنين ١٢من ربيع الأول العام الحادى عشر من الهجرة ٦٣٢م أسرع اليهم صحبة عمر بن الخطاب ودخلوا عليهم سقيفة بنى ساعدة وأقنعوهم بأحقية أبى بكر الصديق وفى يوم الثلاثاء ١٣ من ربيع الأول من العام الحادى عشر من الهجرة ٦٣٢م فى اليوم التالى لوفاة الرسول تم مبايعة أبى بكر الصديق فى المسجد البيعة العامة من المهاجرين والأنصار وكان ذلك قبل دفن الرسول ﷺ بيوم واحد ولولا الإسراع بتعيين الخليفة لتفككت الدولة الإسلامية فى النزاع فيمن أحق بالخلافة.. المهاجرين أم الأنصار؟؟..

تاسعاً: وقد قال الرسولﷺ عن أبى بكر الصديق «لو وضع إيمان أبى بكر فى كفة وإيمان الأمة فى كفة لرجحت كفة أبى بكر» وأبو بكر الصديق استطاع أن يحافظ على الدولة الإسلامية بعد الرسول ﷺ بعد أن قاد بقلب جرىء حروب الردة وجمع القرآن وكذلك أمر أبو بكر الصحابة لجمع القرآن وهم زيد بن ثابت ومساعده سالم مولى أبى حزيفة وعلى بن أبى طالب وعمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب واستغرق جمع القرآن من حفظة القرآن من الذاكرة والآيات المكتوبة على الورق وعلى الجلد وعلى الحجر الأبيض وعلى العظام ما يقرب سنتين وجمع القرأن فى مصحف واحد وظل عند أبى بكر حتى وفاته فى عام ٦٣٤م ثم عند عمر بن الخطاب حتى وفاته فى عام ٦٤٤م ثم سلم لحفصة بنت عمر بن الخطاب وزوجة الرسول ﷺ وكان القرآن آنزل بلسان عربى فى ١١٤ سورة منها ٨٦ سورة مكية و٢٨ سورة مدنية وفى ٦٠٢٦ آية وفى ٧٧٨٤٥ كلمة وفى ٣٣٠٧٣٣ حرف حتى يومنا هذا.

عاشراً : يقول بعض المستشرقين منهم تولستوف إنه ينكر عالمية الإسلام لأن محمداً ﷺ عربى الجنسية وعربى اللغة والقرآن عربى اللغة والعالم موزع على.. لغات غير العربية كثيرة ومختلفة فهل من الممكن عقلاً أن يكون محمدﷺ رسولاً لجميع شعوب العالم وهو لايعرف إلا اللغة العربية والقرآن باللغة العربية ولذلك فإن محمداًﷺ رسول للعرب فقط ولكن المؤلف يرى غير ذلك، يرى عالمية الإسلام وأنه صالح لكل زمان ومكان ولكل الأجناس لأن الإسلام يأتى بتشريعات عامة وليست تشريعات خاصة بالعرب فقط فتحريم الربا والخمر وعدم أكل مال اليتامى وغيرها تشريعات عامة والكتاب جامع فقد ورد فى سورة الأنعام آية ٣٨ ﴿مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ﴾ ويرى المؤلف أنه رغم أن القرآن باللغة العربية فيؤمن اليوم بالإسلام أكثر من مليار وربع نسمة ٩٠٪ لايعرفون العربية، وذلك لم يقف حائلاً دون انتشار الإسلام عالميًا وكذلك فإن المسيحية كما يرى المؤلف رسالة عالمية رغم أن السيد المسيح لم يكن يعرف إلا لغة واحدة وأن الأناجيل تم كتابتها بلغة واحدة وهذا لم يقف حائلا دون عالمية المسيحية بترجمة الإنجيل إلى لغات أخرى.. إذًا العقل العلمى المنصف لابد أن يكيل بمكيال واحد لا أن يكيل بمكيالين كما يفعل المستشرقون.

ومما هو جدير بالذكر أن القرآن الكريم تم ترجمة معانيه إلى اللغة اللاتينية بمعرفة روبرتوس كتبترى وتم ترجمة معانية إلى اللغة الألبانية بمعرفة إيلوميتكوكفريزى وتم ترجمة معانيه إلى اللغة الإيطالية بمعرفة اليساندروبوزاتى وتم ترجمة معانيه إلى اللغة الفرنسية بمعرفة دى بير وتم ترجمة معانيه إلى اللغة الألمانية معرفة جانتار واهل وتم ترجمة معانيه إلى الروسية بمعرفة إينياس كراتشكوفسكى وتم ترجمة معانيه إلى اللغة السويدية بمعرفة «س. ج. تورنبرج» وتم ترجمة معانيه إلى اللغة الإنجليزية بمعرفة جورج سيل ويوجد فى اللغة الإنجليزية ٥٧ ترجمة لمعانى القرآن بالإنجليزية وتم ترجمة معانية إلى اللغة البلغارية بمعرفة سال وتم ترجمة معانيه إلى اللغة البرتغالية بمعرفة بوكارا فييجوا وتم ترجمة معانيه إلى اللغة الرومانية بمعرفة سيلفسترروا أوكتافيان وتم ترجمة معانيه إلى اللغة اليوغسلافية بلغة البوسنة أحد أقاليم يوغسلافيا وتم

ترجمة معانيه إلى اللغة الهندوسية بمعرفة بازجر بن شهبار وتم ترجمة معانيه إلى لغات كثيرة من كل دول العالم إلى الصينية والسنغالية والعبرانية والفارسية والتركية بعد أن أصدر كمال أتاتورك تحريم الكتابة باللغة العربية وحتى عام ١٩٦٧ بلغ عدد اللغات التى تم ترجمة معانى القرآن لها ٦٧ لغة.

الحادى عشر: يقول بعض المستشرقين إن الإسلام ذاته هو السبب فى تأخر المسلمين ويستندون فى ذلك حالة الضعف والتبعية التى تسيطر على العالم الإسلامى اليوم وأن ضعف العالم الإسلامى فى كل مجالات الحياة المعاصرة ظاهرة عامة فى المجالات الاقتصادية والعسكرية والثقافية والإعلامية وكل مجالات الحياة الإسلامية مجالات تخلف ولذلك استغل المستشرقون الواقع المرير للعالم الإسلامى سياسيًا وعالميًا واقتصاديًا وعلميًا ليقولوا إن سبب التخلف هو الإسلام يرى المؤلف منذ نزول الوحى فى عام ٦١٠م حتى اليوم لم يتغير فى مبادئه وأخلاقياته وتوجيهاته ومع ذلك كانت الأمة الإسلامية فى أزمنة كثيرة تقود العالم كله تحت مسمى الحضارة الإسلامية وما يعانيه العالم الإسلامى اليوم ليس سببه الإسلام ذاته كما يدعى المستشرقون بل سببه هو تركهم للعمل بالإسلام كما هو موجود به من مبادىء فى الكتاب والسنة وحالة التطاحن والبغضاء والحقد وعدم التعاون بين الدول الإسلامية فكل دولة إسلامية تعمل بعيدًا عن الأخرى كما لو كانوا فى جزر منعزلة.... أين هو التضامن الاسلامى لقد ضاع فى هذا الزمن الردىء...

من يصدق أن دولة مثل فلسطين.. يضيع منها المقدسات الإسلامية وخاصة المسجد الأقصى الذى زاره الرسولﷺ وصلى فيه وجميع الدول الإسلامية والعربية تشجب وتستنكر وترسل تلغرافات ولايمدون يد العون لإخوانهم الفلسطينيين من أجل استرجاع المسجد الأقصى... من يصدق أن السوق العربية المشتركة أو السوق الإسلامية المشتركة يقف الحكام العرب والإسلامون حائلاً دون نشوئها... أين هى أخوة الإسلام وتعاون المسلمين.. أين هى مبادئ الإسلام فى الكتاب والسنة؟؟؟؟...

الثانى عشر: يدعى بعض المستشرقين أن الإسلام يحرض على القتال والإرهاب ويرى المؤلف غير ذلك أن الإسلام حجة على تابعيه فى الكتاب والسنة وليست تصرفات تابعيه حجة على الإسلام.. فليس كل عمل يصدر من مسلم معناه أن الإسلام مسئول عنه أو أمر به وأقره.. إنما يكون عمل المسلم حجة على الإسلام إذا صدر فى إطار تشريعات إسلامية فى الكتاب والسنة أما الأعمال الفردية والطائشة فالمسئول عنها مرتكبها وليس الإسلام.. فالإسلام دين يحرم القتل فقد ورد فى سورة البقرة أية ١٩٠ «وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاتَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لايُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» وعلى ذلك فإن الله لايحب المعتدين فلابد أن يكون هناك سبب مشروع للقتال ويرى المؤلف أنه فى هذا المجال لابد من الكيل بمكيال واحد ولا داعى للكيل بمكيالين كما يفعل المستشرقون ففى عام ١٩٩٥ تم تفجير مبنى فيدرالى فى أوكلاهوما فى أمريكا بمعرفة جماعة مسيحية متطرفة وتم هدم المبنى ويتكون من تسعة أدوار بسيارة مفخخة بها طن ديناميت مات فيه ١٦٧ أمريكى وأصيب أكثر من ٣٠٠ أمريكى... هل هذا العمل الصادر من بعض المسيحيين ينتسب إلى الإنجيل أم أن المسئول عنه المسيحيون الذين ارتكبوه لذلك أقول للمستشرقين لماذا إذا ارتكب مسلم أى عمل طائش ننسبه إلى الإسلام وإذا ارتكب أى مسيحى عمل طائش لاننسبه إلى الإنجيل... إن الكيل بمكيالين أخطر آفات المستشرقين.

الثالث عشر: يدعى المستشرق أرنولد فى كتابه «نظرية الخلافة فى الإسلام «أن نظام الحكم فى الإسلام ديكتاتورى فردى مستبد وأستند فى ذلك إلى ما ورد فى سورة النساء آية ٥٩ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ولكن المؤلف يرى أن ذلك غير صحيح لأن طاعة الحاكم فى الإسلام مقيدة وفى ذلك يقول الرسول «إنما الطاعة فى المعروف» فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق والآية تبين هذا فقد قال الله تعالى ﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول﴾ وخاصة أن الحكم فى الإسلام ليس مطلقًا بل هو مقيد بالكتاب والسنة ومبدأ الشورى ولذلك وجدنا الرسول ﷺ يأخذ مبدأ الشورى طوال حياته قبل غزوة أحد، أخذ بمبدأ الشورى حيث كان رأى ثلاثة من المهاجرين هم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب والمقداد بن عمرو ورأى الرسول ﷺ ذاته بالمحارب

داخل المدينة وكان رأى الأنصار كان غير ذلك، فكان رأى سعد بن معاذ زعيم الأنصار وبعض الأنصار بالخروج خارج المدينة لمحارية قريش وبناء على مبدأ الشورى ترك الرسول ﷺ رأيه وأخذ برأى الأنصار وعلى ذلك فإن ما يدعيه المستشرق أرنولد لا أساس له من الصحة بل هو محض افتراء.

الرابع عشر: يقول المستشرق كازانوفا وهو من أصل يهودى فى كتابه «محمد ونهاية العالم «إن الرسول ﷺ لم يعين خليفة له بعد وفاته لأنه كان يعتقد أن القيامة ستقوم فى حياته أو بعد موته مباشرة: هل سمع أحد عن هذا الكلام الفج الخالى من المصداقية إلا من ذلك اليهودى كازنوفا... ويرى المؤلف غير ذلك.. إن الرسول ﷺ يعلم علم اليقين أن أحد النظم الأساسية فى القرآن هو مبدأ الشورى لذلك ترك الفرصة للأمة الإسلامية أن تختار من يتولى أمرها بنفسها لأن مسألة الخلافة سوف تتجدد بموت كل حاكم فلابد أن تختار الأمة حاكمها بنفسها، فكانت تولية أبى بكر الصديق عن طريق المبايعة بعد الشورى لأن الأمة هى مصدر السلطات فى اختيار الحاكم ومراقبته لذلك أحدث الرسول ﷺ انقلابًا فى نظم الحكم فى العالم إن الدولة الفارسية والدولة البيزنطية كان نظام الحكم فيها وراثيًا وأن الحاكم يستمد سلطانه من الإله لذلك لايجوز مناقشة قراراته وتصرفاته... لذلك كانت ديمقراطية الحكم فى الإسلام تسبق كل الحضارات الأخرى.. لذلك لم يعين الرسول ﷺ خليفة له وكان فى مقدوره تعيين أبى بكر صراحة بلا بيعة أو شورى ولكن الرسول ﷺ أراد إرساء أول معالم الديمقراطية فى العالم فى اختيار الحكام بعد أن كان العالم كله يسير على الوراثة والحق الإلهى فى عائلة الحكام أما قول ذلك المستشرق كازنوفا بأن الرسول ﷺ لم يعين خليفة لأنه يعلم أن الساعة ستقوم بموته.. فذلك لا أساس له من الصحة والدليل على ذلك ما ورد فى سورة الأعراف آيه ١٨٧ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لايُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ﴾.

الخامس عشر : يردد بعض المستشرقين أن رجلاً من رهبان المسيحية يدعى سرجيوس هرب من بلاده إلى الجزيرة العربية وكان يلقن محمدًا أسرار الديانات

لكى يصوغها فى عبارات فصيحة ويدعى أنها منزلة من عند الله ويرى المؤلف أن خيال المستشرقين وصل إلى حد خيال المجانين.. هل معقول راهب يدعى سرجيوس كان يلقن محمداً السور.. هل هذا معقول أن ينزل فى مكة ٨٦ سورة ولا يشاهد كفار مكة هذا الراهب سرجيوس .. وهم يكنون للرسول ﷺ شديد العداء وينتظرون له غلطة واحدة للرسول ﷺ ولايكتشفون وجود الراهب سرجيوس وكذلك نزل فى المدينة ٢٦ سورة ولايكتشف الأنصار والمهاجرون واليهود وجود الراهب سرجيوس.. إنه خيال مجنون لبعض المستشرقين (١)..

السادس عشر: يقول بعض المستشرقين أن بطريرك من رهبان المسيحية جاء إلى العرب وخدعهم مدعياً أنه من قريش وابتداع للدين الإسلامى لينافس به المسيحية التى طرد منها هذا البطريرك المسيحى... هل من الممكن أن يصل خيال المستشرقين إلى هذا الحد من الجنون الذى لاحدود له أن يتصوروا بطريرك من رهبان المسيحية جاء إلى العرب وخدعهم مدعياً أنه من قريش وابتدع الدين الإسلامى؟؟؟.. وأين هو الرسول محمد ﷺ وميلاده وكفالة جده له ثم عمه ثم زواجه من خديجة بنت خويلد ثم نزول الوحى واضطهاد كفار قريش له ونزول ٨٦ سورة من القرآن فى مكة ثم الهجرة إلى المدينة وتنظيم الدولة الإسلامية والغزوات ونزول ٢٦ سورة فى المدينة وصلح الحديبية وحجة القضاء وحجة الوداع وفتح مكة ووفاة الرسول ﷺ... كل ذلك فعله بطريرك مسيحى من رهبان المسيحية جاء إلى العرب وخدعهم ومدعياً أنه من قريش.. إننى أقول للمستشرقين الذين يرددون هذا الكلام .. إن المجانين فى نعيم...

السابع عشر: وكتب السيرة النبوية تذكر أنه كان أول سماع للرسول حفظ القرأن كان من جبريل.. ثم بعد ذلك يسمع كتاب الوحى القرآن من الرسول ﷺ فور سماعة القرآن من جبريل فيقوم كتاب الوحى بكتابة ما سمعوه من الرسول

---

(١) إذا كان يزعم زاعم أن القرآن كلام بشر فهل يستطيع أن يأتى البشر اليوم بمثله... إن قالوا نعم فليفعلوا وإن قالوا لا لزمهم أن يسلموا بأن القرآن كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد ﷺ بواسطة أمين الوحى جبريل عليه السلام .

ﷺ ثم ينتشر القرآن عن طريق السماع بين المؤمنين إما من فم الرسول ﷺ أو من فم كتاب الوحى وقد حفظ الرسول ﷺ القرآن كله وكان يقرؤه كل عام على جبريل مرة فى شهر رمضان ولكن فى عام الحادى عشر للهجرة فى عام ٦٣٢ م العام الذى توفى فيه الرسول ﷺ تلى الرسول ﷺ القرآن على جبريل مرتين زيادة فى التثبيت والتوثيق وقد تم جمع القرآن بعد وفاة الرسول ﷺ فى عهد أبى بكر الصديق وقد تم تجميع القرآن عن طريق الوثائق المختلفة المتفرقة بعد أن قتل سبعون رجلاً من حفظه القرآن فى حروب الردة وبعد وفاة أبى بكر تسلم المصحف عمر بن الخطاب وبعد وفاته ظل المصحف فى حوزة حفصة أم المؤمنين ابنة عمر بن الخطاب وكان ذلك المصحف حتى عهد عثمان بن عفان، إلا إن بعض القراءات اختلفت فى الأمصار المختلفة فالاختلاف فى القراءات وليس فى متن القرآن ذاته لذلك طلب حذيفة بن اليمان من عثمان بن عفان أمير المؤمنين أن يعيد تجميع القرآن بحيث يكون ذا قراءة واحدة فى كل الأمصار.

وكون عثمان بن عفان لجنة من زيد بن ثابت وثلاثة من قريش هم عبدالله بن الزبير وسعد بن أبى وقاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام... واختيار زيد بن ثابت لأنه كان من كتبة الوحى وكان حافظًا للقرآن من فم الرسول ﷺ ذاته وكان هو الذى جمع القرآن فى عهد أبى بكر وتم تجميع مصحف عثمان ونسخ عن مصحف عثمان بضعة مصاحف تم توزيعها على الأقطار الإسلامية وسمى مصحف الإمام وأصل المصحف بقى فى حوزة أمير المؤمنين عثمان بن عفان وتم إحراق بقية المصاحف ومنهم مصحف الصحابى ابن مسعود ولكن المستشرقين يفترون على القرآن ويقولون إن المصحف الذى فى يد السنة الآن غير المصحف الذى فى يد الشيعة فالمصحف الذى فى يد السنة ١١٤ سورة أما المصحف الذى فى يد الشيعة ١١١ سورة ويرى المؤلف أن ذلك غير صحيح لأن كتاب «الأم» لأبى جعفر هو من أهم كتب الشيعة الإمامية أهم فرق الشيعة يذكر فى ذلك الكتاب أن سورة القرآن ١١٤ سورة وكذلك عند الشيعة يوجد ١١٤ سورة وهى التى كانت موجودة فى مصحف عثمان ولكن عند الشيعة تم ضم سورة الضحى ، والشرح لتكونان سورة واحدة وكذلك تم ضم سورتا الفيل وقريش وكذلك تم ضم سورتا

الأنفال والتوبة، لذلك ما ينسب للقرآن من المستشرقين فهو محض افتراء فكل سورة القرآن ١١٤ سورة عند الشيعة والسنة، تم ضم بعضها عند الشيعة فمصحف عثمان هو الذى يسود الأمة الإسلامية كلها حتى يومنا هذا لكل الفرق الإسلامية المتنازعة والمختلفة.

الثامن عشر: ويرى المستشرق الويس اشبرنجر وهو مستشرق نمساوى الأصل حصل على الجنسية الإنجليزية وكان أستاذًا للغات الشرقية فى جامعة بون بسويسرا فى كتابه «حياة محمد وتعاليمه» ذكر أن الرسول ﷺ كان إنسانًا هيستريًا مجنونًا ويرى المؤلف أن هذا الادعاء ليس جديدًا من كل حاقد على الرسول ﷺ فقد سبق لكفار قريش أن اتخذوا موقفًا مماثلاً وقالوا إن الرسول ﷺ به مس من الجنون وقد ورد ذلك فى سورة الحجر أية ٦ ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ فأى حاقد على الرسول ﷺ يستطيع أن يشوه صورته بلا سند من الواقع وهنا سؤال يسأله المؤلف لو كان الرسول ﷺ مجنونًا كان يستطيع أن يبنى هذه الدولة التى هزت هذه الحضارات العالمية الفارسية والبيزنطية لدرجة أن هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية يهرب من أمامه فى معركة تبوك وإذا كان الرسول ﷺ مجنونًا كما يدعى كفار قريش.. لماذا دخلوا جميعًا الإسلام تحت زعامة الرسول ﷺ بعد فتح مكة.

التاسع عشر: ويذكر المستشرق جبير دنوجن خبر إفك وكذب على الرسول ﷺ أن الرسول محمد ﷺ مات فى نوبة سكر بين وأن جسده وجد ملقى على كومة من الروث وقد آكلت منه الخنازير ولذلك حرم الخمر وحرم لحم الخنازير ويرى المؤلف أن الكذب له حدود أما أن يكون كذب بلا حدود فذلك ما يسمى السفالة كيف يقول جبير دنوجن أن الرسول ﷺ مات فى نوبة سكر وهو الذى حرم السكر فى المدينة والرسول ﷺ قدوة حسنة للمسلمين ولا يستطيع أن يشرب الخمر فى المدينة لأنه حرمها ولو كان فعل ذلك لاجتمع عليه الأنصار والمهاجرون .. فكيف يحرم الخمر ويبيحها لنفسه والثابت فى كل كتب السيرة أنه توفى بالحمى فى منزل عائشة يوم الإثنين ١٢ من ربيع الأول فى السنة الحادية عشرة للهجرة فى ٦٣٢ م ومن حرم أكل الخنزير هو الله ذاته فى القرآن فى سورة المائدة

آية ٣ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ وهذ آية مدنية نزلت قبل وفاة الرسول ﷺ ولكن خيال جبيردنوجن المريض صور أنه عند وفاة الرسول ﷺ أكلت الخنازير من جسده لذلك حرمه. الثابت أن تحريم لحم الخنزير قبل وفاة الرسول ﷺ بمدة كبيرة، إن الخيال والحقد المريض للمستشرقين قد يجعلهم يتصورون أشياء غير منطقية ويناقض بعضها بعضاً.

العشرون: ويذكر المستشرق ريتشارد بورتون فى كتابه «مختارات بالشعر فى القرآن «أن الرسول ﷺ كان شاعراً ولم يكن صاحب دعوة يرى المؤلف أن هذه الفرية فقديماً قال كفار قريش عن الرسول ﷺ إنه شاعر وأنه كاهن وأنه مجنون ولذلك ورد فى سورة الطور آية ٢٩ «فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ»» والمستشرقون يريدون من ذلك أن يقولوا إن القرآن لون من ألوان الأدب وغير منزل من عند الله وأن العرب أنفسهم نفوا أن يكون القرآن شعراً، فعندما اجتمع كفار قريش بالوليد بن المغيرة للتآمر على الرسول ﷺ وما يجب أن يذيعوه فى موسم الحج لتشويه صورة الرسول ﷺ لدى القبائل العربية عرضوا عدة أفكار لدراستها لإلصاقها بالرسول ﷺ كنقيصة وأنه ليس برسول من عند الله وكان هناك اقتراح أن يقال إنه شاعر فقال الوليد بن المغيرة «والله ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر هزجه ومديده وطويله وماهذا الذى سمعناه بشعر» وعلى ذلك فإن إلصاق تهمة أن الرسول ﷺ شاعر ليست جديدة خاصة بالمستشرق ريتشارد بورتون وإنى أسأل ريتشارد بورتون.. كيف يكون شاعراً وهو أمى لم ينل أى قسط من التعليم ولم يتعلم قوافى الشعر إن من يلقى التهم جزافاً بلا أى رصيد من المصداقية لايستحى أن يقول أى شىء بلا دليل.

الحادى والعشرون: يدعى المستشرق جاستون فييت فى كتابه «مجد الإسلام» أنه أنكر نزول القرآن على الرسول ﷺ هو صانع القرآن ومؤلفه ويرى المؤلف أن هذا الإفك والكذب لايجد له مصداقية فى سيرة الرسول ﷺ، فالرسول أمى لم يتعلم القراءة والكتابة ونزل القرآن عليه فى مكة وفى المدينة ومجمله ١١٤ سورة، فكيف لأمى يجهل القراءة والكتابة أن يأتى بهذه السور فكلنا نعيش فى الريف

وفى المدينة وسط أشخاص أميين يجهلون القراءة والكتابة ونتحدث معهم هل يتخيل عقل عاقل أى أمى أو حتى مثقف يستطيع أن يؤلف مثل سور القرآن إن كلام المستشرق جاستون تبيت محض افتراء وكذب لايصدقه آى عاقل من سكان الكرة الأرضية البالغ عددهم ستة ونصف مليار نسمة.

الثانى والعشرون: ويذكر المستشرق جورج سيل عن الرسول محمد ﷺ أنه يتهمه بالوثنية ويرى المؤلف إلى هذا الحد يصل الكذب والافتراء على الرسول ﷺ باتهامه بالوثنية وهو لم يعرف إلا التوحيد فى حياته وعادى أهله من كفار قريش من أجل ترك عبادة الأصنام والأوثان والتفرغ لعبادة الله الواحد وقد نزل عليه الوحى بالتوحيد والبعد عن الوثنية ففى سورة الإخلاص «قل هو الله أحد* الله الصمد * لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفوا أحد» وفى سورة البينة آية ٥ «وماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء» بعد هذه الآيات يجرؤ جورج سيل ويقول إن محمداً كان وثنياً.. أنا عندما أكتب هذه التفاهات وأرد عليها أصاب بحالة من الغثيان لأن افتراء المستشرقين وصل إلى حد اللامعقول....

الثالث والعشرون: يذكر المستشرق توماس كارليل الإنجليزى فى كتابه «الأبطال وعبادة البطولة« أن محمداً ﷺ كان بطلاً أو مصلحاً عظيماً أو سياسياً بليغاً أو عبقريًا فذاً ويرى المؤلف أن هذه مقولة ظاهرها الحق وداخلها الباطل لأن توماس كارليل يريد غرضا خبيثًا من خلف كلامه وهو أن الرسول ﷺ لم يكن رسولاً من عند الله اصطفاه الله من دون العباد لكى يبلغ رسالته عن طريق الوحى لأن الوحى هو إعلام الله أنبيائه بكتاب أو برسالة فى منام أو إلهام بأن ينفث فى روع النبى مايريد الله إبلاغه له ولذلك إذا أخذنا بمنطق توماس كارليل فإنه ينفى عن الرسولﷺ أنه نبى وأن الرسالة مرسلة من عند الله ويدعى أن محمداً ﷺ مصلحاً عظيماً... ماأخبث توماس كارليل فى أقواله التى تنافى الواقع والتاريخ... فالواقع والتاريخ أن الرسول ﷺ اصطفاه الله ليبلغ الرسالة المحمدية.

الرابع والعشرون: يقول المستشرق هنرى لامانس، وهو قس يقيم فى لبنان، فرنسى الجنسية فى مؤلفه «تاريخ العرب» إنه ينفى الشجاعة عن الرسولﷺ والعرب ويرى المؤلف لاأعلم من أين أتى هنرى لامانس بهذا الافتراء والكذب..

كيف بنى قوله إن الرسول ﷺ لم يكن شجاعاً.. وهل توجد شجاعة أكثر من أنه يواجه عظماء قريش وكل أهل قريش فى بداية حياته يدعوهم إلى تحطيم أصنامهم وأوثانهم وعباده الله الواحد... شخص واحد يواجه قبيلة بكاملها وهو فقير ولا يحمل سلاحًا ومن الممكن أن يقتله كفار قريش فى أى لحظة؟ وقد حاولوا ذلك كثيراً ويقول القس هنرى لامانس إن العرب ليس بهم صفة الشجاعة ولاأدرى كيف بنى قوله وهذه موقعة تبوك فى رجب ورمضان فى العام التاسع من الهجرة فى عام ٦٣٠م تحكى توجه القوات الإسلامية لمواجهة قوات الدولة البيزنطية بقيادة الإمبراطور هرقل فى عقر دارهم فى الشام رغم أن عدد قوات المسلمين أقل من ثلث عدد قوات بيزنطة إن لم تكن هذه هى شجاعة العرب والمسلمين.. فما هى الشجاعة؟؟ لذلك أقول للمستشرق القس هنرى لاماس اختش.... عيب....

المراجـع العربيـة

	اسم المؤلف	اسم المرجع
١		التـوراة
٢		الإنجيل
٣		القـرآن
٤	أبو القاسم هبة الله بن سلامة	الناسخ والمنسوخ
٥	أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير	صفوة السيرة النبوية لابن كثير
٦	أبو محمد عبدالله بن هشام المعافرى	مختصر سيرة ابن هشام
٧	أحمد حسن	موسوعة تاريخ مصر ـ ٥ج
٨	د/ أحمد شلبى	الإسلام
٩	أحمد عمران	القرآن والمسيحية فى الميزان
١٠	د/ أيمن الحسينى	الأسرار لنوبات الصرع والتشنجات
١١	د/ إبراهيم أحمد العدوى	مصر الإسلامية
١٢	د/ إبراهيم العدوى	التاريخ الإسلامى
١٣	إبراهيم العلى	صحيح السيرة النبوية
١٤	ابن إسحاق محمد بن إسحاق	السير والمغازى

١٥	ابن الأثير على بن أحمد بن أبى الكرم	الكامل فى التاريخ
١٦	ابن الجوزى جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن	تاريخ عمر بن الخطاب
١٧	ابن حزم أبو محمد على بن أحمد الأندلسى	الملل والنحل
١٨	ابن سعد محمد أبو عبدالله	الطبقات الكبرى ـ ٨ ج
١٩	ابن عبدالحكم عبدالرحمن بن عبدالله القرش	فتوح مصر وإفريقية والأندلس
٢٠	ابن قتيبة عبدالله بن مسلم ابو محمد	الإمامة والسياسة
٢١	ابن قيم الجوزية	أحكام أهل الذمة ـ ٢ ج
٢٢	ابن كثير إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية	صفوة السيرة النبوية
٢٣	ابن كثير أبو الفدا إسماعيل بن عمر	السيرة النبوية ـ ٤ج
٢٤	بن كثير أبو الفدا إسماعيل بن عمر	البداية والنهاية ـ ٤ج
٢٥	ابن هشام	السيرة النبوية ـ ٤ج
٢٦	أبو عبدالله الانجابى	تاريخ القرآن
٢٧	أبو الحسن النيسابورى	أسباب النزول
٢٨	أبو العباس أحمد محمد الطبرى	تراجم بيت رسول الله ﷺ
٢٩	أبو حسن الماوردى	الأحكام السلطانية والولايات الدينية
٣٠	احمد ديدات	محمد الخليفة الطبيعى للمسيح
٣١	ارنولد	نظرية الخلافة فى الإسلام
٣٢	أرنولد ترجمة/ حسن إبراهيم حسن	الدعوة إلى الإسلام

٣٣	انا مارى شيمل	الإسلام دين الإنسانية
٣٤	البخارى	صحيح البخارى
٣٥	البلاذرى أحمد بن يحيى جابر	فتوح البلدان - ٣ج
٣٦	البلاذرى أحمد بن يحيى جابر	أنساب الأشراف
٣٧	ابن محمد عبدالملك بن هشام المعافرى	مختصر سيرة بن هشام
٣٨	بودلى ترجمة / محمد فرج وعبدالحميد السحار	رسول الله ﷺ
٣٩	تبيرى ميسان	١١ سبتمبر الخديعة الكبرى
٤٠	توماس كارليل	الأبطال وعبادة البطولة
٤١	جاستون فييت	مجد الإسلام
٤٢	الجزيرى	كتاب الفقه فى الإسلام والمذاهب الأربعة
٤٣	د/ جوزيف نسيم يوسف	الإسلام والمسيحية
٤٤	جون. ل. اسبوزيتو ترجمة د/ قاسم عبده قاسم	التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة
٤٥	د/حسن إبراهيم حسن	النظم الإسلامية
٤٦	حسن أحمد الخطيب	فقه الإسلام
٤٧	حسن أحمد محمود	مصر الإسلامية
٤٨	د/حسن الخربوطلى	الكعبة على مر العصور
٤٩	خالد محمد خالد	معًا على الطريق محمد والمسيح
٥٠	دار كريس إنترناشيونال للنشر	«موسوعة الأديان فى العالم - المسيحية»

٥١	دار كريس إنترناشيونال للنشر	«موسوعة الأديان فى العالم ـ الديانات القديمة»
٥٢	دار كريس إنترناشيونال للنشر	«موسوعة الأديان فى العالم ـ الكنائس الشرقية»
٥٣	دار كريس إنترناشيونال للنشر	«موسوعة الأديان فى العالم ـ الإصلاح الدينى المسيحى»
٥٤	الدينورى أبو حنيفة أحمد بن داود	تاريخ العرب قبل الإسلام ـ ٨ج
٥٥	رجب البنا	الأمية الدينية والحرب ضد الإسلام
٥٦	روجيه غارودى	نحو حرب دينية جدل العصر
٥٧	روجيه غارودى	الإسلام
٥٨	ريتشارد بورثون	مختارات الشعر فى القرآن
٥٩	زكريا هاشم	المستشرقون والإسلام
٦٠	سعاد منسى	هذا هو إسلامنا
٦١	سعيد أيوب	زوجات النبى ﷺ
٦٢	السمهودى جلال الدين عبدالرحمن	
	بن أبى بكر بن محمد	أخبار دار المصطفى ﷺ
٦٣	السيد أحمد المخزنجى	الذكاة وتنمية المجتمع
٦٤	السيد أحمد بن رينى دحلان	الفتوحات الإسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية
٦٥	د/ شوقى ضيف	عالمية الإسلامية
٦٦	د/ صموئيل همنغتون	صراع الحضارات
٦٧	الطبرى	تاريخ الطبرى

٦٨	الطبرى أبو جعفر محمد بن جرير	تاريخ الرسل والملوك ـ ١٠ج
٦٩	طه الشريف	التوراة والإنجيل والقرآن
٧٠	د/ طه حسين	مرآة الإسلام
٧١	طه عبدالله العفيفى	وصايا الرسول ﷺ
٧٢	د/ عائشة عبدالرحمن	نساء الرسول ﷺ
٧٣	عباس محمود العقاد	عبقرية محمد ﷺ
٧٤	عبدالرحمن بدوى	موسوعة المستشرقين
٧٥	عبدالسلام محمد هارون	تهذيب سيرة ابن هشام
٧٦	د/ عبدالعظيم إبراهيم المطعنى	أسباب زواج النبى بأمهات المؤمنين
٧٧	د/ عبدالعظيم إبراهيم المطعنى	افتراءات المستشرقين على الإسلام
٧٨	د/ عبدالعظيم إبراهيم المطعنى	أوروبا فى مواجهة الإسلام ـ الوسائل والأهداف
٧٩	د/ عبدالله شحاته	أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن ٣ج
٨٠	د/ عبدالله شحاته	أركان الإسلام
٨١	عبد الله فهد النفيس	عندما يحكم الإسلام
٨٢	د/ عبدالمتعال محمد الجبرى	السيرة النبوية وأوهام المستشرقين
٨٣	د/ عبدالمتعال محمد الجبرى	الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى
٨٤	د/ عصام محمد شبارد	الدولة العربية الإسلامية الأولى
٨٥	على إبراهيم حسن	التاريخ الإسلامى العام

٨٦	عمارة محمد عمارة	غزوات الرسولﷺ
٨٧	د/ فاروق أحمد الدسوقى	الخلافة الإسلامية
٨٨	فريد هاليداى	الإسلام والغرب خرافة المواجهة
٨٩	كارين أرمسترونج ترجمة د/ فاطمة نصر	محمدﷺ
٩٠	كازانوفا	محمد ونهاية العالم
٩١	د/ لبيب هبرد ترجمة/ عبدالحميد فهمى	الأصولية الإسلامية فى العصر الحديث
٩٢	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مجموعة باحثين	حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين
٩٣	د/ محمد إبراهيم خضر	تاريخ الإسلام ـ ٤ج
٩٤	محمد أمين جبر	الأخلاق والمال فى الإسلام
٩٥	محمد السيد الجليند	الاستشراق والتبشير
٩٦	محمد حسين هيكل	حياة محمد ﷺ
٩٧	محمد رشيد رضا	الوحى المحمدى
٩٨	محمد سعيد العشماوى	جوهر الإسلام
٩٩	محمد شامة	الإسلام فى الفكر الأوروبى
١٠٠	محمد شامة	الإسلام كما ينبغى أن تعرفه
١٠١	محمد شديد	الجهاد فى الإسلام
١٠٢	محمد عبده	الإسلام والنصرانية
١٠٣	محمد عزت الطهطاوى	التبشير والاستشراق أحقاد وحملات

١٠٤	د/ محمد عمارة	الإسلام والآخر
١٠٥	محمد قطب	المستشرقون والإسلام
١٠٦	محمد قطب	شبهات حول الإسلام
١٠٧	محمد متولى الشعراوى	العقيدة فى الله
١٠٨	محمد متولى الشعراوى	هذا هو الإسلام
١٠٩	محمد متولى الشعراوى	زوجات النبى وآل البيت
١١٠	د/ محمود الشربينى	تأملات فى الشريعة الإسلامية
١١١	د/ محمود حمدى زقزوق	الدين والفلسفة والتنوير
١١٢	د/ محمود حمدى زقزوق	الإسلام فى عصر العولمة
١١٣	د/ محمود حمدى زقزوق	الإسلام فى تصورات الغرب
١١٤	محيى الدين بن عربى	الفتوحات المكية
١١٥	د/ مراد هوفمان ترجمة عادل المعلم	الإسلام كبديل
١١٦	مسلم	صحيح مسلم
١١٧	مصطفى أحمد إبراهيم حماد	أقوال فلاسفة الغرب عن الإسلام
١١٨	د/ موريس بكاى ترجمة / على الجوهرى	التوراة والإنجيل والقرآن
١١٩	مونتجمرى وات	محمد فى مكة
١٢٠	مونتجمرى وات ترجمة عبدالرحمن الشيخ	الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر
١٢١	د/ نبيل لوقا بباوى	انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء

١٢٢	د/ نبيل لوقا بباوى	الإرهاب صناعة غير إسلامية
١٢٣	د/ نبيل لوقا بباوى	زوجات الرسول ﷺ بين الحقيقة والافتراء
١٢٤	د/ نبيل لوقا بباوى	الوحدة الوطنية وخطورة مناقشة العقائد والغيبيات المقدسة فى الإسلام والمسيحية واليهودية
١٢٥	د/ نبيل لوقا بباوى	مشاكل أقباط مصر وحلولها
١٢٦	د/ نبيل لوقا بباوى	السيدة العذراء وادعاءات المفترين
١٢٧	د/ نصر حامد أبو زيد	التفكير فى زمن التكفير
١٢٨	د/ هـ.ج ولز ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد	معالم تاريخ الإنسانية ـ ٤ج
١٢٩	هانى لبيب	الحوار المسيحى الإسلامى
١٣٠	هنرى لامانس	تاريخ العرب
١٣١	ول ديورانت	قصة الحضارة ـ ٢٢ج
١٣٢	الويس اشبرنجر	حياة محمد وتعاليمه
١٣٣	اليعقوبى أبو حنيفة أحمد بن داود	تاريخ اليعقوبى ـ ٢ج
١٣٤	د/ يوسف القرضاوى	غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى
١٣٥	د/ يوسف القرضاوى	الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرقة المذمومة
١٣٦	د/ يوسف القرضاوى	محمد ﷺ وكيف نتعامل مع السنة النبوية

ثانيا: الأبحاث

١ - المؤتمر الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بعنوان: الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى.

٢ - المؤتمر التاسع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بعنوان: الإسلام والغرب الماضى والحاضر والمستقبل.

٣ - المؤتمر العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بعنوان: الإسلام والقرن الحادى والعشرين

٤ - المؤتمر الحادى عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بعنوان: نحو مشروع حضارى لنهضة العالم الإسلامى.

٥ - المؤتمر الثانى عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بعنوان: الإسلام ومتغيرات العصر.

٦ - المؤتمر الثالث عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بعنوان: التجديد فى الفكر الإسلامى.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

A. Ch. Johnson A. L. West	Byzantine Egypt: Economics studies
E. Gibbon	the decline and fall of the Roman Empire
FINLAY	Greece under the roman
GOITEIN	History of Jews
MARGLOOT	Mohammad and the rise of Islam
MAXIME, RODINSON	Mohammad
MILANE	History of Egypt under Roman
MONTOG OMERT WALT	Islamic, revelation in the modern World
MYOOR	the life of Mohammed
N. H. Baynes	The Byzantine Empire
SIR WILLIM MIUR	Life of Mohammed
Toynbee, Arnold J.	the Islamic World since the peace settle-ment settlement
WASHINGTON, AIRING	Life of Mohammed
WELIAM MOOR	Muir the caliphate

الفهرس

الباب الثالث

الخروج بالدعوة من مكة للمدينة

الباب الرابع

بداية الغزوات الكبرى

الباب الخامس

الغزوات والوقائع قبل صلح الحديبية

الباب السادس

من غزوة بنى خيبر حتى فتح مكة

الباب السابع

دعوة الحكام للإسلام حتى إنتصار المسلمين على الدولة البيزنطية

الباب الثامن

الجزية على غلله المسلمين فى عهد الرسول ﷺ وما بعده

الباب التاسع

إنتشار الإسلام وحجة الوداع ووفاة الرسول ﷺ

منافذ بيع مكتبة الأسرة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة - ت : ٢٥٧٧٥٣٦٧

مكتبة ساقية

عبد المنعم الصاوى

الزمالك - نهاية ش ٢٦ يوليو

من أبو الفدا - القاهرة

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

ت : ٢٥٥٠٦٨٨٨

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة جامعة القاهرة

بجوار كلية الإعلام - بالحرم الجامعى -

الجيزة

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

ت : ٣٥٨٥٠٢٩١

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ٢١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة المنصورة

٥ ش الثورة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

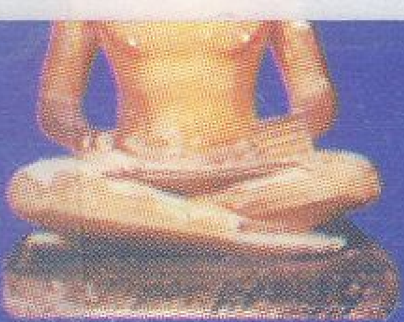
WWW maktabetelosra. org. eg

E - mail · info @egyptianbook org. eg



ينعم الإنسان بشعور الألفة بينه وبين المجتمع الذي يحياه ويحيا فيه، حين يفتح أفقاً أمام الحاضر والمستقبل، باستيعابه المعلوم، وإدراكه المجهول، وحين يقرأ نفسه، ويقرأ الآخرين، فكل قراءة تجدد المعرفة تحررنا من العجز أمام المشكلات، وتمنحنا طاقة الإمكان على تحسين الحياة، بأن نوظف معارفنا لكل ما هو نافع ومفيد، فالمعرفة أهم وأغنى وأقوى ما يمكن أن نمتلكه في الحياة، ففي ظلها يزدهر عقل الإنسان، ووعيه المتجدد الحضور، فتتعدد لديه الإبداعات والإنجازات، وينتج الموارد والثروة، ويصنع القوة، وتتسع أمامه كل المجالات. إن من يُحسن القراءة يُحسن ممارسة الحياة. لذا، كانت وستظل دعوتي أن نقرأ للحاضر.. أن نقرأ للمستقبل.. أن نقرأ للحياة

سوزان مبارك





ISBN# 9789774206389



٣ جنيهات

مكتبة الأسرة ٢٠٠٨
القراءة للجميع